رسالة شرعية عالمية

معهد المنهج الدراسي الميسر

من المستوى الأول إلى الثاني عشر

المنهج الدراسي المتسلسل

حسب الفنون والمستويات

المنهج الدراسي

كتب

الرقائق والوعظ

ويشمل ١٧ كتابًا متدرجة

من مفتاح الخطابة وحتى شرح حصن المسلم

المستوى الثاني والثالث

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



معهد المنهج الدراسي الميسر

المنهج الدراسي المتسلسل

حسب الفنون والمستويات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الأول والآخر، والظاهر والباطن، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فهذا مجموع **كتب الرقائق والوعظ** وهي ختام هذه السلاسل المباركة، التي ألفتها أو علقت عليها، مرتبة حسب التدرج العلمي لهذا الفن.

وقد اشتملت على:

المستوى الأول: (مفتاح الخطابة)، (خطب ومواعظ المصنعي)، (مواعظ شهر الصيام) ثلاثتها في مجموع الخطب.

والمستوى الثاني: (تعليق على منظومة السير إلى الله تعالى للسعدي)، (شرح منظومة السير إلى الله تعالى)، (شرح خل ادكار الأربع)، (معاني الأسماء الحسنى)، (التعليق على الهائية في الزهد لحافظ حكمي)، (الوسائل المفيدة للسعدي)، (التعليق على تائية شيخ الإسلام).

والمستوى الثالث: (شرح منظومة الكبائر) (مائة من الكبائر مع التعليق)، (حواشي على لامية الأقفهسي)، ثم (شرح الوصية الصغرى لابن تيمية). مع: (٢٠٠ سؤال وجوابه من كتب ابن القيم).

والمستوى الرابع: (شرح حصن المسلم) (شرح الدعاء من الكتاب والسنة) ثم يتوسع الطالب بكتب أخرى.

وأما: رياض الصالحين سبق مع الحديث.

تنبيه:

وبالنسبة لكتب الفتاوى فهي ملحقة بالفقه، ومفتاح الحساب مستقل، وكذا: أولويات الدورات مستقل.

ونسأل الله تعالى أن ينفع به المسلمين في كل مكان، وأن يكتب لنا الأجر والثبات.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه أبو عبد الله المصنعي

وفقه الله تعالى ١٤٤٦

****

التعليق المختصر

على منظومة

السير إلى الله تعالى

والدَّارِ الآخرةِ

للعلامة السعدي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه

أمَّا بعد:

فهذا قبس من شرحنا على المنظومة الوعظية: (منظومة السير الى الله والدار الآخرة)، وهي من نظمِ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى ، كتبته بما يتوافق مع المنهج الدراسي الميسر في مستواه الرابع.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم جميعا إلى ما يحب ويرضى.

كتبه أبو عبد الله محمد المصنعي

شعبان عام ١٤٤٣هـ المدينة النبوية

****

نص منظومة السير إلى اللهِ تعالى والدَّارِ الآخرةِ(١)

١- سَعِدَ الذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى ... وتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ

٢- فهُمُ الذِينَ قدَ اخْلَصُوا فِي مَشْيِهِمْ ... مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإِيْمانِ

٣- وهُمُ الذِينَ بَنُوا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ ... بَيْنَ الرَّجَا وَالخَوْفِ لِلدَّيَّانِ

٤- وَهُمُ الذِينَ مَلاَ الإِلَهُ قُلُوبَهُمْ ... بِوِدَادِهِ ومَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ

٥- وهُمُ الذِينَ قدَ اكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ ... فِي السِّرِ والإِعْلَانِ والأَحْيَانِ

٦- يَتَقَرَّبُونَ إِلَى المَلِيْكِ بِفِعْلِهِمْ ... طَاعَاتِهِ والتَّرْكِ لِلعِصْيَانِ

٧- فِعْلُ الفَرَائِضِ والنَّوافِلِ دأْبُهُمْ ... مَعْ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ والنُّقْصَانِ

٨- صَبَرُوا النُّفُوسَ عَلَى المَكَارِهِ كُلِّهَا ... شَوْقاً إِلَى مَا فِيْهِ مِنْ إِحْسانِ

٩- نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهُمُ بِهَا ... قَدْ أَصْبَحُوا فِي جَنَّةٍ وأَمَانِ

١٠- شَكَرُوا الذِي أَوْلَى الخَلَائِقَ فَضْلَهُ ... بِالقَلْبِ والأَقْوَالِ والْأَرْكَانِ

١١- صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ... مَعْ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

١٢- عَبَدُوا الإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ ... فَتَبَوَّؤُا فِي مَنْزِلِ الإِحْسانِ

١٣- نَصَحُوا الخَلِيْقَةَ فِي رِضَا مَحْبُوبِهِم ... بِالعِلْمِ والإِرْشَادِ والإِحْسانِ

١٤- صَحِبُوا الخَلَائِقَ بِالجُسُومِ وإِنَّمَا ... أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي

---

(١) ٢- (قدَ اخلصوا) بفتح الدال بعده همزة وصل عند النطق. ٣- (الرجا) بدون همزة.
٤- (ملا) بدون همزة. ٥- (قد اكثروا) بفتح الدال، بعده همزة وصل. (مع) بسكون العين.

١٥- رَعُوا الحُقَائِقَ وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا   خَوْفاً عَلى الإِيْمَانِ مِنْ نُقْصَانِ
١٦- عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا   قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سُوَى الرَّحْمَنِ
١٧- حَرَكَاتُهُمْ وَهُمُومُهُمْ وَعُزُومُهُمْ   للهِ لَا لِلْخَلْقِ وَالشَّيْطَانِ
١٨- نِعْمَ الرَّفِيْقُ لِطَالِبِ السُّبُلِ الَّتِي   تُفْضِي إِلَى الخَيْرَاتِ وَالإِحسانِ

****

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله تعالى:

١ - سَـعِدَ الـذِينَ تَجَنَّبُـوا سُـبُلَ الـرَّدَى وتَيَمَّمُـــوا لِمَنِـــازِلِ الرِّضْـــوَانِ

التعليق:

هذا البيت في بيان سبل السعادة في الدنيا والآخرة، وأنَّ السعادة في الدارين هي في السير الى الله عز وجل، وفي الإقبال عليه.

وذلك لا يتمُّ إلَّا بأمرين:

فالأول: اجتناب سبل الردى والهلاك والضلال، وأصولها: الشرك و البدع والعصيان. وهي أصول كل شرٍّ على وجه الأرض.

وتقع بأحد ثلاثةٍ أسباب أو بمجموع هذه الثلاثةُ، وهي: نقص الدين ونقص العلم ونقص العقل. ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَملاً صَالِحَاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾.

والأمر الثاني: جمعُ الهمة على السير إلى الله سبحانه وتعالى، ومما يدل على ذلك حديث زيد بن ثابت: (ومن كانت الآخرة همه جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، ومن كانت الدنيا همه فرَّق الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأتِهِ من الدنيا إلا ما كُتِبَ له). وهذه المنزلة الأولى- جمع الهمة على الآخرة.

****

٢- فهُمُ الذِينَ قـدَ اخْلَصُـوا فِي مَشْـيِهِمْ مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإيْمانِ

التعليق:

المنزلة الثانية، من منازل السير إلى الله تعالى الإخلاص.

(أخلصوا في مشيهم) يعني: أخلصوا في سيرهم إلى الله سبحانه.

والإخلاص: سبق بيانه ودليله. والإخلاص هو السر الذي رفع الله جل وعلا به الأنبياء والصالحين.

المنزلة الثالثة: وهي منزلة الاتباع.

مأخوذة من قوله: (متشرعين بشرعة الإيمان) أي: لا يعبدون الله عز وجل إلَّا بما شرع لا بالبدع والأهواء، فجميع عباداتهم ومعاملاتهم وسيرهم إلى الله عز وجل منضبطٌ بالكتاب والسنة: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

ولأنَّ البدع تباعد عن الله عز وجل.



٣- وهُمُ الـذِينَ بَنُوا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ بَيْنَ الرَّجَا وَالخَوْفِ لِلدَّيَّانِ

التعليق:

المنزلة الرابعة والخامسة : هما منزلتا الرجاء والخوف.

الرجاء: حسن الظن بكرم الله عز وجل وعفوه ورحمته.

فيعمل الإنسان الصالحات وهو يحسن الظن بالله عز وجل أن يقبل عمله وأن يُعظِم أجره، ويحتسب ذلك على الله سبحانه.

إذا وقع في ذنب أقبل على التوبة يرجو من الله تعالى العفو والمغفرة والرحمة، هذا هو الرجاء وهو من أوسع منازل السير إلى الله تعالى.

والخوف: سوء الظن بالنفس والعمل، والوجلُ من آثار التقصير وعقوبة الذنوب.

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين الرجاء والخوف في أول سورة: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.



٤ - وَهُـــمُ الـــذِينَ مَـــلاَ الإِلَـــهُ قُلُـــوبَهُمْ بِـــــوِدَادِهِ ومَحَبَــــــةِ الــــــرَّحمَنِ

التعليق:

المنزلة السادسة: المحبة لله تعالى ولما يحبه عزو جل من الأقوال والأعمال. وهذه المنزلة هي أصل المنازل، وأعظم ما يوصل الى الله سبحانه وتعالى، لأن المحبة بمنزلة القائد الذي يحرك ويقودك الى الله سبحانه وتعالى، والخوف بمنزلة الزاجر من الخلف إذا التفت يميناً أو شمالاً زجرك.

وللمحبة علامات تظهر على المحبين:

منها ما سبق ذكره في المنازل الأولى، من التوحيد متابعة الشرع، ومجانبة ما يضاد ذلك، هذا هو دليل محبة الله سبحانه وتعالى، فمن امتلأ قلبه بحب الله عز وجل أخرج منه كل رَغبة في غيره، يكره الشرك، يكره الذنوب، يكره البدع، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.



٥- وهُمُ الـذِينَ قـدَ اكْثَـرُوا مِـنْ ذِكْـرِهِ   فِي السِّرِ والإعْلَانِ والأحْيَانِ

التعليق:

المنزلة السابعة: الإكثار من ذكر الله سبحانه.

فمن أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره، وتردد اسمه على لسانه، والذكر شيءٌ عظيم وباب جميل وكبير، وله آثار طيبة على إيمان الشخص وعبادته، وعلى رغبته في ما عند الله سبحانه، وحينما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن باب يجمع النوافل، قال: (لا يزال لسانك رطْباً من ذكر الله).

(والأحيان) يعني: في جميع الأوقات.



٦- يَتَقَرَّبُـــونَ إلَى المَلِيْـــكِ بِفِعْلِهِـــمْ طَاعَاتِـــهِ والـــتَّرْكِ لِلعِصْـــيَانِ

التعليق:

المنزلة الثامنة، هي: الحرص على القرب منه سبحانه وتعالى والتقرب إليه. والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى يكون بأمرين: بفعل الأوامر وترك النواهي. وفي الحديث القدسي:
(وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إلي مما افترضته عليه، ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحِبَّه).

هؤلاء الذين يحرصون على التقرب إلى المليك سبحانه وتعالى، هم السابقون بالخيرات الذين وصفهم الله عز وجل بالسبق: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾، وقال الله عز وجل في ورثة القران الكريم: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾.



٧- فِعْـلُ الفَـرَائِضِ والنَّوافِـلِ دِأْبُهُـمْ مَـعْ رُؤْيَـةِ التَّقْصِـيرِ والنُّقْصَـانِ

التعليق:

المنزلة التاسعة: عدم الاغترار بالعمل.

جمعوا بين الحرص على فعل الأوامر وترك النواهي؛ والوجل والخوف ألا تقبل منهم، وهذا وصفهم وهذا حالهم طوال حياتهم، (دأبهم) يعني: طوال حياتهم.

(مع رؤية التقصير والنقصان) مهما بلغ العبد من العبادة والدِّين والتقوى لا يزال في قصور في حق الله تعالى، ومع ذلك فإن الانسان يخاف حتى وإن عمل يخاف ألا يقبل منه، أو يخاف أن يُحبط عمله، أو يخاف من سوء الخاتمة.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾. معناه: يخافون الَّا يتقبل منهم إلى غير ذلك.

وقال الله سبحانه وتعالى عن أنبيائه المعصومين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

فمن الذي يأمن على نفسه ويغتر بعمله إلا الجاهل.



٨- صَبَرُوا النُّفُوسَ عـلَى المَكَـارِهِ كُلِّهَـا شَـوْقاً إِلَى مَـا فِيْـهِ مِـنْ إِحْسَـانِ

التعليق:

المنزلة العاشرة: هي منزلة الصبر.

والصبر، هو: حبس النفس على فعل الطاعات، وعلى ترك المعاصي والسيئات، وعلى الصبر على أقدار الله تعالى المؤلمة بعدم التسخط.

وغالب المنقطعين في سيرهم إلى الله عز وجل سبب انقطاعهم قلة الصبر، إمَّا أنَّه لا يصبر على الطاعة فيمل ويترك، أو لا يصبر على ترك المعاصي فيغرق فيها، أو يتسخط على القدر المؤلم.

ولَمَّا ذكر الله عز وجل أهل الجنة قال سبحانه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

وقوله: (على المكاره كلها) أي: ما تكرهه النفس الأمَّارة بالسوء، فإنَّها عجولة ملولة، تكره مكابدة الطاعات، وتكره البعد عن الشهوات.

وقوله: (شوقاً إلى ما فيه من إحسان)، أي هذا الصبر سبب الشوق إلى ما يثمره من حسن الحال في الدنيا وكذلك في الآخرة.



٩- نَزَلُــوا بِمَنْزِلــةِ الــرِّضَى فَهُــمُ بِهَــا قَـــدْ أَصْــــبَحُوا فِي جَنَّــــةٍ وأَمَـــانِ

التعليق:

المنزلة الحادية عشر : الرضا.

الرضا، هو: اطمئنان القلب وسكونه وعدم جزعه وخوفه.

وفي حديث سعد بن أبي وقاص عند ذكر الأذان، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قال أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً، إلا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه) الحديث رواه مسلم.

فمن رضي بالله جل وعلا رباً ومعبوداً، فلن يشرك بالله جل وعلا في ربوبيته ولا في ألوهيته.

ومن رضي بالنبي صلى الله عليه وسلم رسولًا فلن يتبع غيره، ولن يُحدث بدعة.

ومن رضي بالإسلام ديناً فلن يرضى بكل ما يخالف الإسلام.

وقوله: (قد أصبحوا في جنَّة وأمان) جنة الدنيا بالطاعات، وجنة الآخرة في أعلى الدرجات.



١٠- شَكَرُوا الذِي أَوْلَى الخَلَائِقَ فَضـلَهُ   بِالقَلْـــبِ والأقْــوَالِ والْأَرْكَـــانِ

التعليق:

المنزلة الثانية عشر : الشكر.

والشكر قرين الصبر، حتى قال بعضهم: الدين يقوم على أمرين على الشكر والصبر فهو نصف الدين.

والشكر: هو الثناء على الله سبحانه وتعالى على فضله ونعمه باللسان، والاعتراف بها بالقلب مع حب المنعم، وصرف الجوارح والنعم في مرضاته سبحانه وتعالى.

فالشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، ولذلك قال الناظم: (بالقلب والأقوال والأركان) يعني: الجوارح.

قال الله سبحانه وتعالى في فضل الشاكرين: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾، وعدهم بأنه سيجزيهم أحسن الجزاء.

والشكر يعتبر من أعظم المنازل التي لم يصل إليها على وجه الكمال إلا القلة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور﴾.

❊❊❊❊

١١- صَحِبُوا التَّوَكُّلِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ   مَعْ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

التعليق:

المنزلة الثالثة عشر: التوكل.

والتوكل، هو: اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار مع بذل السبب.

وقولنا: (اعتماد القلب) لأن التوكل محله القلب.

وقوله: (صحبوا التوكل) هذا التعبير الجميل (صحبوا التوكل) أي: لازموه، فالمؤمن بحاجة إلى التوكل على الله عز وجل في كل حال.

(مع بذل جهد) يعني: مع بذل السبب: في باب العبادات لابد من بذل السبب وهو الاجتهاد في الطاعات، ومجاهدة النفس في الاستمرار عليها والبعد عن السيئات، وبهذا تعلم أن التوكل أصل عظيم من أصول منازل السير إلى الله تعالى ومن أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فلا يصح الإيمان إلا بالتوكل، والتوكل له ثمرات كثيرة كبيرة عظيمة، قد بُسطت في غير هذا الموضع.



١٢- عَبَدُوا الإِلَهَ عَلى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ ... فَتَبَوَّؤُا فِي مَنْزَلِ الإِحْسَانِ

التعليق:

المنزلة الرابعة عشر: الإحسان.

وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وقوله: (على اعتقاد حضوره) كأنهم يرونه.

ومرتبة الإحسان هي تعتبر من أعلى منازل السير إلى الله جل وعلا، لذلك من قطع المنازل الكثيرة يصل إلى منزلة الإحسان ، وكان حق هذا البيت أن يكون آخر المنظومة، لأن منزلة الاحسان هي المنزلة التي تعتبر أرفع المنازل من منازل السير إلى الله جل وعلا.

****

١٣ - نَصَحُوا الخَلِيْقَةَ فِي رِضَا مَحْبُوبِهِم بِالعِلْمِ والإرْشَادِ والإحْسَانِ

التعليق:

المنزلة الخامسة عشر : النصح للخلق.

النصح للخلق رُتبة عظيمة ووظيفة شريفة لمن أخذها بحقها وأدَّاها كما أُمِر، وقد مدح سبحانه وتعالى الآمِرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر في آيات كثيرة.

قال سبحانه و تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، البصيرة العلم، كثير من الناس يُحب النصح لكن عنده قصورٌ في العلم أو قصورٌ في الحكمة، وهاتان آفتان تدخلان على كثير من الناس ممن يريد أن ينصح ونيته الخير.

وقوله: (في رضى محبوبهم) يعني: الدافع للنصح هو ارضاء الله سبحانه وتعالى، وأيضًا إيصال الخلق إلى رضاه.

وقوله: (والإحسان) يبذلون من الإحسان بالنفقة والمعونة ودفع الشرِّ عن المسلمين، فأبواب الخير التي يبذلونها للمسلمين كثيرة متنوعة منها العلمية ومنها المالية ومنها الفعلية.



١٤- صَـحِبُوا الخَلَائِـقَ بِالجُسُـوم وإنَّـمَا أَرْوَاحُهُـــــم فِي مَنْـــزِلٍ فَوْقَـــانِي

التعليق:

المنزلة السادسة عشر: وهي تعلق القلوب بالله سبحانه وتعالى.

قوله: (صحبوا الخليقة) أي صحبوهم بالأخلاق الطيبة وبالنصيحة، ومجالستُهم للخلق بقدر الحاجة، ومع ذلك فإذا احتاجوا إلى مجالسة الناس فإنها جالسوهم بالجسوم، وأما بالنسبة لأرواحهم وقلوبهم فهي تحوم وتدور وتنشغل بأمر فوقاني، يعني: بأمرٍ رفيع وهو طلب رضا الله تعالى والقرب منه، والسعي في درجات النعيم والحرص على الفوز بأعلى جنات الفردوس. ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيه صلاح أنفسهم، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فيه صلاح غيرهم أيضًا.



١٥- رَعُــوُا الْحَقَــائِقَ وَالْمَشَــاهِدَ كُلَّهَــا خَوْفــاً عَــلى الإِيْــمَانِ مِــنْ نُقْصَــانِ

التعليق:

المنزلة السابعة عشر : الرعاية.

ومعنى الرعاية: الحفاظ والحرص على عدم ذهاب الخير والعمل.

وهي منزلة مهمة جداً فأنت تسعى لتحصيل الأعمال، فإذا حصَّلت هذه الأعمال الصاحة فارعها واحفظها وابتعد عن كل ما يجعلها هباءً منثوراً.

يؤتى يوم القيامة بأناسٍ لهم حسنات عظيمة فيجعلها الله تعالى هباءً منثوراً، ذهبت إمَّا في مظالم وإمَّا في سيئاتٍ أذهبت تلك الحسنات، فلا يغتر الإنسان بعمله كما تقدم في بيت سابق.

وقوله: (الحقائق) هي بمعنى الأعمال الصالحة، والمشاهد هي المنازل التي سبق ذكرها.



١٦- عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا قَــدْ فَرَّغُوهَــا مِــنْ سُــوَى الــرَّحْمَنِ

التعليق:

المنزلة الثامنة عشر: تنقية القلب عن الشواغل.

فهذا القلب ينشغل إمَّا بالدنيا والأضغان والأحقاد إلى غير ذلك.

وإمَّا بحب الله عز وجل والسعي في مرضاته والشوق إلى جناته والرغبة في تحريك الجوارح في ذكره وطاعته. (كل الناس يغدوا فبائعٌ نفسه فمُعتِقُها أو مُوبِقُها).

قوله: (قد فرغوها من سوى الرحمن) امتلأت قلوبُهُم بحب الله تعالى، وحب ما يقرب إليه، وبالخوف من الله عز وجل والبعد والبغض لما يكرهه ويأبه. وإن كانوا احتاجوا إلى الدنيا، فإنَّما يجعلون الدُّنيا في أيديهم، والقلوبُ منشغلة بالله سبحانه. ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، ومن سَلِم قلبه في الدُّنيا، سلم في الآخرة من جميع المنغِّصات والكروب.

❊❊❊❊

١٧ - حَرَكَـاتُهُمْ وَهُمُـومُهُمْ وَعُـزُومُهُمْ ... لله لَا لِلْخَلْـــــــقِ وَالشَّـــــــيْطانِ

التعليق:

المنزلة التاسعة عشر : التجرد لله تعالى والحفاظ على الوقت.

وهذه المنزلة تشبه المنزلة التي قبلها، لكن يظهر أن المنزلة السابقة في ما يتعلق بالقلب، وهذه المنزلة في ما يتعلق بالجوارح، فقلوبهم متعلقة بالله تعالى، وحركاتهم وأجسامهم وجوارحهم منشغلة في جميع وقتها مع طاعة الله سبحانه وتعالى. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

أيضاً من فوائد الحرص على الوقت في الطّاعات أن الشخص ينشغل عن المعاصي والتفكير فيها.

وختم المنظومة بهذه المنزلة جميل جداً.

كأنّه يقول: لا يبلغ المنازل السابقة إلا من حرِص على وقته في الطّاعات.

❊❊❊❊

١٨ - نِعْمَ الرَّفِيْـقُ لِطَالِـبِ السُّـبُلِ الَّتِـي تُفْضِيـــ إِلَى الخَـــيْرَاتِ وَالإحســـانِ

التعليق:

ختم هذا البيت لبيان أن الشخص في كثير من المنازل يحتاج إلى من يُعينه من الناس[١]، ومن ينشطه ومن ينصحه ويثبته، فهؤلاء نعم الرفيق، هم الجلساء الصالحون الذين مثَّلهم النبي عليه الصلاة والسلام بحامل المسك.

قال الله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فإذا وجد الشخص من يعينه على الخير و الطاعة فذلك توفيق عظيم من الله تعالى، حتى في العلم إذا اجتمع الطلبة وتعاونوا وتناشطوا وراجعوا مع بعضهم يحصل خير كثير.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته

ولا حول ولا قوة إلا بالله وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.



(١) وقد يكون المعنى: ما سبق من النصح والمنازل نعم الرفيق لمن اشتغل بها.

شرح

منظومة السير إلى الله تعالى

والدَّارِ الآخرةِ

للعلامة السعدي رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الخبير الكريم، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه. أمَّا بعد

في هذه الدورة الأسبوعية وهي السابعة[١] اخترنا لكم نظْماً جميلاً وعظياًّ من نظمِ العلامة عبد الرحمن ابن السعدي رحمه الله تعالى نظمها في باكورة شبابه، واستقى كثيراً من معانيها ومنازلها من كتاب "مدارج السالكين" لابن القيم رحمه الله تعالى.

وقد شرحها الشيخ بشرح مختصر، أظنه طُبع وأيضاً شرحها كثيرون ممن عاصر الشيخ، وأيضاً وممَّن جاء بعده ولا تزال تُشرح الى أيامنا هذه.

عنوان هذا النظم (منظومة السير الى الله والدار الآخرة)، يشرح فيها منازل السير الى الله سبحانه وتعالى، ومنازل الفوز برضوانه والنجاة من نيرانه.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم جميعا إلى ما يحب ويرضى،وأن يجعل هذا العلم شاهداً لنا لا علينا، ونسأله عز وجل أن يوفقنا وإياكم للسير إليه على الطريقة التي يرضاها سبحانه وتعالى.

كتبه أبو عبد الله محمد المصنعي

عام ١٤٤٣هـ المدينة النبوية

(١) وأصل هذه الدروس صوتيات قام بتفريغها أخونا الشيخ أسامة بن أوحيدة الليبي وفقه الله تعالى، وأصلحنا فيها ما تيسر مما يتوافق مع الكتاب، والله الموفق.

نص منظومة السير إلى اللهِ تعالى والدَّارِ الآخرةِ(١)

١ - سَعِدَ الذِينَ تَجَنَّبُوا سُبُلَ الرَّدَى ... وتَيَمَّمُوا لِمَنَازِلِ الرِّضْوَانِ
٢ - فهُمُ الذِينَ قدَ اخْلَصُوا فِي مَشْيِهِمْ ... مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإيْمَانِ
٣ - وهُمُ الذِينَ بَنُوا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ ... بَيْنَ الرَّجَا وَالخَوْفِ لِلدَّيَّانِ
٤ - وَهُمُ الذِينَ مَلاَ الإلَهُ قُلُوبَهُمْ ... بِوِدَادِهِ ومَحَبَّةِ الرَّحمَنِ
٥ - وهُمُ الذِينَ قدَ اكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِهِ ... فِي السِّرِ والإعْلاَنِ والأحْيانِ
٦ - يَتقَرَّبُونَ إلَى المَلِيْكِ بِفِعْلِهِمْ ... طَاعَاتِهِ والتَّرْكِ لِلعِصْيَانِ
٧ - فِعْلُ الفَرَائِضِ والنَّوافِلِ دأْبُهُمْ ... مَعْ رُؤْيَةِ التَّقْصِيرِ والنُّقْصَانِ
٨ - صَبَرُوا النُّفُوسَ عَلَى المَكَارِهِ كُلِّهَا ... شَوْقاً إلَى مَا فِيْهِ مِنْ إحْسانِ
٩ - نَزَلُوا بِمَنْزِلَةِ الرِّضَى فَهُمُ بِهَا ... قَدْ أَصْبَحُوا فِي جَنَّةٍ وأَمَانِ
١٠ - شَكَرُوا الذِي أَوْلَى الخَلاَئِقَ فَضْلَهُ ... بِالقَلْبِ والأقْوَالِ والأرْكَانِ
١١ - صَحِبُوا التَّوَكُّلَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ ... مَعْ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
١٢ - عَبَدُوا الإلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ ... فتَبَوَّؤُا فِي مَنْزِلِ الإحْسانِ
١٣ - نَصَحُوا الخَلِيْقَةَ فِي رِضَا مَحْبُوبِهِم ... بِالعِلْمِ والإرْشَادِ والإحْسانِ
١٤ - صَحِبُوا الخَلاَئِقَ بِالجُسُومِ وإنَّمَا ... أَرْوَاحُهُمْ فِي مَنْزِلٍ فَوْقَانِي
١٥ - رَعَوُا الحَقَائِقَ وَالمَشَاهِدَ كُلَّهَا ... خَوْفاً عَلَى الإيْمَانِ مِنْ نُقْصَانِ
١٦ - عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا ... قَدْ فَرَّغُوهَا مِنْ سُوَى الرَّحْمَنِ

---

(١) ٢- (قدَ اخلصوا) بفتح الدال بعده همزة وصل عند النطق. ٣- (الرجا) بدون همزة.
٤- (ملا) بدون همزة. ٥- (قد اكثروا) بفتح الدال، بعده همزة وصل. (مع) بسكون العين.

١٧ - حَرَكَـاتُهُمْ وَهُمُـومُهُمْ وَعُـزُومُهُمْ ... لله لَا لِلْخَلْـــقِ وَالشَّـــيْطانِ
١٨ - نِعْمَ الرَّفِيْـقُ لِطَالِـبِ السُّـبُلِ الَّتِـي ... تُفْضِيـ إِلَى الخَـيْرَاتِ وَالإِحسـانِ

****

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه الله تعالى:

١ - سَـعِدَ الـذِينَ تَجَنَّبُـوا سُـبُلَ الـرَّدَى   وتَيَمَّمُـــوا لِمَنَــازِلِ الرِّضْـــوَانِ

الشرح:

افتتح هذا النظم بهذا البيت كبيان لمراده من هذا النظم، وهو بيان سبل السعادة في الدنيا والآخرة، وأنَّ السعادة في الدارين هي في السير الى الله عز وجل، وفي الإقبال عليه.

وذلك لا يتمُّ إلَّا بأمرين اثنين: الأول: التخلية. والثاني: التحلية

فالأول: اجتناب سبل الردى والهلاك والضلال الى آخره.

وأصول الهلاك والضلال ترجع الى ثلاثة أصول:

الشرك و البدع والعصيان.

هذه هي أصول الردى والهلاك، وهي أصول كل شرٍّ على وجه الأرض.

وهذه الأصول الثلاثة للردى والهلاك تقع بأحد ثلاثةٍ أسباب أو بمجموع هذه الثلاثةُ،

وهي: نقص الدين ونقص العلم ونقص العقل.

فمن كان دينه ركيكًا أو لا دين له بالكلية فيأتي منه الشرك، وتأتي منه البدع والضلالات، وتأتي منه المعاصي، بسبب نقص دينه وإيمانه.

وهكذا نقص العلم يؤدي الى العمل بجهل، ويؤدي الى الوقوع في شركيَّات وهولا يعلم، إلى إحداث بدع وهو يجهل حقيقتها، الى الوقوع في معاصيٍ وهو لا يعلم مدى أثرِها.

كذلك نقص العقل قد يكون الشخص عنده علم وصاحب دين وورع، لكن بسبب ضَعف عقله يُحدث شروراً كثيرة، ويُحدث بدعاً وضلالات.

ولو قرأت في تراجم بعض العلماء الذين ابتُلوا بالبدع لرأيت بعضهم عندهم من الزهد والدين والايمان والورع، وفي مؤلفاتهم ما يدل على سعة علمهم، لكن بسبب نقصٍ في العقل الذي يجعل الشخص لا يرى الحق كما هو، فالبدع تغطي العقول.

نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة والعافية.

والأمر الثاني: التحلية.

من أسباب السعادة والسير الى الله عز وجل أن تُجْمع الهمة على همَّ الآخرة ورضى الله سبحانه وتعالى، ومما يدل على ذلك حديث زيد بن ثابت الذي أوله: (ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئٍ مسلم)، وفي آخره قال: (ومن كانت الآخرة همه جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، ومن كانت الدنيا همه فرَّق الله شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأتِهِ من الدنيا إلا ما كُتِبَ له).

فجمعُ الهمة على ما يرضي الله سبحانه وتعالى وعلى السير إلى الدار الآخرة يُعِين الشخص على سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، ويجنِّبه سبل الردى والهلاك، (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) رواه مسلم.

من دخل الجنة فقد استكمل السعادة، ومن دخل النار فقد استكمل الشقاوة.

وقد جُمِعَ هذين الأمرين وهو اجتناب سبل الردى وتيمم (أي: القصد) منازل الرضوان في قول الله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَملاً صَالِحَاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾

وهذه المنزلة الأولى- جمع الهمة على الآخرة.

دل عليها: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

حياة طيبة في الدنيا، وحياة طيبة في الآخرة. نسأل الله تعالى من فضله

****

٢- فهُمُ الذِينَ قـدَ اخْلَصُـوا فِي مَشْـيِهِمْ   مُتَشَرِّعِينَ بِشِرْعَةِ الإيْمَانِ

الشرح:

شرع في بيان منازل السير الى الله عز وجل بعد ذكر المنزلة الأولى التي هي أصل جميع المنازل.

المنزلة الثانية، من منازل السير الى الله تعالى الإخلاص.

(أخلصوا في مشيهم) يعني: أخلصوا في سيرهم الى الله سبحانه.

والإخلاص: هو أن يقصد العبد بجميع أعماله وجه الله سبحانه وتعالى، وأن يكون متباعداً عن الشرك والبدع، والرياء والسمعة وقصد الدنيا.

فيجعل العبادات كلها لله سبحانه وتعالى، ﴿ وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾.

فمن التزم هذه المنزلة العظيمة التي تعتبر من أعلا وأفضل منازل السير الى الله عز وجل فقد بلغ رُتبةً عظيمة.

والإخلاص هو السر الذي رفع الله جل وعلا به الأنبياء والصالحين والصادقين، انظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم في الصحابة: (لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) أُحد: هذا الجبل بالمدينة النبوية.

قال أهل العلم: الفارق الكبير بين الأجرين بسبب ما وقر في القلوب.

المنزلة الثالثة: وهي منزلة الاتباع.

مأخوذة من قوله: (متشرعين بشرعة الإيمان) أي: لا يعبدون الله عز وجل إلَّا بما شرع لا بالبدع والأهواء، فجميع عباداتهم ومعاملاتهم وسيرهم الى الله عز وجل منضبطٌ بالكتاب والسنة: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

لأنَّ البدع تباعد عن الله عز وجل.

كما قال بعض السلف: كلما ازداد المبتدع تعبداً ازداد من الله بُعداً.

فالبدع ضلال (كل بدعة ضلالة)، والعمل المبني على البدع مردود على صاحبه، كم من شخص يُظهِر التنسُّك والتَّعبُّد لكن تظهر عليه بدعٌ كثيرة كحال الصوفية، بسبب ضعف اتباعهم.



٣- وهُمُ الذِينَ بَنُوا مَنَازِلَ سَيْرِهِمْ بَيْنَ الرَّجَا وَالخَوْفِ لِلدَّيَّانِ

الشرح:

المنزلة الرابعة والخامسة : هما منزلتا الرجاء والخوف.

وهما من أهم منازل السير إلى الله سبحانه وتعالى.

الرجاء: حسن الظن بكرم الله عز وجل وعفوه ورحمته.

أن يعمل الإنسان الصالحات وهو يحسن الظن بالله عز وجل أن يقبل عمله وأن يُعظِم أجره، ويحتسب ذلك على الله سبحانه.

إذا وقع في ذنب أقبل على التوبة يرجو من الله تعالى العفو والمغفرة والرحمة، هذا هو الرجاء وهو من أوسع منازل السير الى الله تعالى.

والخوف: سوء الظن بالنفس والعمل، والوجلُ من آثار التقصير وعقوبة الذنوب.

الشخص لا يغتر بنفسه ولا بعمله ولا يأمن عواقب ذنوبه. فإن الله عز وجل غافر الذنب شديد العقاب، وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين الرجاء والخوف في أول سورة: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ كما ذكرناه في تفسير سورة الفاتحة.

وقد ذكر سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل وأتباعهم بهذه الصفة: الرجاء والخوف كما قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُون وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِم يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُون أُولئِكَ يُسارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سابِقُونَ ﴾.

فهم مع كثرت الأعمال الصالحة لا يزال الخوف في قلوبهم، يخافون ربهم تعالى ويرجون أيضاً رحمته، ومن تأمل هذا في القرآن الكريم يجده كثيراً.

٤ - وَهُـمُ الـذِينَ مَـلاَ الإِلَـهُ قُلُـوبَهُمْ بِـوِدَادِهِ ومَحَبَـةِ الـرَّحَمَنِ

الشرح:

المنزلة السادسة: المحبة لله تعالى ولما يحبه عزو جل من الأقوال والأعمال.

وهذه المنزلة هي أصل المنازل، وأعظم ما يوصل الى الله سبحانه وتعالى، لأن المحبة بمنزلة القائد الذي يجرك ويقودك الى الله سبحانه وتعالى.

والخوف بمنزلة الزاجر من الخلف إذا التفت يميناً أو شمالاً زجرك.

وللمحبة علامات تظهر على المحبين:

منها ما سبق ذكره في المنازل الأولى، من التوحيد متابعة الشرع، ومجانبة ما يضاد ذلك: قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾

وقال سبحانه: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﴾.

الإيمان ومحبةُ الله عز وجل تنافي محبة من يشرك بالله تعالى، وتنافي كمال محبة المبتدع الذي خالف شرع الله سبحانه وتعالى.

(ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار).

هذا هو دليل محبة الله سبحانه وتعالى، فمن امتلأ قلبه بحب الله عز وجل أخرج منه كل رَغبة في غيره، يكره الشرك، يكره الذنوب، يكره البدع، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

****

٥- وهُمُ الـذِينَ قـدَ اكْثَـرُوا مِـنْ ذِكْـرِهِ فِي السِّرِ ــ والإعْـــلَانِ والأحْيـــانِ

الشرح:

المنزلة السابعة: الإكثار من ذكر الله سبحانه.

وهي من آثار المنزلة السادسة وهي المحبة.

فانظر أين أنت من الذكر القولي والفعلي؟ فمن أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره، وتردد اسمه على لسانه، والذكر شيءٌ عظيم وباب جميل وكبير، وله آثار طيبة على إيمان الشخص وعبادته، وعلى رغبته في ما عند الله سبحانه.

وحينما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن باب يجمع النوافل، قال: (لا يزال لسانك رطْباً من ذكر الله). سواءً في السر أي: لوحده أو كان في العلن بين الناس، والأصل في الذكر الإسرار، ويعلن من الذكر ما دل الدليل على ذلك.

(والأحيان) يعني جميع الأحيان، كما قالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً والذَّاكِراتِ﴾. أقل منازل الذاكرين الله تعالى كثيرًا أن يحافظوا على الأذكار المؤقتة، كأذكار الصباح والمساء وعند النوم وبعد الصلوات وعند الدخول والخروج واللباس، إلى غير ذلك من الأذكار المقيدة.

هذه المنزلة منزلة الذكر ليست لكل الناس إنما هي للسابقين، (سبق المفردون) قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: (الذاكرون الله كثيراً والذاكرات).

اللهم أعنَّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

****

٦- يَتَقَرَّبُـــونَ إِلَى الَمِلْيْـــكِ بِفِعْلِهِـــمْ   طَاعَاتِـــهِ والـــتَّرْكِ لِلعِصْـــيَانِ

الشرح:

المنزلة الثامنة، هي: الحرص على القرب منه سبحانه وتعالى والتقرب إليه.

والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى يكون بأمرين: بفعل الأوامر وترك النواهي.

الأوامر، يشمل: الفرائض والواجبات والنوافل ووسائلها.

والنواهي، يشمل: المحرمات والمكروهات وما يكون من الورع تركه، ووسائل ذلك.

فهذا هو سبيل التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

وذكرَ لفظ التقرب: (يتقربون إلى المليك)، لأنَّه الوارد في الحديث القدسي الذي في البخاري، من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعلا قال: (وما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إلي مما افترضته عليه، ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحِبَّه).
فهذه هي الطاعات التي تقرب من الله سبحانه وتعالى: فعل الأمر وترك النهي لا يتم القرب منه سبحانه وتعالى إلّا بالأمرين معاً.

أمَّا من خلط عملاً صالحاً وآخرَ سيِّـئًا كحالنا فإن له من القرب بقدر الطاعات وله من البعد بقدر السيئات.

هؤلاء الذين يحرصون على التقرب إلى المليك سبحانه وتعالى، هم السابقون بالخيرات الذين وصفهم الله عز وجل بالسبق: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾، وقال الله عز وجل في ورثة القران الكريم: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾، وقال تعالى: ﴿سَابِقُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾.

وذكر من أسماء الله عز وجل المليك إشارة إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾، فمن كان أكثر تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى في الدنيا، كان أقرب منه سبحانه وتعالى في جنات النعيم.



٧- فِعْـلُ الفَـرَائِضِ والنَّوافِـلِ دِأْبُهُـمْ مَـعْ رُؤْيَـةِ التَّقْصِـيرِ والنُّقْصَـانِ

الشرح:

المنزلة التاسعة: عدم الاغترار بالعمل.

فهؤلاء السائرون إلى الله عزو جل جمعوا بين الحرص على فعل الأوامر وترك النواهي والوجل، ومع ذلك ليس هذا لمدة قصيرة أو نشاط عارض، بل هذا وصفهم وهذا حالهم طوال حياتهم، (دأبهم) يعني: طوال حياتهم.

(مع رؤية التقصير والنقصان) مهما بلغ العبد من العبادة والدِّين والتقوى لا يزال في قصور في حق الله تعالى، ومع ذلك فإن الانسان يخاف حتى وإن عمل يخاف ألا يقبل منه، أو يخاف أن يُحبط عمله، أو يخاف من سوء الخاتمة.

هناك مخاوف كثيرة تعرض للإنسان فلا يغتر بعمله مهما بلغ فإنَّه ليس بمعصوم.

فالعبد الذي يريد التقرب إلى الله تعالى يجمع بين كثرة العمل مع الوجل والإخلاص، وعدم الأمن من مكر الله تعالى والخوف من سوء الخاتمة، كما قال تعالى في الآيات التي ذكرناها في درس الأمس: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾. معناه: يخافون الَّا يتقبل منهم إلى غير ذلك.

وقال الله سبحانه وتعالى عن أنبيائه المعصومين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

وهكذا - بارك الله فيكم - جاء عن صدِّيق هذه الأمة أنَّه قال لو دخلت إحدى رجلي الجنة لما أمنت حتى تدخل الأخرى.

وأيضاً جاء بإسناد صحيح عن سفيان الثوري أنَّه كان يبكي بكاءً شديداً فإذا قيل له في ذلك. قال: أخاف من سوء الخاتمة.

نعم - بارك الله فيكم - يخاف من سوء الخاتمة، وأيضاً الإنسان يخاف أن تذهب أعماله من حيث لا يشعر، (يؤتى يوم القيامة بأُناسٍ معهم حسنات أمثال الجبال فيجعلها الله هباءً منثوراً)، لأنَّهم كانوا إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها، أو تذهب في مظالم الخلق ثمَّ يؤمر بهم فيطرحون في النَّار.

وفي الصحيحة للألباني رحمه الله تعالى (٢٥٣٥) عن النبي صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليصلي ستين سنة وما تقبل له صلاة ولعله يتم الركوع ولا يتم السجود ويتم السجود ولا يتم الركوع).

فمن الذي يأمن على نفسه ويغتر بعمله إلا الجاهل.



٨- صَبَرُوا النُّفُوسَ علَى المَكَارِهِ كُلِّهَا   شَوْقاً إلَى مَا فِيْهِ مِنْ إحْسانِ

الشرح:

المنزلة العاشرة: هي منزلة الصبر. الصبر من الأعمال كالرأس من الجسد.

والصبر، هو: حبس النفس على الطاعات حتى تُؤدّى على الوجه الأكمل.

وحبس النفس عن المعاصي والسيئات حتى تُجتنب على الوجه الأكمل. والصبر على أقدار الله المؤلمة بعدم التسخط.

وبهذا يكون الصبر هو الدين كله، فهو أساس عظيم من أسس منازل السير إلى الله تعالى، وغالب المنقطعين في سيرهم إلى الله عز وجل سبب انقطاعهم قلة الصبر، إمَّا أنَّه لا يصبر على الطاعة فيمل ويترك، أو لا يصبر على ترك المعاصي فيغرق فيها، أو يتسخط على القدر المؤلم.
فإذا عرفت هذا عرفت قول النبي ﷺ: (وما أُعطِيَ أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر).
ولمَّا ذكر الله عز وجل أهل الجنة قال سبحانه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.
وقوله: (على المكاره كلها) أي: ما تكرهه النفس الأمَّارة بالسوء، فإنَّها عجولة ملولة، تكره مكابدة الطاعات، وتكره البعد عن الشهوات.

وقوله: (شوقاً إلى ما فيه من إحسان)، أي هذا الصبر سبب الشوق إلى ما يثمره من حسن الحال في الدنيا وكذلك في الآخرة.

وأيضاً إلى المآل الحسن الذي ذكرناه قبل: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.



٩- نَزَلُــوا بِمَنْزِلَــةِ الــرِّضَى فَهُــمُ بِهَــا ... قَــدْ أَصْــبَحُوا فِي جَنَّــةٍ وأَمَــانِ

الشرح:

المنزلة الحادية عشر: الرضا.

الرضا، هو: اطمئنان القلب وسكونه وعدم جزعه وخوفه.

والرضا يفسره حديث سعد بن أبي وقاص عند ذكر الأذان، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قال أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً، إلا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه) الحديث رواه مسلم. فمن قال هذا عند الأذان صادقاً موقناً غفر له ما تقدم من ذنبه.

الرضى بالله جل وعلا رباً ومعبوداً، ومن بلغ هذه المنزلة فلن يشرك بالله جل وعلا في ربوبيته ولا في ألوهيته، ولن يرائي بعمله غير الله سبحانه وتعالى لأنه رضي بالله عز وجل رباً ومعبوداً. ومن رضي بالنبي صلى الله عليه وسلم رسولًا فلن يتبع غيره، ولن يُحدث بدعة ولن يصر على مخالفته.

ومن رضي بالإسلام ديناً فلن يرضى بكل ما يخالف الإسلام، من شرك وبدع ومعصية وتشبه بالكفار، وإقبال على البدع إلى غير ذلك.

فمنزلة الرضى تشمل الدين كله.

وقوله: (قد أصبحوا في جنَّة وأمان) جنة! لأن من بلغ منزلة الرضى فهو يعيش في هذه الدنيا في راحة في اطمئنان وسعادة، في جنة هي أعظم جنان الدنيا، كما هو أيضاً في أمان في الآخرة،

فمن مات على هذه المرتبة العالية الرفيعة فهو في الآخرة في أمان في راحة في اطمئنان، كما أنه في الدنيا يرتاح ويأمن من العواقب الوخيمة، وليس هذا من الأمن من مكر الله لكن يشعر الشخص بالأمن بسبب التوحيد والطاعة، وهذا يعتبر من الأمن العظيم.



١٠- شَكَرُوا الذِي أَوْلَى الخَلَائِقَ فَضْـلَهُ بِالقَلْـــبِ والأقْـــوَالِ والْأَرْكَـــانِ

الشرح:

المنزلة الثانية عشر : الشكر.

والشكر قرين الصبر، حتى قال بعضهم: الدين يقوم على أمرين على الشكر والصبر.

فهو نصف الدين.

والشكر: هو الثناء على الله سبحانه وتعالى على فضله ونعمه باللسان، والاعتراف بها بالقلب مع حب المنعم، وصرف الجوارح والنعم في مرضاته سبحانه وتعالى.

فالشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، ولذلك قال الناظم: (بالقلب والأقوال والأركان) يعني: الجوارح.

الشكر أخص من الحمد من جهة تعلقه؛ فهو يتعلق بالنعم الدينية والدنيوية، وأما الحمد فإنه يتعلق بالنعم وأيضاً يكون على كمال الله سبحانه وتعالى.

فالله سبحانه وتعالى حمد نفسه على كماله، وأمر عباده أن يحمدوه لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى، إلى جانب النعم التي أسداها لعباده.

وأيضاً الشكر أعم من جهة آلته، فهو يكون بالقلب واللسان والجوارح، والحمد يكون بالقلب واللسان. والله المستعان.

قال الله سبحانه وتعالى في وصف السائرين إليه: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾، فالله جل وعلا وعد الشاكرين بأنه سيجزيهم أحسن الجزاء.

وقال جل وعلا: ﴿وَاشْكُرُوا لله إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، ولا تستقيم العبادة إلا بالشكر لله جل وعلا: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

هذه المنزلة التي ظنها بعض الناس من أيسر المنازل، تعتبر من أعظم المنازل التي لم يصل إليها على وجه الكمال إلا القلة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُور﴾.

الناس يتقلبون بين نعم الله ليلاً نهاراً في دينهم ودنياهم، لكن ما أقل من يشكر هذه النعم، فإذا وفقت لشكر النعمة فإن هذا التوفيق نعمة من الله جل وعلا.

وهذه النعمة بحاجة إلى أن تؤدى شكرها، فتشكر الله جل وعلا على النعمة ثم تشكره أن وفقك لشكر النعمة، ثم تشكره أن وفقك لشكر شكر النعمة، وهكذا سلسلة من الشكر لله جل وعلا لا تنقطع في الدنيا بل ولا في الآخرة، ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ الآية، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

فليكثر العبد من الشكر ولا يمل.



١١- صَحِبُوا التَّوَكُّلِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مَعْ بَذْلِ جُهْدٍ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

الشرح:

المنزلة الثالثة عشر: التوكل.

والتوكل، هو: اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضا مع بذل السبب.

وقولنا: (اعتماد القلب) لأن التوكل محله القلب.

وقوله: (صحبوا التوكل) هذا التعبير الجميل (صحبوا التوكل) أي: لازموه كملازمة الصاحب الذي لا يفارق صاحبه، فالمؤمن بحاجة إلى التوكل على الله عز وجل في يقظته وفي منامه، وفي سفره وفي حضره بإقباله وذهابه، في دينه ودنياه، فالتوكل عبادة لا تفارق القلب، ومن فارقت قلبه فقد خسر شيئاً كثيراً. وقوله: (مع بذل جهد) يعني: مع بذل السبب، وفي باب العبادات لابد من بذل السبب وهو الاجتهاد في الطاعات، ومجاهدة النفس في الاستمرار عليها والبعد عن السيئات، وبهذا تعلم أن التوكل أصل عظيم من أصول منازل السير إلى الله تعالى ومن أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فلا يصح الإيمان إلا بالتوكل، والتوكل له ثمرات كثيرة كبيرة عظيمة، قد بُسطت في غير هذا الموضع.

****

١٢- عَبَدُوا الإِلَهَ عَلَى اعْتِقَادِ حُضُورِهِ فَتَبَوَّؤُا فِي مَنْزَلِ الإِحْسَانِ

الشرح:

المنزلة الرابعة عشر: الإحسان.

وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

هذا هو معنى قوله: (على اعتقاد حضوره) كأنهم يرونه كما في الحديث.

وليس هذا من كلام بعض الصوفية الذين يدَّعون أن الله تعالى يحضر عندهم.

ومرتبة الإحسان هي تعتبر من أعلى منازل السير إلى الله جل وعلا، لذلك من قطع المنازل الكثيرة يصل إلى منزلة الإحسان ، وكان حق هذا البيت أن يكون آخر المنظومة، لأن منزلة الاحسان هي المنزلة التي تعتبر أرفع المنازل من منازل السير إلى الله جل وعلا.

ومن رام الوصول إلى هذه المنزلة فعليه بخمسة أمور،

وهذه الخمسة أمور تجمع جميع المنازل:

أولًا: التوحيد الخالص توحيد خالص الذي لا يشوبه من الشرك قليل ولا كثير.

ثانياً: الاتباع التام الذي لا تتخلله بدعة.

ثالثاً: الحرص على الفرائض والنوافل وترك المنهيات جملةً وتفصيلاً.

رابعًا: وهو حسن الخلق، مع الله تعالى، ومع خلقه.

خامسًا: صدق المعاملة، مع الله تعالى، ومع خلقه.

فمن جمع هذه الخمس فقد بلغ رتبة الإحسان.

فنسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لهذه المنازل العظيمة،

ونسأل الله جل وعلا أن يوفقنا جميعاً للعمل بما نستفيد من هذه الدروس

فإن العلم لا يكون جميلاً على صاحبه إلا بالعمل.

فنسأل الله جل وعلا التوفيق والإعانة والسداد.



١٣- نَصَحُوا الخَلِيْقَةَ فِي رِضَا مَحْبُوبِهِم بِالعِلْمِ والإِرْشَادِ والإِحْسَانِ

الشرح:

المنزلة الخامسة عشر: النصح للخلق.

النصح للخلق رُتبة عظيمة ووظيفة شريفة لمن أخذها بحقها وأدَّاها كما أُمِر، وقد مدح سبحانه وتعالى الآمِرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر في آيات كثيرة.

والمعروف، هو: ما وافق الكتاب والسنّة.

والمنكر، هو: ما خالف الكتاب والسنّة.

وعلى هذا فالأمر بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر يحتاج إلى علم بما يأمر به أو ينهي عنه، ويحتاج أيضاً إلى علم بالطريقة النّافعة التي تؤدِّي المقصد الشرعي بهذا الأمر أو النّهي.

قال سبحانه و تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾، كثير من الناس يُحب النصح لكن عنده قصورٌ في العلم أو قصورٌ في الحكمة، وهاتان آفتان تدخلان على كثير من الناس ممن يريد أن ينصح ونيته الخير، لكن بسبب هاتين الآفتين ربما يكون في نصحه من الشر شيءٌ كثير، نقص العلم، أو نقص الحكمة في توجيه هذا العلم.

فيخرج كثير من الناس مثلًا باسم النصيحة إلى التعيير أو الغيبة أو النميمة أو الشَّماتة.

والله المستعان.

وهذه المنزلة العظيمة تُعتبر من أسس الدّين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة)، وبايع جريرٌ رضي الله عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم.

وقوله: (في رضى محبوبهم) يعني: الدافع للنصح هو ارضاء الله سبحانه وتعالى، وأيضًا إيصال الخلق إلى رضى ربهم سبحانه وتعالى، فهؤلاء خير الناس للناس، يقربون الناس إلى الله تعالى، ويباعدونهم عن ما يُسخط الله سبحانه، لكن كما تقدم لابد أن تكون النَّصيحة بالعلم علم الكتاب والسنة وأيضاً العلم بالطرقة الصحيحة وهي الحكمة.

وقوله: (والإحسان) أي: إلى جانب النصح فإنّهم يبذلون من الإحسان بالنفقة والمعونة ودفع الشرِّ عن المسلمين، فأبواب الخير التي يبذلونها للمسلمين كثيرة متنوعة منها العلمية ومنها المالية ومنها الفعلية، وهذه المرتبة مرتبة قَلَّ من يصل إليها، وفي الحديث: (أحبُّ العباد إلى الله أنفعهم لعياله) رواه عبد الله بن أحمد من حديث أنس رضي الله عنه وحسنه الألباني.



١٤- صَـحِبُوا الخَلَائِـقَ بِالجُسُـومِ وإِنَّـمَا   أَرْوَاحُهُـــمْ فِي مَنْـــزِلٍ فَوْقَـــانِي

الشرح:

المنزلة السادسة عشر: وهي تعلق القلوب بالله سبحانه وتعالى.

قوله: (صحبوا الخليقة) أي صحبوهم بالأخلاق الطيبة وبالنصيحة، ومجالستُهم للخلق بقدر الحاجة، ومع ذلك فإذا احتاجوا إلى مجالسة الناس فإنما جالسوهم بالجسوم، وأما بالنسبة لأرواحهم وقلوبهم فهي تحوم وتدور وتنشغل بأمر فوقاني، يعني: بأمرٍ رفيع وهو طلب رضا الله تعالى والقرب منه، والسعي في درجات النعيم والحرص على الفوز بأعلى جنات الفردوس.

وهؤلاء الذين جمعوا بين صلاح أنفسهم، بالإخلاص والاتباع والاجتهاد في الطاعات والبعد عن الشهوات المحرمة، ثم سَعوا جاهدين في صلاح الخلق بالنصح والإرشاد والتعليم وتوجيه الناس للتوحيد واتباع السنة، والإحسان إليهم في دينهم ودنياهم، هؤلاء خير الناس وأرفع الناس درجة وكمالاً، ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، ﴿آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيه صلاح أنفسهم، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ فيه صلاح غيرهم أيضًا.

علم وعمل ودعوة وصبر، والله المستعان.

****

١٥- رَعُـوُا الْحَقَـائِقَ وَالْمَشَـاهِدَ كُلَّهَـا   خَوْفـاً عَـلى الإِيْـمَانِ مِـنْ نُقْصَـانِ

الشرح:

المنزلة السابعة عشر: الرعاية.

ومعنى الرعاية: الحفاظ والحرص على عدم ذهاب الخير والعمل.

وهي منزلة مهمة جداً فأنت تسعى لتحصيل الأعمال، فإذا حصَّلت هذه الأعمال الصاحة فارعها واحفظها وابتعد عن كل ما يجعلها هباءً منثوراً.

والله المستعان، بارك الله تعالى فيكم.

يؤتى يوم القيامة بأناسٍ لهم حسنات عظيمة فيجعلها الله تعالى هباءً منثوراً، ذهبت إمَّا في مظالم وإمَّا في سيئاتٍ أذهبت تلك الحسنات، فلا يغتر الإنسان بعمله كما تقدم في بيت سابق.
فعلينا أن نجعل منزلة الرعاية من أهم المنازل، نحرص على العمل، فإذا فزت ووفِقت إليه فاحرص على الحفاظ عليه حتى تجده في ميزان حسناتك.

بعض الناس قد يعمل ثم لا يرى شيئاً في ميزانه، ذهبت بسبب أو بآخر.

وقوله: (الحقائق) هي بمعنى الأعمال الصالحة، والمشاهد هي المنازل التي سبق ذكرها.

وهذه المحافظة كلها لأمرين اثنين: الأول في الدنيا والثاني في الآخرة.

أما الأمر الأول الذي يخاف منه: هو الذي تقدم ذكره أن يأتي يوم القيامة ثم لا يجد تلك الأعمال في ميزان حسناته.

وأمَّا الثاني الذي في الدنيا فهو الخوف على الإيمان من النقص، فإن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ينقص بترك الطاعات أو فعل المحرمات وهؤلاء يحرصون على التزود من الأعمال والحفاظ على ما قد عملوه حتى لا ينقص إيمانهم، ولهذا قال الله جل وعلا في أهل الرعاية: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾. فأهل الرعاية في زيادة إيمان، وأهل الغفلة في زيادة نقص.

قال عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن من لا يأمن جارهُ بوائقه)، وقال في من يزني: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)، فالتقصير في الطاعات أو فعل السيئات ينقص الإيمان، (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر). بل إن ترك العمل الصالح ولو كان جائزاً يُنقص الايمان: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للُبِّ الرجل الحازم من إحداكُنَّ). ونقص دينهن بترك الصلاة وقت الحيض والنفاس، وبعض الناس قد يترك النوافل مثلاً فهذا فيه نقص الإيمان فعليك بالتزود، اجمع بين الحرص على العمل والرعاية لهذه الأعمال أشد ما يكون.



١٦- عَزَفُوا القُلُوبَ عَنِ الشَّوَاغِلِ كُلِّهَا قَـدْ فَرَّغُوهَـا مِـنْ سُـوَى الـرَّحْمَنِ

الشرح:

المنزلة الثامنة عشر: تنقية القلب عن الشواغل.

فهذا القلب ينشغل إمَّا بالدنيا والأضغان والأحقاد إلى غير ذلك.

وإمَّا بحب الله عز وجل والسعي في مرضاته والشوق إلى جناته والرغبة في تحريك الجوارح في ذكره وطاعته. (كل الناس يغدوا فبائعٌ نفسه فمُعتِقُها أو مُوبِقُها).

لابد لهذا القلب ولهذا الإنسان من اشتغال إمَّا بالخير وإمَّا بالشر.

فمن أهم المُهمات أن تراقب قلبك وأن تنظُر إلى الشواغل التي فيه، فإن كانت دنيوية أو ما هو أقبح من هذا وهي شواغل ذنوب، فاحرص على علاج قلبك واسعَ إلى تفريغ هذا القلب عن هذه الشواغل ليحلَّ محلَّها ما هو مقرِبٌ إلى الله سبحانه وتعالى.

قوله: (قد افرغوها من سوى الرحمن) امتلأت قلوبُهُم بحب الله تعالى، وحب ما يقرب إليه، وبالخوف من الله عز وجل والبعد والبغض لما يكرهه ويأبه.

وإن كانوا احتاجوا إلى الدنيا، فإنَّما يجعلون الدُّنيا في أيديهم، والقلوبُ منشغلة بالله سبحانه.

اقرأ قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾

الخشوع من صفات القلب السليم، الذي سلم من الشرك والبدع، سلم من المعاصي، وكلما كان القلب أسلم كان أشدَّ تعلقاً بالله سبحانه وتعالى، وأكثرَ امتلاءً بحب الله سبحانه وتعالى،

قال الله جل وعلا: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، ومن سَلِم قلبه في الدُّنيا، سلم في الآخرة من جميع المنغِّصات والكروب.

وقال الله جل وعلا في وصف ابراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

أحبُّ القلوب إلى الله جل وعلا التقي النقي الذي ليس فيه غلٌّ ولا حسد ولا حب ولا رغبة في الدنيا.

هذه مراتب البلوغ إليها وفيها صعوبة على الكثير لغلبة الهوى، لكن تتيسر باستمرار المجاهدة، كالبناء كل يوم يضع حجراً، فما تمر السنين إلا وقد بنى قصراً عظيماً، وهكذا القلوب تحتاج إلى مجاهدة وإصلاح شيئاً فشيئاً.

جاء بإسنادٍ صحيح عن ثابت البُنَاني أنَّه قال: جاهدت نفسي على قيام الليل عشرين سنة، ثمَّ قمتُّه رغبةً عشرين سنة.

وجاء عنه بإسنادٍ صحيح: أنه كان يدعوا الله جل وعلا أن يعطيه الصلاة في قبره.

لحبه للصلاة، فرؤيَ في المنام وهو يصلي في قبره.



١٧ – حَرَكَـاتُهُمْ وَهُمُـومُهُمْ وَعُـزُومُهُمْ لله لَا لِلْخَلْـــقِ وَالشَّـــيْطانِ

الشرح:

المنزلة التاسعة عشر: التجرد لله تعالى والحفاظ على الوقت.

وهذه المنزلة تشبه المنزلة التي قبلها، لكن يظهر أن المنزلة السابقة في ما يتعلق بالقلب، وهذه المنزلة في ما يتعلق بالجوارح، فقلوبهم متعلقة بالله تعالى، وحركاتهم وأجسامهم وجوارحهم منشغلة في جميع وقتها مع طاعة الله سبحانه وتعالى.

فاعتنوا بالطّاعات الباطنة وكذلك بالطاعات الظاهرة؛ حتى غلبت على أوقاتهم، فربما حصل لهم النقص الكثير من أمور الدُّنيا، ولم يجدوا فرصة لسد تلك الثغرات والحاجات؛ لكثرة انشغالهم بما يقرب إلى الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

إن عرض لك عارض من الدنيا فأول ما تجد فرصة فراغ منه فانصبَّ على العبادة، وهكذا إذا كنت في طاعة وفرغت منها فانصبَّ في طاعة أخرى، املأ وقتك بما يعود عليك بالنفع، فإنَّ الشخص الذي اعتاد على أن يملأ وقته بالذكر والخير، يجد من السعادة والأُنس بالله تعالى ما لا يجده الذين يبحثون عن السعادة في أمور الدنيا.

أيضاً من فوائد الحرص على الوقت في الطّاعات أن الشخص ينشغل عن المعاصي والتفكير فيها.

وختم المنظومة بهذه المنزلة جميل جداً.

كأنّه يقول: لا يبلغ المنازل السابقة إلا من حرِص على وقته في الطّاعات.

****

١٨ - نِعْمَ الرَّفِيْـقُ لِطَالِـبِ السُّـبُلِ الَّتِـي تُفْضِي إِلَى الخَـيْرَاتِ وَالإحسـانِ

الشرح:

ختم بهذا البيت لبيان أن الشخص في كثير من المنازل يحتاج إلى من يُعينه من الناس[١]، ومن ينشطه ومن ينصحه ويثبته، وهؤلاء الناس هم الذين يعتنون بأنفسهم والذين يسعون لرضى ربهم، والذين غلبت عليهم المجاهدة في الطّاعات فهؤلاء نعم الرفيق، هم الجلساء الصالحون الذين مثَّلهم النبي عليه الصلاة والسلام بحامل المسك.

قال الله تعالى في هؤلاء الذين يترافقون ويتسايرون في الخير ويعين بعضهم بعضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

لا تجالس إلا تقيًّا لأن المرء على دين خليله، وصُحبة العُبَّاد تنشط على العبادة، انظر صلاة الجماعة تجد من يسرِها وخِفَّتِها وضبطها ما لا تجد في الصلاة وحدك، هكذا التعاون على الخير فيه خير عظيم، وأمهات العبادات تجدها مجتمعة ، الصيام يصوم الناس جميعاً، وهكذا الحج والصلاة والزكاة يُخرِجون زكاتهم في شهر واحد، الجهاد لا يقوم إلا بالتعاون.

فإذا وجد الشخص من يعينه على الخير و الطاعة فذلك توفيق عظيم من الله تعالى، حتى في العلم إذا اجتمع الطلبة وتعاونوا وتناشطوا وراجعوا مع بعضهم يحصل خير كثير.

---

(١) وقد يكون المعنى: ما سبق من النصح والمنازل نعم الرفيق لمن اشتغل بها.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته

وأن يرزقنا التقوى ظاهراً وباطناً

وأن يوفقنا للسير إلى مرضاته والفوز بجناته

ولا حول ولا قوة إلا بالله

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.



شرح

قصيدة

خَلِّ ادِّكَارَ الأَرْبُعِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله، أما بعد:

فهذه تعليقات على قصيدة (خل ادكار الأربع) للأديب أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت ٥١٠) ذكرها في «المقامات» في المقامة البصرية، وفيها مواعظ وعبر، وحِكم ودرر، يستفيد منها المسلم عموماً وطالب العلم خصوصاً، ويعظم النفع بفهم المعاني ومعرفة المقاصد، والحريري له شطحات كثيرة، وهذه القصيدة خالية منها.

والله ولي التوفيق.

كتبه / أبو عبد الله المصنعي

ربيع ثاني عام ١٤٣٥هـ

❊❊❊❊

خَلِّ ادِّكارَ الأَرْبُعِ

١ خَــلِّ ادِّكَــارَ الأَرْبُــعِ والمَعْهَــدِ المُرْتَبِــعِ
٢ والظَّــاعِنِ المُــوَدِّعِ وعَــدِّ عَنــهُ وَدَعِ
٣ وانــدُبْ زَمَانًــا سَــلَفَا سَــوَّدَتَ فِيــهِ الصُّــحُفَا
٤ ولَمْ تَــزَلْ مُعْتَكِفَــا عــلى القَبَــيْحِ الشَّــنِعِ
٥ كَــمْ لَيْلَــةٍ أَوْدَعْتَهَــا مــآثِمًا أَبْــدَعْتَهَا
٦ لِشَــهْوةٍ أَطَعْتَهَــا في مَرْقَــدٍ ومَضْــجَعِ
٧ وكَــمْ خُطًــى حَثَثْتَهَــا في خِزْنَــةٍ أَحْــدَثْتَها
٨ وتَوْبَــةٍ نَكَثْتَهَــا لِمَلْعَــبٍ وَمَرْتَــعِ
٩ وكَــمْ تَجَــرَّأْتَ عَــلَى رَبِّ السَّــماواتِ العُــلَى
١٠ ولم تُرَاقِبْــهُ وَلاَ صَــدَقْتَ فِــيمَا تَــدَّعِي
١١ وكَــم غَمَصْــتَ بِــرَّهُ وكَــمْ أَمِنْــتَ مَكْــرَهُ
١٢ وكَــم نَبَــذْتَ أَمْــرَهُ نَبْــذَ الحِــذَا المُرَقَّــعِ
١٣ وكَــمْ رَكَضْــتَ في اللَّعِــبْ وفُهْــتَ عَمْــدًا بالكَــذِبْ
١٤ ولم تُــراعِ مَــا يَجِــبْ مِــن عَهْــدِهِ المتَّبَــعِ
١٥ فَــالْبَسْ شِــعَار النَّــدَمِ واسْــكُبْ شــآبِيْبَ الــدَّمِ
١٦ قَبْــلَ زَوَالِ القَــدَمِ وقَبْــلَ سُــوءِ المَصْرَــعِ
١٧ واخْضَــعْ خُضُــوعَ المُعْــتَرِفْ ولُــذْ مَــلاَذَ المُقْــتَرِفْ
١٨ واعْــصِ هَــوَاكَ وانْحَــرِفْ عَنْــهُ انْحِــرَافَ المُقْلِــعِ
١٩ إلاَمَ تَسْــهُو وَتَنِــي ومُعْظَــمُ العُمْــرِ فَنِــي

٢٠ فِيمَا يَضُرُّ المُقْتَنِي ... ولَسْتَ بالمُرْتَدِعِ
٢١ أَما تَرى الشَّيْبَ وَخَطْ ... وخَطَّ في الرأسِ خُطَطْ
٢٢ ومَن يَلِحْ وخْطُ الشَّمَطْ ... بِفَوْدِهِ فَقَدْ نُعِي
٢٣ وَيْحَكِ يا نَفْسُ احْرَصِي ... على ارْتِيَادِ المَخْلَصِ
٢٤ وطَاوِعِي وأخْلِصِي ... واسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي
٢٥ واعْتَبِري بمَنْ مَضَى ... مِنَ القُرُونِ وانْقَضَى
٢٦ واخْشَيْ مُفَاجَأَةَ القَضَا ... وحَاذِري أَنْ تُخْدَعِي
٢٧ وانْتِهِجِي سُبْلَ الهُدَى ... وادَّكِرِي وَشْكَ الرَّدَى
٢٨ وَأَنَّ مَثْوَاكِ غَدَا ... في قَعْرِ لَحْدٍ بَلْقَعِ
٢٩ آهًا لَهُ بَيْتُ البِلَى ... والمَنْزِلُ القَفْرُ الخَلاَ
٣٠ ومَوْرِدُ السَّفْرِ الأُوَلَى ... واللاَّحِقِ المتَّبَعِ
٣١ بَيْتٌ يُرَى مَنْ أَودَعَهْ ... قَدْ ضَمَّهُ واسْتَوْدَعَهْ
٣٢ بَعْدَ الفَضَاءِ والسَّعَةْ ... قَيْدَ ثَلاَثِ أَذْرُعِ
٣٣ لا فَرْقَ أَنْ يَحُلَّهُ ... دَاهِيَةٌ أَوْ أَبْلَهُ
٣٤ أَوْ مُعْسِرٌ أَوْ مَنْ لَهُ ... مُلْكٌ كَمُلْكِ تُبَّعِ
٣٥ وبَعْدَهُ العَرْضُ الَّذِي ... يَحْوِي الحَيِيَّ وَالبَذِي
٣٦ والمُبْتَدِي والمُحْتَذِي ... ومَنْ رَعَى ومَنْ رُعِي
٣٧ فَيَا مَفَازَ المُتَّقِى ... ورِبْحَ عَبْدٍ قَدْ وُقِي
٣٨ سُوءَ الحِسَابِ المُوبِقِ ... وهَوْلَ يَومِ المَفْزَعِ

٣٩	ويـــا خَسَــارَ مَـــنْ بَغَـــى	ومَـــن تَعَـــدَّى وطَغَـــى
٤٠	وشَـــبَّ نِـــيْرانَ الـــوَغَى	لِمَطْعَـــمٍ أَوْ مَطْمَـــعِ
٤١	يـــا مَـــنْ عَليـــهِ المُتَّكَـــلْ	قَـــد زَادَ مَـــا بِي مِـــن وَجَـــلْ
٤٢	لِمَـــا اجْتَرَحْـــتُ مِـــن زَلَـــلْ	فِي عُمْـــرِيِ المُضَـــيَّعِ
٤٣	فـــاغْفِرْ لِعَبْـــدٍ مُجْـــتَرِمْ	وارْحَـــمْ بُكَـــاهُ المُنْسَـــجِمْ
٤٤	فأنـــتَ أَوْلَى مَـــن رَحِـــمْ	وخَـــيْرُ مَـــدْعُوٍّ دُعِـــي



١	خَــــلِّ ادِّكَـــــارَ الأَرْبُـــــعِ	والمَعْهَـــــــــدِ المُرْتَبِـــــــــعِ
٢	والظَّـــــاعِنِ المُـــــوَدَّعِ	وعَـــــــدِّ عَنـــــــهُ وَدَعِ
٣	وانـــــدُبْ زَمَانًـــــا سَـــــلَفَا	سَـــــوَّدَتَ فِيـــــهِ الصُّـــــحُفَا
٤	ولَمْ تَـــــزَلْ مُعْتَكِفَـــــا	عـــــلى القَبِـــــيْحِ الشَّـــــنِعِ

الشرح

١- (خَلِّ) اترك (ادِّكَارَ) تذكر واستحسان (الأَرْبُعِ) جمع رَبْع، وهي الدار ومحل الإقامة والسكن والراحة، (والمَعْهَدِ) المكان الذي عهد التردد عليه بين الحين والآخر، (المُرْتَبِع) المنزل الذي ينزله في الربيع، يقول: اترك التفكر والتذكر في هذه الأمور الدنيوية والملذات.

٢- (والظَّاعِنِ المُوَدَّعِ) الظاعن: المرتحل، أي: كل ما سبق مرتحل عنك ومودع لك، وقد يراد به النساء، والأول أحسن. (وعَدِّ) جاوزه، (وَدَعِ) اترك التفكر فيها.

٣- (واندُبْ) ابكِ واحزن (زَمَانًا سَلَفَا) مضى وانقضى، (سَوَّدَتَ فِيهِ الصُّحُفَا) سودت صحف أعمالك بالخطايا والآثام وارتكاب الحرام، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمسك عليك لسانك، وابكِ على خطيئتك»، ومن لم يبكِ ذنوبه في الدنيا بكاها في الآخرة، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [سورة النبأ:٤٠]، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [سورة الفجر:٢٣].

٤- (ولَمْ تَزَلْ) مستمراً (مُعْتَكِفَا) ملازماً (على القَبِيْحِ الشَّنِعِ) الذنوب القبيحة الفظيعة والكبائر، فالويل لمن هذا حاله، ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف:٩٩].



٥	كَـــمْ لَيْلَـــةٍ أَوْدَعْتَهَـــا	مَـــــــآثِمًا أَبْـــــــدَعْتَهَا
٦	لِشَـــــهْوةٍ أَطَعْتَهَـــا	في مَرْقِـــــدٍ ومَضْـــــجَعِ

الشرح

٥- أخذ يعدد ذنوبه ويعاتبه عليها فيقول: (كَمْ لَيْلَةٍ) من الليالي، ويدخل فيها الأيام عند الإطلاق، (أَوْدَعْتَهَا) عملت فيها، فحفظت عملك كالوديعة تحفظ ثم ترد لصاحبها، والأعمال تودع في أزمانها إلى يوم القيامة، ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة النحل:١١١]، ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الجاثية:٢٩]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨]، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الجاثية:٢٨]، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة الكهف:٤٩].

(مآثِمًا) جمع إثم، والمراد: الذنوب التي يأثم مرتكبها.

(أَبْدَعْتَهَا) اخترعتها وتفننت في ممارستها.

٦- (لِشَهْوةٍ أَطَعْتَهَا) انقدت وراء الشهوات والنفس الأمارة بالسوء، (في مَرْقِدٍ ومَضْجَعِ) محرم كالزنا والخمر وغير ذلك من الذنوب، ولم تتفكر ما ستلقى غداً بين يدي ربك، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [سورة الحشر:١٨].



٧	وكَـــمْ خُطًـــى حَثَثْتَهَـــا	في خِزْنَـــــةٍ أَحْـــــدَثْتَها
٨	وتَوْبَـــــةٍ نَكَثْتَهَـــــا	لِمَلْعَـــــبٍ وَمَرْتَـــــعِ
٩	وكَـــمْ تَجَـــرَّأْتَ عَـــلَى	رَبِّ السَّـــماواتِ العُـــلَى
١٠	ولم تُرَاقِبْـــــــــهُ وَلاَ	صَـــدَقْتَ فِـــيمَا تَـــدَّعِيْ

الشرح

٧- (وكَمْ خُطًى) مشيت (حَثَثْتَهَا) أسرعت بها حرصاً منك على إدراك الذنب ولم تبال بالعواقب (في خِزْنَةٍ) البلية والذنب الذي يستحي منه فاعله أمام الناس، (أَحْدَثْتَها) فعلتها وتجاسرت على ممارستها، فأين المفر؟

٨- (وتَوْبَةٍ) وكم توبة (نَكَثْتَها) نقضتها بالمعاودة إلى الذنب بعد تركه، فالتوبة: الإقلاع عن الذنب والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليه.

(لِمَلْعَبٍ) تلهو به (وَمَرْتَعِ) ومأكل وملذات رتعت فيها في الحرام، ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [سورة الحديد:٢٠] الآية. ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة النحل:١١٧]، فهذه المراتع والملاعب والمحرمات متاع قليل وإثمها وعقابها أليم.

إن أَهنـــى عِيشـــةٍ قَضـــيتها ذهبـــت لـــذاتُها والإثـــم حَـــلْ

٩- (وكَمْ تَجَرَّأْتَ) ولم تستح ولم تبال وارتكبت الذنب بجراءة، والله يعلمك ويراك، (العُلَى) المرتفعة.

١٠- (ولم تُرَاقِبْهُ) في سرك وخلواتك، (وَلاَ صَدَقْتَ فِيمَا تَدَّعِيْ) من حبه والخوف منه والرغبة إليه ... ادَّعيت هذا وعملك يخالفه، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾

١١	وكَـم غَمَصْـت بِـرَّهُ	وكَـمْ أَمِنْـتَ مَكْـرَهُ
١٢	وكَـم نَبَـذْتَ أَمْـرَهُ	نَبْـذَ الحِـذَا المُرَقَّـعِ
١٣	وكَـمْ رَكَضْـتَ في اللَّعِـبْ	وفُهْـتَ عَمْـدًا بالكَـذِبْ
١٤	ولم تُـراعِ مَـا يَجِـبْ	مِـن عَهْـدِهِ المتَّبَـعِ

الشرح

١١- (وكَم غَمَصْتَ) احتقرت ولم تشكر (بِرَّهُ) إحسانه وفضله عليك، (كَمْ أَمِنْتَ) ولم تخف مفاجأة عقوبته (مَكْرَهُ) استدراجه لك ثم أخذك بغتة، ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الأعراف:٩٧-٩٩].

١٢- (وكَم نَبَذْتَ) تركت ولم تلتفت إليه (أَمْرَهُ) أمره بالطاعة أو نهيه عن المعصية، قال تعالى في اليهود: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [سورة البقرة:٩٣]، وهذه الثلاث أمهات الذنوب: عدم الشكر، والأمن من مكر الله، ومعصية أمره، أعاذنا الله من ذلك!

(نَبْذَ الحذَا المُرَقَّعِ) كأن المعنى: المرقع إذا تقطع فيكون هكذا (نبذ الحذا المقطع) لا يبالي الإنسان به إذ لا يصلح للاستعمال.

١٣- (وكَمْ رَكَضْتَ) الجري (في اللَّعِبْ) في ملاهي الدنيا ولذاتها واغتررت بها، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [سورة الحديد:٢٠].

(وفُهْتَ) نطقت وتكلمت (عَمْدًا) قاصداً (بالكَذِبْ) المحرم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [سورة يونس:٦٩]، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الكذب يهدي إلى الفجور» الحديث.

١٤- (ولم تُراع) وتحفظ (مَا يَجِبْ) حفظه (مِن عَهْدِهِ) أمره الذي عهد به إلى عباده بأن يطيعوه ولا يعصوه، (المتَّبَعِ) الواجب عليك اتباعه، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء:٢٣] الآيات. ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [سورة الأعراف:٣]، ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠﴾ [سورة يس:٦٠]، فمن عصى ربه ومولاه وأطاع الشيطان فقد نقض عهد الله تعالى.



١٥	فـــالْبَسْ شِــــعَار النَّـــدَمِ	واسْـــكُبْ شـــآبِيْبَ الـــدَّمِ
١٦	قَبْـــــلَ زَوَالِ القَـــــدَمِ	وقَبْـــلَ سُـــوءِ المَصْرَـــعِ

الشرح

١٥- (فالْبَسْ) كن لابساً بالندم والتوبة، (شِعَار النَّدَمِ) أعظم الندم، والشعار: الملابس التي تلي البدن، والمعنى: ليكن الندم محيطاً بقلبك كالثياب الملاصقة للبدن.

(واسْكُبْ شآبيْبَ) الدفعة من المطر الشديد، والمراد: ابكِ حتى تسيل دموعك كالمطر ندماً على ما مضى من الذنوب، (الدَّمِ) الدمع، كأنه بكى الدمع حتى بكى الدم لشدة بكائه، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤﴾ [سورة الزمر:٥٤]، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ١٠٩﴾ [سورة الإسراء:١٠٩]، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً».

١٦- (قَبْلَ زَوَالِ القَدمِ) من زلت أعماله في الدنيا عن الحق والصواب زل قدمه عن الصراط يوم القيامة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الصراط: «مدحضة مزلة، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق ... فناجٍ مُسَلَّم، ومخدوش مرسل ومكدوس في جهنم».

(وقَبْلَ سُوءِ المَصْرَعِ) سوء الخاتمة، يصرعه ملك الموت، ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [سورة الزمر:٥٦] الآيات. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ ١٠٠﴾ [سورة المؤمنون:٩٩-١٠٠] الآية.



١٧	واخْضَعْ خُضُوعَ المُعْتَرِفْ	ولُذْ مَلاَذَ المُقْتَرِفْ
١٨	واعْصِ هَوَاكَ وانْحَرِفْ	عَنْهُ انْحِرَافَ المُقْلِعِ

الشرح

١٧- (واخْضَعْ) تذلل وتواضع لربك، (خُضُوعَ) مثل خضوع وتذلل (المُعْتَرِفْ)بذنبٍ جناه يرجو العفو عنه، (ولُذْ) الجأ إلى الله تعالى ليقبلك (مَلاَذَ) ملجأ (المُقْتَرِفْ) المذنب إذا تاب وصدق فإنه يلجأ إلى الله تعالى ويتذلل بين يديه ليلاً ونهاراً، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [سورة القصص:١٦]، ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٢٣]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [سورة التحريم:٨]، وفي قصة ماعز الأسلمي موعظة في عظمة توبته وصدقه مع الله تعالى.

١٨- (واعْصِ) خالف (هَوَاكَ) فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص:٢٦].

(وانْحَرِفْ) مِل عنه وجانِبْه، (انْحِرَافَ المُقْلِعِ) عن الذنب لا يلتفت إليه أبداً ولا يرجع إليه، ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٢٣].



١٩	إِلاَمَ تَسْـــــهُو وَتَنِـــــــي	ومُعْظَـــمُ العُمْـــرِ فَنِـــي
٢٠	فِـــيمَا يَضُرُّ ـــ المُقْتَنِــــي	ولَسْـــتَ بالمُرْتَـــدِعِ

الشرح

١٩- (إِلاَمَ) إلى متى (تَسْهُو) السهو: النسيان والغفلة، (وَتَنِي) تضعف وتفتر وتتكاسل وتتأخر عن التوبة والمسارعة في الطاعات حتى تموت؟ ثم تقول: يا ليتني قدمت لحياتي، يا ليتني تبت قبل الموت؟ يا حسرتا! يا ويلتا! يا ثبوراه! ... كل هذا لا ينفع بعد فوات الأوان، (ومُعْظَمُ) أكثر (العُمْرِ فَنِي) ذهب وانقضى في الغفلات، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [سورة فاطر:٣٧]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أعذر الله إلى امرئ بلغه الستين» أي: لا عذر له في ترك الطاعات والتفريط فيها والتواني في التوبة.

٢٠- (فِيمَا يَضُرُّ المُقْتَنِي) الاقتناء: تملك الشيء وادخاره لنفسه، وكأن المراد: جمع الدنيا، فالإنسان يجمعها فتضره لا سيما إذا شغلته عن الطاعة، ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [سورة التكاثر:١-٢]، شغلكم جمع الدنيا وطلب الكثرة فيها حتى متم ودفنتم.

(ولَسْتَ بالمُرْتَدِعِ) الكاف عن جمع الدنيا والانشغال بها حتى ترحل عنها بلا عمل ولا حسنات، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتقوا الدنيا واتقوا النساء»، أي: احذروا فتنة الدنيا، وقال: «من أحب دنياه أضر بآخرته»، صحيح الجامع.

وقد يراد بالمقتني: المذنب، تجمع ذنوبه في صحائفه، فهو من باب التشبيه.



٢١ أَمـــا تَـــرى الشَّـــيْبَ وَخَـــطْ | وخَـــطَّ في الـــرأسِ خِـــطَطْ
٢٢ ومَـــن يَلِـــحْ وخْـــطُ الشَّـــمَطْ | بِفَـــوْدِهِ فَقَـــدْ نُعِـــي

الشرح

٢١- (أَما تَرى) بعينك فتعتبر، (الشَّيْبَ) بياض الشعر في اللحية والرأس، (وَخَطْ) خالط شعر الرأس حتى صار (خُطَطْ) بعضه أسود وبعضه أبيض كالخطوط المختلفة الألوان، (ومَن يَلِحْ) ظهر ولمع (الشَّمَطْ) بياض الشعر يخالطه سواد (بِفَوْدِهِ) معظم شعره مما يلي الأذن، لأنه أسرع إلى الشيب من غيره، (فَقَدْ نُعِي) دنا موته، فهو علامة على قرب الأجل، والشيب نذير وواعظ كل إنسان من نفسه، فإن شابَ في معصية فقد بلغ الذم به منتهاه.

مـــا أقـــبح التفـــريط في زمـــن الصـــبا | فكيف به والشـيب للـرأس شـاعل
ويَقْـــبُح بـــالفتى فِعْـــلُ التَّصـــابي | وأقـــبحُ منـــه شـــيخاً قـــد تفَتَّـــى

أي: فعل كفعل الفتى الشاب الطائش.

ومن شاب على الطاعة فليبشر، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة»، «صحيح الجامع»، وفي رواية: «إلا كانت له نوراً يوم القيامة» رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وقال: «ليس أحدٌ أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتكبيره وتحميده وتسبيحه وتهليله»، رواه أحمد عن طلحة رضي الله عنه.



٢٣	وَيْحَكِ يا نَفْسُ احْرَصِي	على ارْتِيَادِ المَخْلَصِ
٢٤	وطَاوِعِي وأخْلِصِي	واسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي

الشرح

٢٣- (وَيْحَكِ) كلمة عتاب وترحُّم، (يا نَفْسُ) يحاسب نفسه ويدعوها إلى النظر فيما ستقدم عليه، (احْرَصِي) اجتهدي (ارْتِيَادِ) طلب والبحث عن (المَخْلَصِ) الطريق الذي يُنجيك من ورطات الآخرة.

وسبلُ النجاة: التوحيد والاتباع والطاعة، كما أن سبل الهلاك: الشرك والبدعة والمعصية، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٧١]، ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ۝٣٦﴾ [سورة الأحزاب:٣٦].

٢٤- (وطَاوِعِي) وافقي وليني وانقادي لأمر الله سبحانه، (وأخْلِصِي) الإخلاص: أن يقصد العبد بطاعته وجه الله تعالى، (واسْتَمِعِي النُّصْحَ) سماع قبول (وَعِي) افهمي واعملي، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [سورة الأنفال:٢٤].

٢٥- (واعَتِبرِي) اتعظي (بِمَنْ مَضَى) ماتوا وهلكوا في خير أو شر (مِن القُرونِ) السالفة (وانْقَضَى) زمانهم وبقيت أعمالهم يلقون ربهم بها، ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٢٨﴾ [سورة الجاثية:٢٨].



٢٥	واعَتِـــبري بمَــــنْ مَضَى ـــــ	مِـــن القُـــرُونِ وانْقَضَى ـــــ
٢٦	واخْشَيْـــ مُفَاجَـــأَةَ القَضَـــا	وحَـــــاذِرِي أَنْ تُخْـــــدَعِي
٢٧	وانْتِهجِـــي سُـــبْلَ الهُـــدَى	وادَّكِـــرِيْ وَشْـــكَ الـــرَّدَى
٢٨	وَأَنَّ مَثْـــــوَاكِ غَـــــدَا	فِي قَعْـــرِ لَحْـــدٍ بَلْقَـــعِ

الشرح

٢٦- (واخْشَيْ) خافي أشد الخوف (مُفَاجَأَةَ القَضَا) الموت، (وحَاذِرِي أَنْ تُخْدَعِي) بالدنيا وملاذتها، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [سورة فاطر:٥].

٢٧- (وانْتِهَجِي) اسلكي (سُبْلَ) طرق، وإنما جمعها باعتبار تعدد الأعمال والعبادات، وكلها تدخل تحت سبيل واحد وصراط واحد، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]، فالحق واحد لا يتعدد.

(وادَّكِرِيْ) تذكري (وَشْك) قرب وسرعة (الرَّدَى) الهلاك بالموت، ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۝١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١٤﴾ [سورة المؤمنون:١١٢-١١٤]، فالحياة مهما طالت أمد قصير وعمرٌ يسير، فالسعيد من اتخذها مطية للآخرة.

٢٨- (وَأَنَّ مَثْوَاكِ غَدَا) وتذكري يا نفس أن منزلك غداً بعد الموت (فِي قعْرِ) أسفل (لَحْدٍ) لحد القبر (بَلْقَعِ) خالٍ من كل أنيس وجليس إلا العمل الذي قدمه العبد كما في حديث البراء الطويل: «فيأتيه رجل حسن الثياب حسن الوجه فيقول: أنا عملك الصالح»، والفاجر يقول له عمله: «أنا عملك الخبيث»، وقال صلى الله عليه وسلم «يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد: يرجع أهله وماله ويبقى عمله»، رواه مسلم.

٢٩	آهًــــا لَـــــهُ بَيْـــــتِ الـــــبِلَى	والمَنْــــزِلُ القَفْـــــرُ الخَــــلا
٣٠	ومَـــــــوْرِدِ السَّـــــفْرِ الأُولَى	واللاَّحِـــــــقِ المُتَّبَـــــــعِ
٣١	بَيْــــتٌ يُـــرى مَـــنْ أُودِعَـــهُ	قَـــدْ ضَـــمَّهُ واسْــــتَوْدَعَهْ
٣٢	بَعْـــدَ الفَضَـــاءِ والسَّـــعَةْ	قَيْـــــدَ ثَـــــلاثِ أَذْرُعِ

الشرح

٢٩- (آهًا) كلمة توجع وتألم - وهو اسم فعل مضارع - أتوجع منه.

(بَيْتُ البِلَى) الفناء، والمراد: أن جسده يبلى حتى يصير تراباً، (والمَنْزِلِ) الذي سينزله العبد بعد موته (القَفْرِ الخَلاَ) الخالي من كل مؤنس كما سبق.

٣٠- (ومَوْرِدِ) موضع نزولهم، (السَّفْرِ الأُولَى) السابقون من الخلق، (واللاَّحِقِ المُتَّبَعِ) من بعدهم من الخلق، كان ﷺ إذا زار المقابر قال: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، أنتم السابقون ونحن اللاحقون».

الموت كأسٌ وكـل النـاس شـاربه ... والقبر بيـت وكـل النـاس داخلـه

٣١- (بَيْتٌ يُرى مَن أُودِعَهْ) القبر يرى الناسُ من وضع فيه، (قد ضَمَّهُ) أغلق عليه (واسْتَوْدَعَهْ) فلا مخرج له منه إلى يوم القيامة، ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون:١٠٠].

٣٢- (بَعْدَ الفَضَاءِ) في الدنيا (والسَّعَةْ) فيها يتنقل منها حيث شاء ثم وضع في القبر الضيق (قَيْدَ) مقدار (ثَلاثِ أَذْرُعِ) ثم يزاد ضيقاً إن ساء العمل، أو يتسع مد البصر إن حسن العمل، اللهم يسر لنا فعل الخيرات وترك المنكرات!



٣٣ لا فَــــــــرْقَ أَنْ يَحِلَّـــــــهُ	دَاهِيَـــــــــةٌ أَوْ أَبْلَـــــــــهُ
٣٤ أَوْ مُعْسِرٌ ـــــأَوْ مَـــــنْ لَـــــهُ	مُلْــــــكٌ كَمُلْــــــكِ تُبَّـــــعِ
٣٥ وبَعـــــدَهُ العَــــرْضُ الَّـــــذِي	يَحْــــوِي الحَيِـــــيَّ وَالبَـــــذِي
٣٦ والمُبْتَـــــــدِي والمُحْتَـــــــذِي	ومَـــنْ رَعَـــى ومَـــن رُعِـــي

الشرح

٣٣- (لا فَرْقَ) بين الناس في القبر (أَنْ يَحِلَّهُ) ينزل فيه ويطول مكثه، (دَاهِيَةٌ) الذكي الفطن لدقيق الأمور وكبيرها، (أَوْ أَبْلَهُ) الأحمق الضعيف في عقله ورأيه.

٣٤- (أَوْ مُعْسِرٌ) فقير مسكين (أَوْ مَنْ لَهُ مُلْكٌ) من الملوك والزعماء والعظماء والأغنياء ولو ملك (كَمُلْكِ تُبَّعِ) ملك اليمن في زمانه من ملوك حمير، لا فرق بين هذا وهذا إلا بالتقوى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات:١٣].

٣٥- (وبَعدَهُ) بعد القبر (العَرْضُ) الحشر والعرض على الله سبحانه وتعالى، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الحاقة:١٨].

(الذِي يَحْوِي) يجتمع فيه (الحَيِيَّ) ذو الحياء (وَالبذِي) الفاحش اللفظ والكلام.

٣٦- (والمُبْتَدِي) من ابتدأ فعل الشيء كالزعماء والعلماء والكبراء، (والمُحْتَذِي) المقتدى بهم من الأتباع، (ومَنْ رَعَى) كالولاة، (ومَن رُعِي) كالرعية، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف:٤٧].



٣٧	فيَـــــا مفَـــــازَ المُتقَّـــــى	ورِبْـــحَ عَبْـــدٍ قَـــدْ وُقِـــي
٣٨	سُـــوءَ الحِسَـــابِ المُوبِـــقِ	وهَـــوْلَ يَـــومِ المَفْـــزَعِ
٣٩	ويـــا خَسَـــارَ مَـــنْ بَغَـــى	ومَـــنْ تَعَـــدَّى وطَغَـــى
٤٠	وشَـــبَّ نِـــيْرانَ الـــوَغَى	لِمَطْعَـــمٍ أَوْ مَطْمَـــعِ

الشرح

٣٧- (فيَا مفَازَ) بشراه بالفوز والنجاة، (المُتِقَّي) الذي أدى حق الله تعالى وحق خلقه، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة النبأ:٣١-٣٣] الآيات. (ورِبْحَ) الربح: الزيادة على رأس المال، وهو ضد الخسارة. (عَبْدٍ) اجتهد لهذا اليوم، (قَدْ وُقِي) كفي ونجاه الله تعالى .

٣٨- (سُوءَ الحِسَابِ) وشدائده، (المُوبِقِ) المهلك، (وهَوْلَ) شدائد وأحوال (يَومِ المَفْزَعِ) الأكبر يوم القيامة، ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة النمل:٨٩]، ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الانشقاق:٨-٩].

٣٩- (ويا خَسَارَ) ضد الربح، وهو ضياع رأس المال، ورأس مالك عمرك، (مَنْ بَغَى) تعدى وظلم ، (وطَغَى) أسرف في الظلم والذنوب، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النازعات:٣٧-٣٩].

٤٠- (وشَبَّ) أوقد ونفخ (نِيْرانَ الوَغَى) الحرب بالباطل، وقد يُراد به: دعا إلى الذنوب ودافع عنها، (لِمَطْعَمٍ) مأكل (مَطْمَعِ) دنيوي من شهوات أو شبهات أو جاه ورياسة.

وقال سبحانه: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢٧]، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الزمر:١٥].



٤١	يـــا مَـــنْ عليـــهِ المُتَّكَـــلْ	قَـــد زادَ مَـــا بي مِـــن وَجَـــلْ
٤٢	لِمَـــا اجْتَرَحْـــتُ مِـــن زَلَـــلْ	فِي عُمْـــرِي المُضَـــيَّعِ
٤٣	فَـــاغْفِرْ لِعَبْـــدٍ مُجْـــتَرِمْ	وارْحَـــمْ بُكَـــاهُ المُنْسَـــجِمْ
٤٤	فأنـــتَ أَوْلَى مَـــن رَحِـــمْ	وخَـــيْرُ مَـــدْعُوٍّ دُعِـــي

الشرح

٤١- (يا مَن عَليهِ المُتَّكَلْ) المعتمد، والتوكل: صدق اعتماد القلب على الله سبحانه، (قَد زَادَ) كثر (مَا بِي) بقلبي (مِن وَجَلْ) خوف، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال:٢].

٤٢- ثم ذكر سبب الخوف (لِمَا اجْتَرَحْتُ) اكتسبت بجوارحي من قول أو فعل لا يرضيك (مِن زَلَلْ) من ذنوب، (فِي عُمْرِي المُضَيَّعِ) الذي أضعته فيها لا يعود بنفع لآخرتي، ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الزمر:٥٦]، ﴿يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [سورة الأنعام:٣١].

٤٣- (فاغْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمْ) مذنب، والجرم: الذنب العظيم، ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [سورة نوح:١٠]، ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [سورة الزمر:٥٣].

(وارْحَمْ بُكَاهُ المُنْسَجِمْ) السائل، يريد أنه كثير البكاء والدموع خوفاً من الله تعالى، ومن صدق في ذلك فيرجى له أن يدخل في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله...».

٤٤- (فأنتَ أَوْلَى مَن رَحِمْ) الله أرحم الراحمين واسع الرحمة، فمن طرق أبواب الرحمة يرجى له أن يظفر بها، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩﴾ [سورة الحديد:٩]، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١١٨﴾ [سورة المؤمنون:١١٨].

(وخَيْرُ مَدْعُوٍّ دُعِي) اللهم ارحمنا وتقبل منا يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



معاني

الأسماء الحسنى

(طريقة سهلة لفهم الأسماء الحسنى)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ

أما بعد: فهذه مشاركة في ذكر أسماء الله عز وجل مع ذكر أدلتها ومعانيها، بما يعين المسلم على فهمها بعد حفظها عملاً بقول النبي ﷺ (إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) متفق عليه (خ٦٤١٠/ ٢٧٣٦) (م٢٦٧٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

واتفق العلماء[١] على أن الأسماء الحسنى لاتحد بعدد وأنها أكثر من(تسعة وتسعين) وإنما خُص هذا العدد بالذكر من غير تعيين والحكمة وهي: أن يسعى الإنسان المسلم في حفظ وفهم جميع الأسماء الواردة في الكتاب والسنة فيكون عدم تعيينها من جنس ليلة القدر، والساعة التي يستجاب فيها الدعاء والله أعلم.

واعلم رحمك الله تعالى أن تعيين الأسماء الصريحة الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة سهل، ولكن هناك أسماء غير صريحة؛ كالفاطر والحفي والمحيط ومع هذا فقد ذكرتُ الصريح وشبة الصريح كالمقيت والمحيط ...الخ

وبينت معانيها باختصار.

وأسأل الله الكريم أن يرزقني وإياكم إحصاؤها.

والله المستعان.

معبر ١٤٢٤ هـ



(١) نقل النووي الإتقان وهو قول الجمهور لمخالفة ابن حزم وغيره.

أهمية معرفة معاني الأسماء الحسنى

وإن مما يبين أهمّيّة موضوع أسماء الله الحسنى أموراً كثيرة منها:

١ – أنّ العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته أشرف العلوم، وأجلها على الإطلاق لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو الله سبحانه وتعالى بأسمائه، وصفاته وأفعاله، فالاشتغال بفهم هذا العلم اشتغال بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهب.

٢ – إن معرفة الله تعالى تدعو إلى محبته، وخشيته، وخوفه، ورجائه، ومراقبته، وإخلاص العمل له، وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بمعرفة أسمائه الحسنى، والتفقه في معانيها.

٣ – إن معرفة الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسني مما يزيد الإيمان لأنّ الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومعرفتها يتضمّن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبيّة، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء، والصفات، وهذه الأنواع هي رَوح الإيمان وروحه، وأصله وغايته فكلّما ازداد العبد معرفة بأسماء الله تعالى، وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: أطيب ما في الدنيا معرفة الله تعالى، وأطيب ما في الآخرة النظر إليه. أ.هـ ومن كان بأسماء الله تعالى أجهل كان بالله تعالى أعظم جهلًا.

٤ – إحصاؤها حفظها ومعرفة معانيها والعمل بمقتضاها وتعبد الله عز وجل بها.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: كما أن معرفته والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين كلها. فمعرفته أجل المعارف، وإرادة وجهه أجل المقاصد، وعبادته أشرف الأعمال، والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال، وذلك أساس الحنيفية ملة إبراهيم[١].

****

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٩٥).

تعريف الأسماء الحسنى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح الأصفهانية: الأسماء الحسنى المعروفة: هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها.

قال تعالى: ﴿وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

وقد تقدم في القواعد المثلى ذكر ضوابط الأسماء الحسنى.

الأسماء الحسنى من القرآن الكريم بأدلتها

١-٢-الله، الإله:

والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ﴾(الأنعام: ١٠٢) وقال تعالى: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلّا هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

المعنى: المألوه المعبود الحق المستحق للعبودية وحده لا شريك له.

(الله) هو العلم المفرد الدال على الذات المقدسة، المتضمن جميع معاني الأسماء والصفات.

وهو الاسم الأعظم على الراجح.

٣-٤ - الأحد، الواحد:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص:١) وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد: ١٦).

المعنى: الذي تفرد بكل كمال وجلال فليس له مثيل ولا نظير بوجه من الوجوه.

٥-٦-٧ الأعلى، العلي، المتعال:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١) وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ (الأعلى:١)

وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ (الرعد:٩).

المعنى: الذي له العلو المطلق: علو الذات وعلو القدر والصفات وعلو القهر، فهو الذي على العرش استوى وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجمال وأعلى الكمال اتصف سبحانه وتعالى.

٨-٩- الأكرم، الكريم:

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ (العلق:٣) ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.

المعنى: الذي له الكرم المطلق، الجواد الذي لا ينفذ عطاؤه، والذي أكرم جميع خلقه بالعطاء الكثير والرزق المتتابع وسائر النعم.

وأكرم عباده المؤمنين بالإيمان والإسلام والطاعة والعلم، وأكرمهم بالعفو والجنة والنعيم المقيم فيها.

١٠-١٣- الأول والآخر، الظاهر والباطن:

قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (الحديد: ٣).

المعنى: الأول الذي ليس قبله شيء. والآخر: الذي ليس بعده شيء.

الظاهر: العالي فوق كل شيء. الباطن: المطّلع على كل شيء.

١٤- البارئ:

قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (الحشر: ٢٤).

المعنى: الذي خلق الخلق وأوجدهم من عدم وميز بعضهم عن بعض.

فهو أخص من معنى اسم الله تعالى الخالق. كما سيأتي.

١٥ – البصير:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

المعنى: الذي يرى كل شيء ظاهرًا وباطنًا، العالم بخفيات الأمور وأعمال الخلق وأحوالهم، وما يستحقون من النعم والنِقم في الدنيا والآخرة.

١٦ –البَّر:

قال تعالى: ﴿هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (الطور: ٢٨)

المعنى: الذي عمّ بره وإحسانه ورزقه ولطفه جميع خلقه.

وهو قريب من معنى المعطي والكريم.

١٧ – التَّواب:

قال تعالى: ﴿هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٣٧).

المعنى: التواب أي: الذي يقبل من عبادة التوبة، فيوفقهم أولاً للرجوع والإنابة والإقبال عليه، ويتوب عليهم بقبول توبتهم وغفران ذنوبهم ويفرح بتوبتهم إليه.

والتواب صيغة مبالغة تدل أن التوبة كلما تكررت قبلها التواب الحليم سبحانه.

١٨ –الـجَبَّار:

قال تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ (الحشر: ٢٣)

المعنى: القوي الأعلى الذي قهر خلقه بعظمته وعزته وكبريائه، المُسيِّر لهم كما أراد، المنتقم من الجبابرة والظلمة.

والذي يجبر الكسير ويلطف بالخلق، ويرزق الصبر ويلوذ به العباد.

ويجبر قلوب المؤمنين المنكسرة لجلاله بصلاح دينهم.

١٩-٢٠-الحَافِظ، الحَفِيْظ:

قال تعالى: ﴿فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٦٤)، وقال تعالى: ﴿اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ (الشورى: ٦).

المعنى: الذي حفظ ما خلقة وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أولياءه من الذنوب والهلاك، وأحصى على العباد أعمالهم وجزاءهم العالم بكل شيء.

٢١- الحَسِيْب:

قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً﴾ (النساء: ٦).

المعنى: العليم بعباده المحاسب لهم على أعمالهم.

وكافي المتوكلين جميع ما أهمّهم من أمر دينهم ودنياهم، المجازي لعباده بأعمالهم، العالم بدقيق الأمور وخفياتها، الرقيب عليهم.

٢٢- الحَقّ:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّـهَ هُوَ الحَقُّ﴾ (الحج: ٦)

المعنى: الحق: الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وإلهيته وأفعاله، ووجوده وحكمه، وكل ما أمر به حق وكل ما نهى عن فالانتهاء عنه حق.

٢٣-٢٤ - الحَكِيم الحَكَم:

قال تعالى ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (إبراهيم: ٤).

الحكَم: دليله الحديث (إن الله هو الحكم وإليه الحكم)، رواه أبو داود (٤٩٥٥) وغيره من حديث أبي شريح رضي اللهُ عنه، وذكرناه هنا لمناسبة معناه للحكيم.

المعنى: ذو الحكمة والإتقان في أقواله وأفعاله، لا تفاوت فيها ولا اضطراب، وله الحكم كله في الأولى والأخرى. وهو واسع العلم بمبادئ الأمور، وعواقبها، تام القدرة عظيم الرحمة.

٢٥- الحَلِيْم:

قال تعالى ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٢).

المعنى: الذي يعطي ويسبغ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة؛ ومع معاصيهم وكثرة زلاتهم فيصبر ويعفو عن مقابلة العاصيين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا ويمهلهم كي ينيبوا.

٢٦- الحَمِيد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَـهُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ (الحج: ٦٤).

المعنى: المستحق للحمد والعبودية المحمود بكل لسان وعلى كل حال وفي كل زمان على ماله من صفات الكمال العليا والأسماء الحسنى، والأفعال التامة الحكيمة والإنعام على خلقه.

٢٧- الحَيّ:

قال تعالى: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

المعنى: الدائم البقاء الموصوف بالحياة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال لكماله وعظمته وقيوميته.

٢٨- الخَبِيْر:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾ (الأنعام: ١٨).

المعنى: المحيط علمه بكل شيء، العالم بسرائر الأمور وظواهرها، العليم بالمعلومات على حقائقها.

٢٩-٣٠- الخَالِق، الخَلَّاق:

قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ (الحشر:٢٤). وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (الحجر:٨٦).

المعنى: الذي أوجد وبرأ جميع المخلوقات من عدم، وسواهن بحكمته وقدرته فأحسن الخلق والتصوير فتبارك الله أحسن الخالقين، والخلّاق أبلغ من الخالق.

٣١-ذُو الجَلَال والإِكْرَام:

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن: ٧٨).

المعنى: الموصوف بصفات العظمة، والكبرياء، وذو الرحمة، والجود، والإحسان العام، والخاص، المستحق على عباده غاية الحب وغاية الذل لكماله وكرمه.

٣٢- الرَّؤُوْف:

قال تعالى: ﴿وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٧).

المعنى: الرحيم الرفيق بخلقة، المكرم للمؤمنين بموجبات رحمته وإبعادهم عن موجبات غضبه، ومن رأفته بهم توفيقهم القيام بحقوقه وحقوق عباده.

٣٣-٣٤- الرَّحْمَن، الرَّحِيم:

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ﴾.

المعنى: ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلق في حياتهم وأرزاقهم؛ فعم الخلق بالنعم الكثيرة والخيرات العظيمة، الرحيم بالمؤمنين في الدنيا والآخرة.

٣٥-٣٦- الرَّزَّاق، الرَّازِق:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات:٥٨) وفي قراءة (الرّازِقُ).

وفي الحديث: (إن الله هو المُسعِّرُ، القابضُ، الباسطُ، الرَّازقُ ...) وسيأتي.

المعنى: هو القائم بالرزق العام على كل نفس بما يقيمها من قوتها وما تقوم به حياتها.

والموصل إلى قلوب المؤمنين العلم والإيمان والصلاح بحسب ما تقتضيه حكمته ورحمته سبحانه.

٣٧- الرَّقِيْب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء: ١).

المعنى: الحافظ الحسيب المطلع على ما تكنُّه الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، العالم بها، الذي حفظ السماوات والأرض وما فيهن وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير.

٣٨- السَّلَام:

قال تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْـمُؤْمِنُ﴾ (الحشر:٢٣).

المعنى: هو الذي سلم من جميع العيوب والنقائص من جميع الوجوه لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله المتفرد بالكمال وحده.

٣٩-السَّمِيع:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٧).

المعنى: الذي يسمع السر والنجوى، المحيط سمعه بجميع خلقه، لا تختلط عليه اللغات ولا الأصوات، ولا القريب والبعيد، وهو المجيب لعباده الداعين والسائلين.

٤٠-٤١-الشَّكُور، الشَّاكِر:

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨)، ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٣٠).

المعنى: المستحق للشكر والثناء والعبادة، الذي يثني على عباده الصالحين المؤمنين ويكتب أجور أعمالهم، ويعطي عليها الكثير من الأجر والثواب، ويذكر من يذكره ويتقرب إلى من يتقرب منه كما يليق بجلاله. والشكور أبلغ من الشاكر.

٤٢ – الشَّهيد:

قال تعالى: ﴿قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (الأنعام: ١٩)، وقال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾ (النساء: ٧٩).

المعنى: الخبير المطلع على جميع الأشياء، الذي لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء، الشاهد على أفعال الخلق وأقوالهم وسرائرهم وظواهرهم.

٤٣ – الصَّمَد:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصمد﴾ (الإخلاص: ١_٢).

المعنى: الكامل في صفاته وأفعاله و أسمائه وسؤدده، الذي يفتقر إليه جميع خلقه في جميع حاجاتهم، ولا يفتقر إلى أحد لأنه الغني العظيم.

٤٤ – : العَزِيز:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (إبراهيم: ٤).

المعنى: هو الذي له العزة كلها، القوي المنيع، صاحب العزة والرفعة الذي قهر جميع الموجودات ودانت له الخليقة وخضعت له لكمال عزته وعظمته وصفاته وغناه.

ويعز من أطاعه ويذل من عصاه.

٤٥ –العَظِيم:

قال تعالى ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

المعنى: الذي له الكمال والعظمة والكبرياء في أسمائه وصفاته وأفعاله، المبجَّل المعظَّم عند أوليائه، يهابونه ويتقونه ويخضعون له سبحانه ويعبدونه ويرجونه جل وعلا.

٤٦ – العَفُو:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (الحج: ٦٠).

المعنى: الموصوف بالعفو والرحمة، الذي يصفح عن عباده المؤمنين بغفران ذنوبهم وستر عيوبهم، ويتوب على من تاب ويغفر لمن رجع وأناب وآب.

٤٧–٤٩: العَالِم، العَلَّام، العَلِيْم:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ (التحريم: ١٢) ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (الرعد: ٩) ﴿وَأَنَّ اللهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (التوبة: ٧٨).

المعنى: الذي يدرك الأشياء على حقائقها الخبير بالسر والعلن، الذي وسع علمه كل شيء، علم لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان ولا يعتريه وهْم أو ذهول، يعلم ما كان وما لم يكن.

والعلام أبلغ.

٥٠–٥١–الغَفَّار، الغَفُور:

قال تعالى: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (الزمر: ٥). وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٣).

المعنى: الذي يعفو عن عباده ويغفر ذنوبهم ويقبل توبتهم، وكل العباد مفتقرون إلى مغفرته وعفوه ورحمته وكرمه، وقد وعد بالعفو والمغفرة لمن تاب وأناب.

الغفار: الكثير المغفرة. صيغة مبالغة.

٥٢- الغَنِي:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ (الحج: ٦٤).

المعنى: الغني بذاته وصفاته وأسمائه، المستغني عن كل ما سواه بكماله وجلاله، له الغنى التام المطلق من كل الوجوه، الذي أغنى خلقه بكرمه وفضله، وأغني المؤمنين بالإيمان والصلاح كما تقضيه حكمته وعلمه جل وعلا.

٥٣- الفَتَّاح:

قال تعالى ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (سبأ: ٢٦).

المعنى: الحاكم بين عباده بالحق المبين، الناصر لعباده المؤمنين، الفاتح لخلقه أبواب رحمته، والعلم به وبشرعه.

٥٤-٥٥-٥٦- القَدِير المُقْتَدِر القَادِر:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ (الأنعام: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤).

وقال تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (القمر:٥٥)

المعنى: هو الذي له القدرة التامة المطلقة على كل شيء فلا يعجزه شيء، وهو الفاعل لما يشاء كيف يشاء، خلق الخلق بقدرته وحكمته وعلمه، يحيي ويميت ويعز ويذل ويعطي ويمنع، إذا أراد شيئًا يقول له كن فيكون سبحانه ما أعظمه.

٥٧-٥٨- القَاهِر، القَهَّار:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام: ١٨)، و قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد: ١٦).

المعنى: القوي الجبار الذي قهر وأذل جميع المخلوقات لعبادته وأمره، وعظمته وعزته، لا يخرج عن قهره شيء.

٥٩- القُدُّوْس:

قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ المَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ (الحشر: ٢٣).

المعنى: العظيم السلام المنزَّه عن كل سوء وعيب من جميع الوجوه، لما له صفات الكمال والجلال من كل وجه، وليس له نظير و لا مثيل.

٦٠- القَرِيب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود: ٦١).

المعنى: القريب بعلمه وإحاطته ومراقبته، يسمع كل شيء ويراه وهو سبحانه في علاه، يسدد عباده الصالحين ويوفقهم وينصرهم ويجيب دعاءهم، ويتقرب ممن تقرب إليه كما يليق بجلاله وعظمته.

٦١- القَوِي:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (هود: ٦٦).

المعنى: الكامل القدرة على فعل كل شيء لا يصيبه ضعف ولا يلحقه فتور ولا تعب، الذي له العزة والجبروت والكبرياء والعظمة، ينصر المؤمنين ويقويهم.

٦٢- القَيُّوم:

قال تعالى: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

المعنى: هو الذي قام بنفسه واستغني عمن سواه لكماله وجلاله، وقامت بأمره السماوات والأرض وما فيهن. فهو القائم بنفسه المقيم لغيره. والقيوم: الجامع لصفات الأفعال.

٦٣، ٦٤- الكَبِير (الأكْبَر):

قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ (الرعد:٩).

المعنى: أكبر من كل شيء، وأعظم وأجل وأعلى، وهو الموصوف بصفات المجد والعظمة والجلال.

والأكبر: عده غير واحد من أسماء الله تعالى، ودليله أحاديث الأذان.

٦٥- اللَّطِيْف:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾.

المعنى: هو العالم الرؤوف الخبير بسرائر الأمور ودقيقها.

وهو الذي يوصل إلى عباده أرزاقهم ومصالحهم من حيث لا يشعرون، الميسر للمؤمنين سبل الخير والهدى.

٦٦- المُؤْمِن:

قال تعالى: ﴿السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ (الحشر: ٢٣).

المعنى: الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال العليا والأسماء الحسنى والأفعال المثلى، ووفق المؤمنين للأيمان به وأمنَّهم من عذابه، المصدق لرسله بالآيات الدالة على صدقهم الذي شهد لنفسه بالوحدانية.

٦٧- المُبِين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ﴾ (النور: ٢٥).

المعنى: الرب الحق الواضح جلاله وعظمته وكماله وربوبيته وألوهيته وصفاته، الموضح لعباده سبيل الرشاد وطريق الهدى والنور ليسلكوها، وطريق الضلال ليجتنبوها.

٦٨- المُتَكَبِّر:

قال تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ﴾ (الحشر: ٢٣).

المعنى: هو المتعالي عن صفات المخلوقين الذي تكبر بربوبيته وعظمته وكبريائه وكمال أسمائه وصفاته، المنزَّه عن كل عيب ونقص وظلم من جميع الوجوه سبحانه جل وعلا، الذي لا يقبل من العبادة إلا الخالص لوجه الكريم.

٦٩- المَتِيْن:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ المَتِينُ﴾ (الذاريات:٥٨).

المعنى: هو القوي الشديد القوى الذي له القوة التي لم تسبق بضعف ولا عجز ولا يلحقها فتور ولا تعب، ولا يصحبها مشقة القادر على كل شيء الفعَّال لما يريد سبحانه.

٧٠- المُجِيْب:

قال تعالى عن صالح عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ (هود: ٦١).

المعنى: هو السميع الذي يسمع سؤال عباده ويعطيهم ما سألوا، كلًّا حسب ما تقتضي حكمته ولطفه.

٧١- المَجِيد:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود: ٧٣).

المعنى: هو الوهاب، والكريم الواسع الكرم، العظيم الشرف العالي الرفعة لكماله وجلاله، الممجَّد عند خلقه سبحانه.

٧٢- المُحِيْط:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (هود: ٩٢).

معناه : القادر الرقيب الخبير بكل شيء علمًا وقدرة ورحمة وقهرًا.

٧٣- المُصَوِّر:

قال تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ (الحشر: ٢٤).

المعنى: هو البارئ الذي خلق الخلق على هيئات وأشكال وألوان مختلفة ومتفقه؛ فأحسن صورهم كما تقتضي حكمته ولم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم.

٧٤- المُقِيْت:

قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾ (النساء: ٨٥).

المعنى: الحافظ الرازق الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء بحكمته وحمده.

٧٥-٧٦-٧٧- المَالِك، المَلِك، المَلِيْك:

قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة:٤) ﴿فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ﴾ (طـه:١١٤)،﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٥). وحديث «لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[١].

المعنى: الموصوف بصفات العظمة القهر والعزة والقوه والكمال المطلق، المالك للخلق المتصرف فيهم المدبر لهم كيف يشاء، التام الملك النافذ الأمر الحاكم بين عباده.

٧٨ – المُهَيْمِن:

قال تعالى: ﴿السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ﴾ (الحشر: ٢٣).

المعنى: العزيز القادر القائم على خلقه المراقب لهم الشاهد عليهم الحافظ لأقوالهم وأعمالهم، القاهر لهم المجازي لهم وعليهم بما يستحقوه.

٧٩- النَّصِير:

قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِالله نَصِيراً﴾ (النساء: ٤٥).

المعنى: الذي ينصر عباده المؤمنين وأولياءه الصادقين ويؤيدهم على أنفسهم وعلى عدوهم، ويعينهم على إظهارهم دينه في الدنيا وبدخولهم الجنة والنجاة من النار في الآخرة.

٨٠- الوَاسِع:

قال تعالى: ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٤٧).

المعنى: الواسع الكامل الكثير الصفات والأفعال والأسماء، واسع العلم والعطاء والجود والإحسان إلى خلقه، الموسع على عباده في دينهم ودنياهم وسع كل شيء رحمة وعلماً.

---

(١) رواه مسلم (٢١٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٨١- الوَدُوْد:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ (البروج:١٤).

المعنى: هو الذي يحب عباده المؤمنين ويحببهم إليه، ويجعل لهم القبول في الأرض، وهو المحبوب عندهم فوق كل شيء ولا يحب لذاته إلا هو سبحانه، التواب الرؤوف.

٨٢- الوَكِيل:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣).

وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ (النساء: ٨١).

المعنى: هو الكافي عباده المتولي أمورهم بعلمه وكمال قدرته، الكافي المؤمنين شر أعدائهم والمتولي نصرتهم.

٨٣-٨٤- الوَلِي، المَوْلَى:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى:٢٨)، ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الأنفال: ٤٠).

المعنى: هو الذي يقوم بنصرة المؤمنين الحافظ لهم، الذي يتولى أمورهم في الدنيا والآخرة.

٨٥- الوَهَّاب:

قال تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ (ص: ٩).

المعنى: الكريم الكثير العطاء والهبات لخلقه من غير طلب عوض منهم، الواهب للمؤمنين الخير والتوفيق والرحمة ... بفضله ومنه.

٨٦- النُّور:

قال تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (النور: ٣٥).

وحديث: «اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ...»[١].

المعنى: الذي نوَّر قلوب المؤمنين بالإيمان وهداهم لتعظيمه وحبه وعبادته، ومنور السماوات والأرض وما فيهن.

٨٧- الهَادِي:

قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾ (الفرقان: ٣١).

المعنى: الذي ألهم الخلق وأرشدهم إلى مصالحهم وحاجاتهم. والذي وفق المؤمنين وأعانهم وأصلح قلوبهم وهداهم إلى الطاعة والعبادة، من أطاعه اهتدي بهداه ومن اتقاه أصلحه وقواه.

****

(١) رواه مسلم (٧٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

٨٨- الجَمِيْل:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي اللهُ عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»(١).

المعنى: الجميل كثير الحسن، فهو الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فله الجمال المطلق.

٨٩- الجَوَاد:

قال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ)(٢).

المعنى: الكريم الموصوف بالجود الذي عم جوده ونعمة ورحمته جميع الوجود وخص المؤمنين بالعطاء الأوفر والصلاح والإيمان بحسب ما تقتضيه حكمته سبحانه.

٩٠- الحَيِي:

عَنْ أَنَسٍ رضي اللهُ عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، ثُمَّ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الْعَبْدُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا حَتَّى يَجْعَلَ فِيهِمَا خَيْرًا»(٣).

ومعناه كما في الحديث السابق.

---

(١) رواه مسلم (٩١) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٩٥) (جه ٤٢٥٧) وغيرها عن أبي ذر رضي الله عنه بسند ضعيف وله شاهد مرسل عند ابن شيبه (٢٦٦٠٨) وانظر الصحيحة (١٦٢٧).

(٣) رواه الحاكم (١/ ٤٩٧) وغيره عن أنس رضي الله عنه وسنده ضعيف لكن له شاهد عن جابر رضي الله عنه عند أبي يعلى (١٨٦٧) وشاهد مرسل عند عبدالرزاق (١١١١). وآخر موقوف على سلمان رضي الله تعالى عنه في البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١٥٦) وله حكم الرفع وحسن الحديث الشيخ الألباني رحمه الله تعالى .

٩١- الرَّب:

وقد ورد في القرآن: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهَّ أَبْغِي رَبّاً﴾ (الأنعام: ١٦٤).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عنهما، قَالَ: قال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ»(١)

المعنى: هو الخالق المالك السيد الذي ليس له مثيل ولا نظير، المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وربى أولياءه بإصلاح قلوبهم ودينهم وآخرتهم.

٩٢- الرَّفِيق:

عن عَائِشَةَ رضي اللهُ عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»(٢).

المعنى: الرؤوف الرحيم الذي يرفق بعباده ويلطف بهم، وييسر أمورهم ويصلح أحوالهم، ويسر لهم الدين ورفع عنهم المشقة.

٩٣- السُّبُّوح:

عن عَائِشَةَ رضي اللهُ عنها أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»(٣).

المعنى: المنزَّه المقدس المبرأ عن كل عيب ونقص لما له من الكمال التام والغنى المطلق والعظمة والجلال سبحانه.

---

(١) رواه مسلم (٤٧٩).

(٢) (خ ٢٩٢٧/ ٦٠٢٤) (م ٢٥٩٣).

(٣) رواه مسلم من حديث عائشة (م ٤٨٧).

٩٤- السَّيْد:

قال صلى الله عليه وسلم «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» [١].

المعنى: الذي له السيادة والملك الكامل والرفعة والفضل.

فهو بمعنى الملك.

٩٥- الشَّافِي:

عن أَنَسٍ رضي اللهُ عنه قال: قال رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»[٢].

المعنى: الذي يعافي ويبرأ عباده من الأمراض والأسقام بقدرته سبحانه، ويعافي المؤمنين من الخطايا والذنوب بحسب ما تقتضيه حكمته سبحانه.

٩٦- الطَّيِّب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا)[٣].

المعنى: هو القدوس المنزَّه عن النقائص والعيوب لكماله وجلاله، يحب الطيبين ولا يقبل إلا طيباً.

---

(١) رواه أبو داوود (٤٨٠٦) وغيره من حديث عبدالله بن الشخير رضي الله عنه وهو في الجامع الصحيح (٦/ ٣٤٨) وصحيح سنن أبي داود (٤٨٠٦).

(٢) متفق عليه (خ ٥٦٧٥) (م ٢١٩١) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم (١٠١٥).

٩٧- الطَّبِيْب:

عَنْ أَبِي رِمْثَةَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي نَحْوَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: أَرِنِي هَذَا الَّذِي بِظَهْرِكَ، فَإِنِّي رَجُلٌ طَبِيبٌ، قَالَ: «اللهُ الطَّبِيبُ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ رَفِيقٌ، طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا»(١).

معناه: الشافي.

٩٨- ٩٩-القَابِض، البَاسِط:

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: النَّاسُ يَا رَسُولَ اللهِ، غَلَا السِّعْرُ فَسَعِّرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»(٢).

المعنى: الذي يرزق العباد فيوسع على من يشاء ويقدر على من يشاء بعدله وحكمته.

ويرزق المؤمنين التوفيق والخير.

١٠٠-١٠١- المقدم المؤخر:

قال صلى الله عليه وسلم: (أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)(٣).

معناهما: يدلان على عموم قدرته وتدبيره، وأنه لا رب غيره، (المقدم) تقدم من تشاء من خلقك إلى رحمتك بتوفيقك. (المؤخر) تؤخر من تشاء بخذلانك له.

---

(١) رواه أبو داود (١١/ ٢٦١ العون) وهو في الجامع (٦ / ٣٥٢) صحيح السنن (٣٥٤٤).

(٢) رواه أبو داود (٣٤٥١) (ت ١٣١٤) (جه ٢٢٠٠) عن أنس رضي الله عنه وهو في الجامع الصحيح (٦/ ٣٤٨) (صحيح سنن أبي داود ٣٤٥١) .

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنه (خ ١١٢٠)، ورواه مسلم من حديث علي رضي الله عنه (٧٧١) نحوه.

١٠٢- المُحِسن:

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي اللهُ عنه قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اثْنَتَيْنِ قَالَ: «إِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» (١)

المعنى: ذو الإحسان التام فهو بمعنى الكريم والمعطي.

ويكون بمعنى المتقن أيضًا.

١٠٣- المُسَعِّر:

وقد سبق دليله.

ومعناه: الذي قدر الأسعار والأحوال، الباسط لكل ما يتفاعل معه الإنسان في بيعه وشرائه ورزقه.

١٠٤- المُعْطِي:

عن معَاوِيَةَ رضي اللهُ عنه قال: قَالَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ»(٢).

المعنى: الكريم الرزَّاق الذي يمُن على عباده بالعطاء والرزق، وأعطى المؤمنين الصلاح والإيمان وهو الكريم الجواد.

---

(١) رواه عبد الرزاق (٨٦٠٣) وجاء عن أنس رضي الله عنه رواه أبو نعيم والطبراني في الأوسط (٥٧٣١) وغيره، وله شاهد عن سمرة عند ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٤١٩) وحسنه الشيخ الألباني في الصحيحة (٤٦٩).

(٢) عند البخاري (٣١١٦).

١٠٥ – المَنَّان:

عَنْ أَنَسٍ رضي اللهُ عنه، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُول الله صلّى الله عليه وسلم جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَاذَا الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ)، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(١).

المعنى: المنعم المعطي الذي مَنَّ على عباده بالرزق والحياة والنعم الكثيرة من غير طلب عوض منهم، ومَنَّ على المؤمنين بالإيمان والخير والصلاح.

١٠٦ – الوتر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لله تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ» وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ أَحْصَاهَا»(٢).

المعنى: الواحد الأحد الذي لا ثاني له، ولا مثيل.

تم ولله الحمد والمنة.

****

(١) رواه أبو داود (١٤٩٥) والنسائي (١٣٠٠) وغيرهما وصححه الشيخان.

(٢) متفق عليه (خ ٦٤١٠) (م ٢٦٧٧).

فصل في الأسماء التي لا تصح

الأسماء التي لم تثبت، وعليه تبنى أمور:

١ - لا يجوز تسمية الله تعالى بها.

٢-لا يجوز التعبيد بالتسمي بها نحو: عبد الماجد، عبد الرشيد،...

أما عبد النبي وعبد الحسين... فشرك.

٣-فيها من النقص ما يمنع إدخالها في الأسماء الحسنى.

٤-الحديث المشهور في الأسماء الحسنى ضعيف باتفاق المحدثين، فلا يجوز نشره بين الناس وزعم أن تلك هي الأسماء الحسنى، ففيه نحو ٢٧ اسمًا ليست ثابتة لله تعالى.

ومما لم يثبت:

١ - ٢٧- المذكورة في الحديث المشهور: (الخَافِضُ الرَّافِعُ، المُعِزُّ المُذِلُّ، العَدْلُ، الجَلِيلُ البَاعِثُ، المُحْصِي المُبْدِئُ المُعِيدُ المُحْيِي المُمِيتُ، الوَاجِدُ المَاجِدُ ، الوَالِيَ، المُنْتَقِمُ المُقْسِطُ، الجَامِعُ المُغْنِي المَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ، البَدِيعُ البَاقِي الوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ).

٢٨-٣٠- واجب الوجود، القديم، العلة الفاعلة، الأب،...

وهذه من تسميةأهل الكلام، والفلاسفة والكفار.

٣١- ٣٥ - الأسماء المركبة على الراجح نحو: أرحم الرحمين، أحكم الحاكمين، فاطر السموات، بديع السموات، مالك الملك... فهذه من باب الصفات لا من باب الأسماء.

٣٦-٣٨- الساخر، الماكر، المستهزئ، الجائي ونحوها مما لا يجوز اشتقاقه من صفات الفعل المتعلقة بالمشيئة كما مر في القواعد المثلى.

٣٩-٤١- الناصر، الوارث، الفرد، وهذه من باب الصفات لا الأسماء.

****

التعليق

على

الهائية في الزهد والرقائق

لحافظ الحكمي رحمه الله تعالى (ت ١٣٧٧)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه أما بعد:

درسنا[1] في هذه الدقائق حول منظومة جميلة في الزهد والترغيب والترهيب للشيخ حافظ الحكمي رحمه الله تعالى: وهي من أجمل ما نظمه وأيضا من أحسنها عبارة ، وقد نشرها وشرحها الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي عام ١٣٩٣هـ، جزاه الله تعالى خيرًا، وشرحها مؤخرًا الشيخ عبد الرزاق البدر وفقه الله تعالى، ولها شروحات كثيرة.

كتبه

أبو عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى.

****

(١) كان في دورة الروضة شبوة ١٤٤٦ هـ وفرغت ثم تم تعديلها، والله الموفق.

القَصِيدَةُ الهَائِيَّةُ

١- مَا لِيْ ولِلدُّنيا ولَيستْ بِبُغْيَتِي ... ولا مُنْتَهى قَصْدي ولستُ أنا لها
٢- ولستُ بِمَيَّالٍ إليهَا ولا إلى ... رِئاسَتِها نَتنًا وقُبْحًا لحالِها
٣- هيَ الدارُ دارُ الهمِّ والغَمِّ والعَنا ... سَريعٌ تَقَضِّيها قَريبٌ زوالُها
٤- مَياسِيرُها عُسْرٌ وحُزْنٌ سُرُورُها ... وأرْباحُها خُسْرٌ ونَقْصٌ كَمالُها
٥- إذا أضْحكَتْ أبكَتْ وإنْ رامَ وصْلَها ... غَبيٌّ فيا سُرْعَ انقِطاعِ وِصالِها
٦- فأسْألُ ربي أنْ يَحُولَ بِحَوْلِهِ ... وقوَّتِهِ بَيْني وَبَينَ اغْتِيالِها
٧- فَيا طَالبَ الدُّنيا الدَنِيئَةِ جاهِدًا ... ألَا اطْلُبْ سِواهَا إنَّها لا وَفا لَها
٨- فَكَمْ قدْ رَأَيْنا مِنْ حَرِيْصٍ وَمُشْفِقٍ ... عَلَيْها فَلَمْ يَظْفَرْ بِها أنْ يَنالَها
٩- لَقَدْ جَاءَ في آيِ الحديدِ وَيُوْنُسٍ ... وفي الكَهفِ إيضَاحٌ بِضَرْبِ مِثالَها
١٠- وفي آلِ عِمرانَ وَسُورةِ فاطِرٍ ... وفي غَافِرٍ قدْ جاءَ تِبْيانُ حَالِها
١١- وفي سُورةِ الأحْقافِ أعْظَمُ واعِظٍ ... وكَمْ مِن حَديثٍ مُوجِبٍ لاعْتِزَالها
١٢- لقدْ نظَرَ قَومٌ بِعَينِ بَصِيرةٍ ... إليهَا فَلَمْ تَغْرُرْهُمُ باخْتِيالَها
١٣- أُولَئِكَ أهْلُ الله حَقًّا وحِزْبُهُ ... لهمْ جَنةُ الفِرْدَوسِ إرْثًا ويَالَها
١٤- ومالَ إليها آخَرُونَ لِجَهْلِهِم ... فلمَّا اطْمأنُّوا أرْشَقَتْهُم نِبالَها
١٥- أولئكَ قَومٌ آثَروها فأُعْقِبوا ... بِها الخِزْيَ في الأُخْرى وذاقُوا وبالَها
١٦- فقُلْ لِلَّذينَ اسْتَعْذَبوها رُوَيْدَكَم ... سَيَنْقَلِبُ السُّمَّ النَّقِيعَ زُلَالُهَا
١٧- لِيَلْهُوا ويَغْتَرُّوا بِها مَا بَدا لَهُم ... مَتى تَبْلُغِ الحُلْقومَ تُصْرمْ حِبالُها
١٨- ويومَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِكَسْبِها ... تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَنِيها ومالَها

١٩- وتأْخـذُ إمَّـا بـاليمينِ كِتابَهـا | إذا أحْسَنتْ أو ضِـدَّ ذا بِشِمالِهـا
٢٠- ويَبْدُو لَدَيْها مَا أَسَرَّتْ وأَعْلَنَتْ | ومَا قَدَّمَتْ مَنْ قَوْلِها وفِعَالِهَا
٢١- بِأيْدي الكِرامِ الكَاتِبينَ مُسَطَّرٌ | فَلَمْ يُغْنِ عَنْها عُذْرُها وَجِدَالُها
٢٢- هُنالَكَ تَدْري رِبْحَها وخَسَارَها | وإذْ ذاكَ تَلْقَى مَا إلَيْهِ مآلَها
٢٣- فإنْ تَكُ مِنْ أهلِ السَّعادَةِ والتُّقَى | فـإنَّ لَها الحُسْنَى بِحُسْنِ فِعالِها
٢٤- تَفُوزُ بِجَنَّاتِ النَّعِيم وحُورِهَا | وتُحْبَرُ في رَوْضاتِها وظِلالِها
٢٥- وتُرْزَقُ مِمَّا تَشْتَهي مِنْ نَعِيْمِها | وتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيمِها وزُلَالِها
٢٦- وإنَّ لَهُمْ يَومَ المَزِيدِ لَمَوْعِدًا | زِيادَةُ زُلْفَى غَيرُهم لا يَنالُها
٢٧- وُجوهٌ إلى وَجْهِ الإلَهِ نَواظِرٌ | لقدْ طالَ مَا بِالدَّمْعِ كَانَ ابْتِلَالُها
٢٨- تَجَلَّى لَهَا الربُّ الرحيمُ مُسَلِّمًا | فيَزْدادُ مِنْ ذاكَ التَّجَلِّي جَمالُها
٢٩- بِمَقْعَدِ صِدقٍ حَبَّذا الجارُ رَبُّهم | ودارُ خُلُودٍ لم يَخافُوا زَوالَها
٣٠- فواكِهُهَا مِمَّا تَلَذُّ عُيُونَهُم | وتَطَّرِدُ الأنْهارُ بَينَ خِلالِها
٣١- عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ثُمَّ فُرُشُهُمْ | كَما قالَ فِيها رَبُّنا وَاصِفًا لَهَا
٣٢- بَطائِنُها إِسْتَبْرَقٌ كيفَ ظَنُّكُم | ظَواهِرُها لا مُنْتَهَى لِجَمالِها
٣٣- وإن تكنِ الأُخرَى فَوَيلٌ وحَسْرَةٌ | ونارُ جَحِيمٍ مَا أشَدَّ نَكَالَها
٣٤- لهمْ تَحْتَهُمْ منها مِهَادٌ وفَوْقَهُم | غَوَاشٌ ومِن يَحْمُومَ ساءَ ظِلالُها
٣٥- طَعامُهُمُ الغِسْلِينُ فِيها وإنْ سُقُوا | حَمِيمًا بِهِ الأمْعاءُ كانَ انْحِلالُها
٣٦- أمانِيُّهُم فِيها الهَلَاكُ ومالَهُم | خُرُوجٌ ولا مَوتٌ كَما لا فَنا لَهَا
٣٧- مَحَلَّينِ قُلْ لِلنَّفْسِ لَيسَ سُواهُما | لِتَكْسِبْ أو فَلْتَكْتَسِبْ ما بَدا لَهَا
٣٨- فَطُوبَى لِنفسٍ جَوَّزَتْ وتَخَفَّفَتْ | فَتَنْجُو كَفافًا لا عَلَيْها ولا لَهَا

قال رحمه الله تعالى:

١- مَـا لِيْ ولِلـدُّنيا ولَيسـتْ بِبُغْيَتِـي ولا مُنْتَهى قَصْدي ولستُ أنـا لهـا
٢- ولســتُ بِمَيَّـالٍ إليهَـا ولا إلى رِئاسَــتِها نَتنًـا وقُبْحًـا لحالِـــها

التعليق

هذان البيتان فاتحة المنظومة.

١- (مَا لِيْ ولِلدُّنيا) أي ليست من اهتمامي وكذلك ليست قصدي بل له مقاصد أخرى منها العلم والعمل للآخرة وقوله:(ما لي وللدنيا) ما مأخوذ من حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (ما لي وللدنيا إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها).
(ولَيستْ بِبُغْيَتِي) أي ليست مما أطلب وأهتم به. (ولا مُنْتَهى قَصْدي) إنما منتهى قصده العمل للآخرة، والذي يجعل الدنيا هي مقصده الأكبر فقد أخطأ، فإن الدنيا قليل ثم يأتي عليها الزوال، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: (ولا تجعل الدنيا أكبر همنا).
وأيضًا قال: (من كانت الدنيا همة فرق الله شمله وجعل فقره بين عينيه)، فتعظيم الدنيا مذموم وهموم.

٢- (ولستُ بِمَيَّالٍ إليهَا...) لا يميل إلى الدنيا لكونها في نظر حقيرة. (ولا إلى رِئاسَتِها) ولا إلى الزعام في الدنيا سواء عبر السياسة أو التجارة... (نتنًا) نتنة صفة للدنيا بأنها نتن بمعنى قذرة (وقبحًا لحالها) أي بُعدًا لحال الدنيا التي هي متاع الغرور ثم تنقضي، وسيأتي وصف الدنيا.

****

٣- هيَ الـدارُ دارُ الهـمِّ والغَـمِّ والعَنـا سَريــعٌ تَقَضِّــيْها قَريــبٌ زوالُهــا
٤- مَياسِــيرُها عُسْرٌ ـ وحُـزْنٌ سُرُورُهـا وأَرْباحُهــا خُسْرٌ ـ ونَقْـصٌ كَمالُهـا
٥- إذا أَضْحَكَتْ أبكَتْ وإنْ رَامَ وصلَها غَبِيٌّ فيـا سُرْعَ انقِطـاعِ وِصالِــها

التعليق:

يصف الدنيا يقول هي دار الهم والغم هذا حال الدنيا يعيش الإنسان بين الهم في أمور ستأتي، وبين الغم فيما هو فيه، وبين الحزن على ما مضى. وكذلك العنا بمعنى التعب.

هذا حال الدنيا سرور وحزن وعسر ويسر، وهموم وغم.

والدنيا كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ يُفهم من ذلك أن من اتبع الدنيا يضل ويشقى والله المستعان.

ومن أوصاف الدنيا أنها تذهب سريعًا. (سَريعٌ تَقَضِّيْها قَريبٌ زوالُها) كما قال الله تعالى: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ هذا وصف الدنيا متاع قليل.

٤- وكذلك من أوصاف الدنيا (مَياسِيرُها عُسْرٌ) عسر أي: ما تيسر من الدنيا فإنه أحيانًا يكون فيه العسر، إما في الحساب أو أحيانًا لا يحصل الإنسان على قليل من الدنيا إلا بصعوبة وهم وغم، فكم من شخص يصبح من الصباح في عمل إلى الليل، وربما تمر به أزمات كثيرة.

(وحُزْنٌ سُرُورُها) إذا أسرَّت فإن بعد هذا السرور حزن وضيق.

(وأَرْباحُها خُسْرٌ ونَقْصٌ كَمالُها) أرباح الدنيا خسر لأنها لا تنفع في الآخرة، وهذا في حق من كانت أرباحها شاغلة له عن عبادة الله تعالى، أو كانت من حرام، أما من اكتسبها من حلال وأنفقها في أبواب الخير فإنه بذلك يكون قد انتصر على الدنيا.

(ونَقْصٌ كَمَالُهَا) مهما بلغ الإنسان في الدنيا من الكمال: عافية البدن أو غنى المال أو قوة الجاه؛ فإنها لا زالت نقص إذا قسناها بالطاعات أو قسناها بالآخرة.

٥- (إذا أَضْحَكَتْ أبكَتْ) لسرعة تقلبها، فتضحك بالحصول على المراد منها، ثم تبكي بما يقع فيها من شدة وكرب.

(وإنْ رامَ وصْلَها غَبِيٌّ) الغبي: الذي لا يحسن التصرف.

من أراد أن يتصل بالدنيا اتصالًا قويًّا ويجعل الدنيا هي الأصل؛ فإنه غبي لا يحسن التصرف، وعلل ذلك بقوله: (فيا سُرْعَ انقِطاعِ وِصالِـها) أي: أنها تتركه سريعًا، كم من إنسان كان يتقلب في النعم تغيرت أحواله فجأة وصار إلى فقر.

****

٦- فأسْـــأَلُ ربي أنْ يَـــحُولَ بِحَوْلِـــهِ وقوَّتِـــهِ بَيْنِـــي وَبَـــينَ اغْتِيالِـــها
٧- فَيـا طَالـبَ الـدُّنيا الدَنِيئَـةِ جاهِـدًا أَلَا اطْلُبْ سِواهَا إنَّها لا وَفَا لَــها
٨- فَكَمْ قدْ رَأَيْنا مِنْ حَرِيْصٍ وَمُشْـفِقٍ عَلَيْها فَلَـمْ يَظْفَـرْ بِهـا أنْ يَنَالَــها

التعليق:

٦- يدعو الله سبحانه وتعالى أن لا تغتاله الدنيا؛ فإن الدنيا لها اغتيال تغتال القلب، وبعد أن تغتال القلب يجد الإنسان ثقل الطاعة والعبادة، ويجد لذة العمل للدنيا.

وهذا حاصل فرُبَّ شخص إذا قيل له تفرغ مثلًا للعلم. فيقول: حملوني حجارة ولا تقولوا تفرغ للعلم، احفظ، راجع.

وهذا حال كثير من الناس عندهم فقر، لكن يفضل أن يبقى بالفقر والشغل في الدنيا على أن يبقى في طلب العلم؛ لأنه يجد في طلب العلم مشقة، وسبب ذلك أن قلبه قد اغتالته الدنيا وأصبح أسيرًا لها، ومتعلِّقًا بحطامها.

٧- (فَيا طَالبَ الدُّنيا الدَنِيئَةِ جاهِدًا) يا أيها الحريص المجتهد من أجل أن تنال من الدنيا الأموال المباني الزعامات إن الدنيا دنيئة، أي: شأنها قليل وحقير لا تستحق أن تبذل جهدك وغايتك لها (جاهدًا) يعني مجتهدًا تطلب على الدنيا أكثر مما تستحق.

(أَلَا اطْلُبْ سِواهَا) اطلب الآخرة اطلب الجنة اطلب رضا الله تعالى، فإن هذا أيسر من طلب الدنيا، (إنَّها لا وَفَا لَـها) لا تفي لأحد بدوام الحال، وهكذا خلق الله تعالى الدنيا، فلا تتعب نفسك بتغيير حقيقتها، فهذا غير ممكن.

٨- (فَكَمْ قدْ رَأَيْنا مِنْ حَرِيْصٍ وَمُشْفِقٍ عليها) حريص على جمعها ومشفق أن تذهب من يده. (فَلَمْ يَظْفَرْ بِها أنْ يَنَالَـها) يكد ليلًا ونهارًا، وعنده أماني كثيرة لا يصل إلى شيء منها إلا ما قد كُتب له.

جاء من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اتقوا الله وأجملوا في الطلب). ما معناه؟ فسرها بالجملة التي بعدها قال: (خذوا ما حل ودعوا ما حرم، فإنها لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها).

كل نَفَس وحتى الخطوات والحركات وحتى رموش العين، لن تموت نفس حتى تأخذ آخر حركة وآخر رزق لها في الدنيا.



٩- لَقَـدْ جَـاءَ فِي آيِ الحديـدِ وَيُـونِسٍ ... وفي الكَهفِ إِيضَاحٌ بِضَرْبِ مِثَالَـها

١٠- وفي آلِ عِمــرانَ وَسُــورةِ فَــاطِرٍ ... وفي غَـافِرٍ قـدْ جـاءَ تِبْيـانُ حَالِــها

١١- وفي سُورةِ الأَحْقافِ أعظَمُ واعِظٍ ... وكَمْ مِن حَديثٍ مُوجِـبٍ لاعْتِزَالِها

التعليق:

٩- (لَقَدْ جَاءَ فِي آيِ الحدِيدِ) فقد جاء ضرب مثال الدنيا في سورة الحديد، قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَـهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ . هذه هي الدنيا متاع يعظم ثم يضمحل وتخدع الذي يأنس بها.

(وَيُونِسٍ) وفي سورة يونس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هذا حال الدنيا كالعشب الذي نزل عليه الماء أصبح أخضر جميلًا باهي اللون، ثم ييبس ويسقط في الأرض.

وهكذا الإنسان بعد قوة الشباب يأتي ضعف الشيخوخة ثم بعدها يأتي الموت وينتهي كل شيء.

(وفي الكَهفِ إِيضَاحٌ بِضَرْبِ مِثَالَـها) وفي الكهف قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَـهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ وهذا المثال كالمثال الذي قبله.

١٠- (وفي آلِ عِمرانَ وَسُورةِ فَاطِرِ) وأما الآيات التي في آل عمران وفاطر وغافر فهي قول الله جل وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، متاع قليل كلمة متاع تعني قليل والغرور يعني مع قلتها يغتر بها كثير من الناس.

وقال الله في سورة فاطر: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ .

(وفي غَافِرٍ قدْ جاءَ تِبْيانُ حَالِـها) قال الله سبحانه وتعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾.

١١- (وفي سُورةِ الأَحْقافِ أعظَمُ واعِظٍ) هو قول الله جل وعلا: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ هذه الدنيا كأنها ساعة، اسألوا كبار السن كيف الدنيا؟ سيقول لك: مرت ولا شعرنا بها كأنها يوم أو ساعة. فهل نخاطر بالجنة من أجل لهو ساعة؟!

(وكَمْ مِن حَديثٍ مُوجِبٍ لاعْتِزَالها) أحاديث تحث على الزهد في الدنيا سيأتي بعضها.



١٢ - لقــدْ نظَــرَ قَــومٌ بِعَــينِ بَصِــيرةٍ إليهَــا فَلَــمْ تَغْــرُرْهُمُ باخْتِيالَهَــا
١٣ - أُولَئِــكَ أهْــلُ اللهِ حَقّــا وحِزْبُــهُ لهُــمْ جَنــةُ الفِــرْدَوسِ إرْثــا ويَالَهَــا

التعليق:

١٢ - (لقدْ نظَرَ قَومٌ بِعَينِ بَصِيرةٍ إليهَا) لقد نظر قوم ممن أعطاهم الله جل وعلا بصيرة وفهمًا في حقيقة الدنيا فنظروا إليها نظر اعتبار، نظر معرفة بحقيقتها؛ (فَلَمْ تَغْرُرْهُمُ باخْتِيالَهَا) فلم تخدعهم بزخرفها وزينتها ومتاعها، فالدنيا فيها من الزينة والبهجة ما تغر به كثيرًا من الناس.

١٣ - (أُولَئِكَ أهْلُ اللهِ حَقًّا وحِزْبُهُ) هؤلاء الذين فقهوا أمر الدنيا هم أهل الله تعالى حقًّا وحزبه، هم أولياء الله تعالى وهؤلاء هم الذين أراد الله جل وعلا بهم خيرًا كما في الحديث: (إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما تحمون مريضكم من الطعام).

(لهمْ جَنةُ الفِرْدَوسِ) والذين زهدوا في الدنيا وأقبلوا على الآخرة لهم جنة الفردوس.

(إرْثًا ويَالَهَا) يرثونها فيقيمون فيها كما يقيم من يرث في الدنيا في دار أبيه، والمعنى: لا متحول لهم عنها، أعدها الله تعالى لمن زهد في الدنيا وأقبل على الآخرة بصدق وإخلاص مع صلاح العقيدة ﴿وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

وقوله:(ويَالَهَا) يعني: ويا لعظمتها فهي لفظة يراد بها التعظيم، مثل (وما أدراك) فهي لفظة يراد بها التعظيم.



١٤- ومـالَ إليهـا آخَـرُونَ لِـجَهْلِهِم   فلـمَّا اطْمـأَنُّوا أرْشَـقَتْهُم نِبالَهَـا
١٥- أولئـكَ قَـومٌ آثَروهـا فـأُعْقِبوا   بِها الخِزْيَ في الأُخْرى وذاقُوا وبالَهَا

التعليق:

١٤- (ومالَ إليها آخَرُونَ لِـجَهْلِهِم) ومال إليها آخرون بسبب جهلهم، والجهل يكون معناه عدم العلم، ويكون معناه عدم الصبر، فغالب الناس يعرفون أن الدنيا غرور وفتنة لكن لا يستطيعون الصبر والثبات والبعد عنها، فيكون جهلهم هو عدم صبرهم عن زينتها وانكبابهم عليها. (فلمَّا اطْمأَنُّوا) فلما اطمأنوا وحصلوا على شيء من متاع الدنيا، وظنوا أنهم قد فازوا بها (أرْشَقَتْهُم نِبالَهَا) جاءت نوائب الدهر: المصائب الأمراض الفقر وما يحصل مما ترون وتسمعون، مما قدره الله تعالى في هذه الدنيا. يتغير أحيانًا الحال في عشية وضحاها، إما بموت وإما بفقر وإما بمرض، وكم من إنسان في غاية الثراء لا يستطيع أن يأكل إلا أشياء محددة وبمقدار محدد، محروم من تلك الأموال الطائلة التي جناها.

١٥- (أولئكَ قَومٌ آثَروها) قدَّموها على الآخرة، كيف؟ إذا جاء وقت فيه دنيا وفيه عمل أخروي يقدم الدنيا، جاء وقت الصلاة يفتح دكانه، جاءت محاضرة يذهب يعمل ويترك المحاضرة، أو يشتغل أو يبيع أو يشتري ويترك الدرس، فهذا آثر الدنيا والله المستعان.

(فأُعْقِبوا بِها الخِزْيَ في الأُخْرى وذاقُوا وبالَهَا) هذه النتيجة إذا كان يوم القيامة فإنه يعذب على ما آثر به الدنيا على واجبات دينه، فيندم ولا ينفع الندم، فيذوق وبال دنياه، كان عليه الصلاة والسلام يقول: (اللهم إني أعوذ بك من ولد يكون علي ربًّا ومن مال يكون علي عذابًا) المال الذي تكد ليلًا ونهارًا في جمعه، هذا عذاب لا تجد طعم الراحة، أو تعمل في وقت الواجبات أو تكسبه من حرام فهذا أيضا عذاب.

١٦- فقُلْ لِلَّذينَ اسْـتَعْذَبوها رُوَيْـدَكَم سَـيَنْقَلِبُ السُّـمَّ النَّقِيـعَ زُلَالُـهَا
١٧- لِيَلْهُوا ويَغْتَرُّوا بِهـا مَـا بَـدا لَـهُم مَتى تَبْلُـغِ الحُلْقـومَ تُصْرمْ حِبالُـها

التعليق:

١٦- هذه نصيحة من الشيخ لمن اغتر بالدنيا وقدمها على الآخرة.

(فقُلْ لِلَّذينَ اسْتَعْذَبوها) الذين وجدوا للدنيا لذة وعذوبة أخذ طعمها بقلوبهم.

(رُوَيْدَكَم) أي: لا تتوسعوا في الدنيا ولا تجروا في الدنيا أكثر مما يُحتاج إليه، فهو خطر عليكم.

(سَيَنْقَلِبُ السُّمَّ النَّقِيعَ زُلَالُـها) سينقلب زلالُها سمًّا نقيعًا أي: قاتلًا.

١٧- (لِيَلْهُوا ويَغْتَرُّوا بِها مَا بَدا لَـهُم) ليلهوا في الدنيا إما بمعصية الله تعالى، أو يضيِّع وقته في المباح بكثرة، ويغتر ما بدا له ليفعلوا هذا ما بدا لهم فلابد من يوم يحصل فيه الحساب والندم، يوم يعرض على النفس ما عملت.

(مَتى تَبْلُغِ الحُلْقومَ تُصْرمْ حِبالُـها) إذا بلغت النفس الحلقوم بدأ الشخص يندم يا ليتني فعلت. كما قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فالإنسان عند الموت يتمنى أنه ما نال شيئًا من الدنيا لأن حلالها حساب وحرامها عقاب، ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾.

يجب على الإنسان أن ينظر إلى الدنيا بنظرين: الأول: أنها زائلة والآخرة قادمة فاعمل للقادم ولا تنظر إلى الزائل. والنظر الثاني: أن يقول الإنسان يكفيني من الدنيا ما يحتاج إليه لا حاجة للتوسع. إذا أصبح عندك ما يكفيك ويكفي أولادك بوسط في العيش فلا تحتاج أن تتوسع، فرغ الوقت المتبقي للعلم للعبادة للتزود للآخرة، الذي يضر الناس ليس الفقر يضرهم التوسع

في الدنيا، فحسب الإنسان ما يغطِّي حاجته ويستغني عما في أيدي الناس، ثم يفرغ ما بقي من الوقت للأعمال الأخروية، لا سيما أبناء التجار، إذا كان هذا الذي عند والدك يكفيك يعني لو كنت مثلًا سترث عمارة وهذه العمارة ستكفيك في مصاريفك فلا حاجة أن تبقى تدرس ابتدائي وثانوي وجامعة، فرِّغ هذا الوقت للعلم الشرعي، فالله تعالى قد يسر رزقك فلا حاجة أن تجري بعد الأرزاق، بعض الناس تعجب منه عنده أموال طائلة أو عند والده وهو يجري بعد الشهادات، ماذا تفعل بالشهادة تتوظف بمائة ألف ومائتين ألف وعندك الأموال الطائلة، تفرغ لما ينفعك قد أغناك الله تعالى فلا تفتقر، ولكن لله سبحانه وتعالى حكمة حين يقبل الإنسان على الدنيا يرى الفقر بين عينيه ومهما كانت أمواله كثيرة، فلا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.



١٨- ويومَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ بِكَسْبِها   تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَنِيها ومالَها
١٩- وتَأْخذُ إمَّا بِاليَمينِ كِتابَها   إذا أحْسَنتْ أو ضِدَّ ذا بِشِمالِها
٢٠- ويَبْدُو لَدَيْها مَا أَسَرَّتْ وأَعْلَنَتْ   ومَا قَدَّمَتْ مَنْ قَوْلِها وفِعَالِها
٢١- بِأيْدي الكِرام الكَاتِبِينَ مُسَطَّرٌ   فَلَمْ يُغْنِ عَنْها عُذْرُها وَجِدَلُها

التعليق:

١٨- هذه الأبيات في ذكر الحساب الأخروي (ويومَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ) يوم القيامة كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في هذه الدنيا عمل وأما الحساب فإنه يكون في الآخرة.

(تَوَدُّ فِدَاءً لَوْ بَنِيها ومالَها) تود النفس إذا رأت أن كسبها من الذنوب والخطايا أن تفدي نفسها بالمال بالبنين بالعشيرة، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ فصيلته أي: عشيرته.

١٩- (وتَأْخذُ إمَّا بِاليَمينِ كِتابَها إذا أحْسَنتْ أو ضِدَّ ذا بِشِمالِها) ينقسم الناس يوم القيامة عند تطاير الصحف إلى قسمين قسم يأخذ كتابه بيمينه وهذا هو الذي اجتهد في الدنيا في العمل بالكتاب والسنة، وقسم يأخذ بشماله، وهم الكفار والمنافقون وبعض عصاة المسلمين الذين خالفوا الكتاب والسنة في هذه الدنيا إما بالذنوب والمعاصي وإما بالبدع والضلالات.

٢٠- (ويَبْدُو لَدَيْها مَا أَسَرَّتْ وأَعْلَنَتْ ومَا قَدَّمَتْ مَنْ قَوْلِها وفِعَالِها) في يوم الحساب يظهر كل ما قدم الإنسان من خير أو شر ويجازى على حسب ذلك كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ والكفار يقولون يوم القيامة: ﴿يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها

فكل شيء يسجل من القول والفعل بل حتى عزائم النيات، إن كانت خيرًا فإنه يؤجر وإن كانت شرًّا فإنه يأثم.

(من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) (إنما الأعمال بالنيات) فعزائم النيات يعني إما للإنسان وإما عليه.

(بِأيْدي الكِرامِ الكَاتِبينَ مُسَطَّرٌ) أي كل ما عمل الإنسان مسجل بأيدي الملائكة ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

(فَلَمْ يُغْنِ عَنْها عُذْرُها وَجِدَالُـها) وإذا جادلت وجاءت بالأعذار فلا يقبل منها لأن الله سبحانه وتعالى أوضح الحق والكتاب والسنة لئلا يكون للناس على الله تعالى حجة.



٢٢- هُنالَكَ تَدْري رِبْحَها وخَسَارَها وإذْ ذاكَ تَلْقَى مَا إلَيْهِ مآلَها
٢٣- فإنْ تَكُ مِنْ أهلِ السَّعادَةِ والتُّقَى فإنَّ لَها الحُسْنَى بِحُسْنِ فِعالِها
٢٤- تَفُوزُ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وحُورِهَا وتُحْبَرُ فِي رَوْضاتِها وظِلالِها
٢٥- وتُرْزَقُ مِمَّا تَشْتَهي مِنْ نَعِيْمِها وتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيمِها وزُلَالِها

التعليق:

٢٢- (هُنالَكَ تَدْري رِبْحَها وخَسَارَها) بعد الحساب، (وإذْ ذاكَ تَلْقَى مَا إلَيْهِ مآلَها) تعرف أين مستقرها في الجنة أو النار.

٢٣- (فإنْ تَكُ مِنْ أهلِ السَّعادَةِ والتُّقَى) من وفقه الله سبحانه وتعالى في هذه الدنيا للعمل وكان من أهل التقوى فإنه سيكون من أهل السعادة؛ لأن التقوى تجر إلى السعادة.

(فإنَّ لَها الحُسْنَى بِحُسْنِ فِعالِها) له الحسنى وهي الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ .

٢٤- (تَفُوزُ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ وحُورِهَا) للمحسن وهو الموحد المتبع الطائع له في الآخرة: أولاً النجاة من العذاب. وثانيًا: دخول الجنة والفوز بنعيمها. وثالثًا: رضا الله سبحانه وتعالى، وهو أعظم ما تناله الأنفس، فإذا أحلَّ الله تعالى الرضوان فإنهم يعيشون سُعداء في أمن.

(وتُحْبَرُ فِي رَوْضاتِها وظِلالِها) بمعنى تُنَعَّم في حدائق الجنة وفي ظل أشجارها.

٢٥- (وتُرْزَقُ مِمَّا تَشْتَهي مِنْ نَعِيْمِها) ولهم فيها ما تشتهيه الأنفس، كل ما يرغب فيه الإنسان يجده في الجنة، (وتَشْرَبُ مِنْ تَسْنِيمِها وزُلَالِها) تسنيم: عين من عيون الجنة تسمى بتسنيم كما قال الله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ وهذا من أعلى شراب وأفضل الشراب في الجنة.

****

٢٦- وإنَّ لَـهُمْ يومَ الـمَزيدِ لَـمَوْعِدًا زِيـادَةُ زُلْفَـى غَـيرُهم لا يَنالُـها
٢٧- وُجـوهٌ إلى وَجْـهِ الإلَـهِ نَـوَاظِرٌ لقدْ طالَ مَـا بِالـدَّمْعِ كَـانَ ابْتِلَالُـها
٢٨- تَـجَلَّى لَهَا الـربُّ الـرحيمُ مُسَلِّـمًا فيَـزْدادُ مِـنْ ذاكَ الـتَّجَلِّي جَمالُـها

التعليق:

٢٦- (وإنَّ لَـهُمْ يَومَ الـمَزيدِ لَـمَوْعِدًا) في الجنة يوم يوافق يوم الجمعة يسمى بيوم المزيد. ولماذا يسمى بيوم المزيد؟ لأن من أتى إلى ذلكم المكان الذي أعده الله تعالى للزيارة يزداد جمالًا ونعيمًا. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا).

(زِيادَةُ زُلْفَى غَيرُهم لا يَنالُـها) لا ينالها إلا أهل الجنة.

٢٧- (وُجوهٌ إلى وَجْهِ الإلَهِ نَوَاظِرٌ) أهل الجنة وهم المؤمنون الموحدون ينظرون إلى وجه الله سبحانه كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تراه بالأعين.

(لقدْ طالَ مَا بِالدَّمْعِ كَانَ ابْتِلَالُـها) البكاء من خشية الله تعالى في صلاة الليل، أو في سماع القرآن والمواعظ، فكان ثمرتها النظر إلى وجه الله تعالى، وقال بعضهم: إن المؤمن إذا ازداد شوقًا إلى الله سبحانه وتعالى يبكي من شدة شوقه إليه سبحانه، وإلى النظر إليه فإذا مات وكان يوم القيامة كان هذا جزاؤه.

٢٨- (تَـجَلَّى لَهَا الربُّ الرحيمُ مُسَلِّـمًا) تجلى بمعنى ظهر ووضح فنظرت إليه في وضوح (مسلما) يقول: سلام عليكم ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾.

(فيَزْدادُ مِنْ ذاكَ التَّجَلِّي جَمالُـها) كما مر في حديث أنس.

٢٩- بِمَقْعَدِ صِدقٍ حَبَّذا الجارُ رَبُّهم ودارُ خُلُودٍ لم يَخافُوا زَوالَها
٣٠- فواكِهُهَا مِمَّا تَلَذُّ عُيُونَهُم وتَطَّرِدُ الأنْهارُ بينَ خِلالِها
٣١- عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ثُمَّ فُرُشُهُمْ كَما قالَ فِيها رَبُّنا وَاصِفًا لَها
٣٢- بَطائِنُها إِسْتَبْرَقٌ كيفَ ظَنُّكُم ظَواهِرُها لا مُنْتَهَى لِجَمالِها

التعليق:

٢٩- (بِمَقْعَدِ صِدقٍ) وهذا أيضًا في وصف الجنة وأنها (مقعد صدق) لأن كل ما فيها حق لا باطل فيه، (حَبَّذا الجارُ رَبُّهم) الجار هو الله سبحانه وتعالى لأن الجنة تحت العرش؛ والله جل وعلا فوق العرش، (ودارُ خُلُودٍ لم يَخافُوا زَوالَها) ودار خلود لا يموتون فيها ولا يزولون عنها.

٣٠- (فواكِهُهَا مِمَّا تَلَذُّ عُيُونَهُم) ومما تلذ عيونهم وأجسادهم بها ﴿يَاعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

(وتَطَّرِدُ الأنْهارُ بينَ خِلالِها) تطرد: تستمر في كل مكان تذهب وتمشي (خلالها) وسطها وتحت السرر.

٣١- (عَلى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ) وهم مع ذلك على سرر منسوجة من الذهب ومصفوفة وعالية كما في الآية: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾.

(ثُمَّ فُرُشُهُمْ كَما قالَ فِيها رَبُّنا وَاصِفًا لَها) والفراش كما وصفه الله تعالى، وتوضيحه بعده.

٣٢- (بَطائِنُها إِسْتَبْرقٌ) البطانة: الجهة السفلى أو الحشو الداخلي، وظاهرها الأعلى وهو ما يلامسه الجسم، والإستبرق غليظ الحرير، والسندس رقيق الحرير.

حرير لا يعلم جماله ونعومته وراحته إلا الله سبحانه وتعالى كما قال سبحانه: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾.

(كيفَ ظَنُّكُم ظَواهِرُها لا مُنْتَهَى لِـجَمالِـها) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فوصف الفرش بكونها مبطنة بالإستبرق وهذا يدل على أمرين: أحدهما: أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة.

الثاني: يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة.



٣٣- وإن تكنِ الأُخرَى فَوْيلٌ وحَسْرَةٌ وَنارُ جَحِيمٍ مَا أشَدَّ نَكَالَـها
٣٤- لهُمْ تَحْتَهُمْ مِنها مِهَادٌ وفَوْقَهُم غَوَاشٌ ومِن يَحْمُومَ ساءَ ظِلالُـها
٣٥- طَعامُهُمُ الغِسْلِينُ فِيها وإنْ سُقُوا حَمِيمًا بِهِ الأمْعاءُ كانَ انْحِلالُها
٣٦- أمانِيُّهُم فِيها الهَلاكُ ومالَهُم خُرُوجٌ ولا مَوتٌ كَما لا فَنا لَها

التعليق:

٣٣- ذكر في أبيات سابقة ماذا لأهل السعادة والتقى ثم في هذه الأبيات ذكر الصنف الآخر.

(وإن تكنِ الأُخرَى) وإن كان العبد من أهل الشقاوة والعصيان (فَوْيلٌ وحَسْرَةٌ) عذاب له وستطول حسرته: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾، ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ ثم بعد هذه الحسرة.

(ونارُ جَحِيمٍ مَا أشَدَّ نَكَالَـها) قد يصلى النار ويعاقَب عقوبة شديدة فالنكال يعني العقوبة الشديدة.

٣٤- (لهُمْ تَحْتَهُمْ مِنها مِهَادٌ وفَوْقَهُم غَوَاشٌ) المهاد: الفراش الذي تحتهم من نار، والغواش: الغطاء الذي فوقهم كلاهما من نار، قال الله جل وعلا: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

(ومِن يَحْمُومَ ساءَ ظِلالُـها) الدخان واللهب الذي له ظل في جهنم يعتبر في أشد الحرارة؛ فإن بعض الكهوف البركانية يخرج منها دخان لو أن شخصًا وضع يده عشر ثواني وأخرجها لاحترقت من شدة حرارته، هذا في الدنيا كيف بالآخرة.

قال الله عز وجل: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ كأن المعنى أنهم يرون الظل فيهربون يريدون أن يستظلوا به فيجدونه نارًا تلظى.

٣٥- (طَعامُهُمُ الغِسْلِينُ فِيها) الطعام الذي يأكلونه هو من أقذر ما يخرج من أهل النار من صديد وغيره، (وإنْ سُقُوا حَـمِيًا بِهِ الأمَعاءُ كانَ انْحِلالُها) إذا طلبوا الشراب أعطوا فيشربون ماءً حميماً يعني شديد الحرارة فينزل على أجسام فيمزقها تمزيقاً يرون منه الموت ولا يموتون، قال الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم.

٣٦- (أمانِيُّهُم فِيها الهَلاكُ) من شدة العذاب والضنك والنار يتمنى أهل النار أن الله تعالى يهلكهم وأن يكونوا ترابًا: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ وينادون في أول دخولهم النار ينادون الله تعالى وينادون مالكًا خازن النار: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ أي: نحن نختار الموت ولكن ليس هناك موت في النار نعوذ بالله تعالى من النار.

(ومالَـهُم خُرُوجٌ ولا مَوتٌ كَما لا فَنا لَهَا) لا يخرجون ولا يموتون بل يدوم العذاب ويطول أبد الآبدين.



٣٧- مَـحَلَّينِ قُلْ لِلنَّفْسِ لَيسَ سُواهُما لِتَكْسِبْ أو فَلْتَكْتَسِـبْ مـا بَـدا لَهَـا
٣٨- فَطُوبَى لِنَفْسٍ جَـوَّزَتْ وتَخَفَّفَـتْ فَتَنْجُــو كَفافًــا لا عَلَيْهــا ولا لَهَــا

التعليق:

٣٧- (مَـحَلَّينِ) الأول: الجنة، والثاني: النار، (قُلْ لِلنَّفْسِ لَيسَ سُواهُما) يحاسب الإنسان نفسه، ويقول: يا نفس ها هنا جنة وها هنا نار، (لِتَكْسِبْ أو فَلْتَكْتَسِبْ ما بَدا لَهَا) فاكتسبي ما بدا لك، إما أن تكتسبي ما يصل بك إلى الجنة وإما أن تكتسبي ما يصل بك إلى النار، فكل إنسان يحاسب نفسه لعل الله جل وعلا: أن يصلح هذه النفس الأمارة بالسوء، والمسلم وإن كان يقع في ذنوب فإنه يبادر دائمًا إلى التوبة ويحاسب نفسه ويسعى في إصلاح قلبه ولا ييأس، فإن من داوم على طرق الباب يوشك أن يفتح له فيبذل الأسباب والدعاء مع ذلك ولعل الله عز وجل إذا رأى صدقه وكثرة دعائه والتألم من الذنوب أن يشرح صدره للتوبة والبعد عن الذنوب.

٣٨- (فَطُوبَى لِنَفْسٍ) طوبى، الجنة، وقيل: شجر عظيمة في الجنة يسير الراكب تحت ظلها مائة سنة ما يقطعها. (جَوَّزَتْ وتَخَفَّفَتْ) تجوزت في المباح أخذ من المباح قدر الحاجة مشت على خفة ولم تفكر في البقاء ولا في التوسع (وتخففت) من الذنوب بالبعد عنها فهذه النفس يرجى لها النجاة (فَتَنْجُو كَفافًا) كفافا فسرها بـ(لا عَلَيْها ولا لَهَا) أي لعلها أن تنجو لا بكثير من الثواب ولا بالعقاب، يتمنى الإنسان أحيانًا أن ينجو ولو أن يكون في أدنى أهل الجنة منزلًا بسبب ما يرى من نفسه من تقصير جاء من حديث ابن مسعود وجاء عن غيره أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا

تُهْلِكْهُ». الذنوب وإن كانت قليلة أو من الصغائر حين تجتمع تصبح كالجبال كثرة وتهلك صاحبها كما في حديث صاحب البطاقة: (أنه يأتي يوم القيامة وعنده تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مد البصر) والإنسان لا يدري بسبب أنه لا يشاهد الصحف وما يكتب فيها يتساهل ويكثر من الذنوب وينسى الماضي.

وهذه المنظومة الجميلة ينبغي أن تقرأ في البيوت، يأخذ الإنسان كتابًا من كتب الرقائق التي شرحت شرحًا مختصرًا ويقرأ هو وأولاده في البيت يقرؤون مرة من (شرح رياض الصالحين) ومرة يقرؤون (شرح منظومة من المنظومات) وهكذا بحيث تبقى القلوب حية ولينة، لا سيما الصغار إذا تربَّوا على هذه المواعِظ فإن قلوبهم تشب على اللين والصفاء والنقاء، والخوف من الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله عز وجل أن يُصلِحنا، وأن يتوب علينا، وأن يعفو عنا.

إنه جوادٌ كريم والحمد لله رب العالمين.



الوسائل المفيدة

للحياة السعيدة

لفضيلة الشيخ

عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى

ويليه

[سعادةُ البشر في توحيدِ الله تعالى

وتركِ الشرك والشَّر]

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة المحقق)

الحمد لله الكريم المنان الرحيم الرحمن البر الرؤوف اللطيف المنان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما بعد:

فهذا تعليق وتحقيق للنسخة المباركة (الوسائل المفيدة للحياة السعيدة) للإمام عبدالرحمن السعدي رحمه الله تعالى. ولاشك أن السعادة مطلب الجميع ، فكيف الحصول عليها؟

الحصول عليها بطاعة الله عز وجل ولزوم ذلك كما قال الله تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ }، في دورهم الثلاث الدنيا والبرزخ والآخرة وكما قال تعالى: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ }، ففاز أهل الطاعة والتقوى الذين حسنت أعمالهم بالإخلاص والمتابعة فازوا بنعيم الدنيا والآخرة وحصلوا على الحياة الطيبة في الدارين فإن طيب النفس وسرور القلب وفرحه وابتهاجه وانشراحه وعافيته من الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة هو النعيم على الحقيقة ، الذي لا يضل صاحبه ولا يشقى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}، فليس للشقاء عنده مستقر ، بل هو بين العلم والطاعة والملائكة تحفه وتحرسه كما في الحديث: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة...) الحديث .

ورحم الله بعض السلف إذ يقول: (تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن). هذه هي جنة الدنيا التي لم يعرفها كثير من الناس.

ومن أعظم أسباب السعادة طلب العلم الشرعي (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين).

فطالب العلم يتقلب بين الخيرات والعبادة بعلم. وهل أشقى الناس إلا الجهل والجري وراء الدنيا مما أدى إلى تمكن الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة من هذا الصنف.

فإذا أردت السعادة فاسلك طريق الطاعة بعلم وإخلاص ومتابعة واعلم أن ذهاب السعادة يدخل على العبد من طريق الشهوات المحرمة والشبهات الباطلة والجهل والله أعلم[١]

كتبه أبو عبد الله المصنعي

١٤٢٦ هـ معبر

****

(١) انظر للفائدة / الداء والدواء / ١٨٦/ الوابل ٦٩-٧١.

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي له الحمد كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

أما بعد:

فإن راحة القلب، وطمأنينته وسروره وزوال همومه وغمومه، هو المطلب لكل أحد، وبه تحصل الحياة الطيبة، ويتم السرور والابتهاج، ولذلك أسباب دينية، وأسباب طبيعية، وأسباب عملية، ولا يمكن اجتماعها كلها إلا للمؤمنين، وأما من سواهم، فإنها وإن حصلت لهم من وجه وسبب يجاهد عقلاؤهم عليه، فاتتهم من وجوه أنفع وأثبت وأحسن حالاً ومآلاً.

ولكني سأذكر برسالتي هذه ما يحضرني من الأسباب لهذا المطلب الأعلى، الذي يسعى له كل أحد.

فمنهم من أصاب كثيراً منها فعاش عيشة هنيئة، وحيي حياة طيبة، ومنهم من أخفق فيها كلها فعاش عيشة الشقاء، وحيي حياة التعساء. ومنهم من هو بين بين، بحسب ما وفق له.

والله الموفق المستعان به على كل خير، وعلى دفع كل شر.

****

فصـــــل

١ـ وأعظم الأسباب لذلك وأصلها وأسها هو الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧] (١)

فأخبر تعالى ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح، بالحياة الطيبة في هذه الدار، وبالجزاء الحسن في هذه الدار وفي دار القرار.

وسبب ذلك واضح، فإن المؤمنين بالله الإيمان الصحيح، المثمر للعمل الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة، معهم أصول وأسس يتلقون فيها جميع ما يرد عليهم من أسباب السرور والابتهاج، وأسباب القلق والهم والأحزان.

- يتلقون المحاب والمسار بقبول لها، وشكر عليها، واستعمال لها فيما ينفع، فإذا استعملوها على هذا الوجه أحدث لهم من الابتهاج بها، والطمع في بقائها وبركتها، ورجاء ثواب الشاكرين، أموراً عظيمة تفوق بخيراتها وبركاتها هذه المسرات التي هذه ثمراتها.

- ويتلقون المكاره والمضار والهم والغم بالمقاومة لما يمكنهم مقاومته، وتخفيف ما يمكنهم تخفيفه، والصبر الجميل لما ليس لهم منه بد، وبذلك يحصل لهم من آثار المكاره من المقاومات النافعة، والتجارب والقوة، ومن الصبر واحتساب الأجر والثواب أمور عظيمة تضمحل معها المكاره، وتحل محلها المسار والآمال الطيبة، والطمع في فضل الله وثوابه، كما عبر النبي ﷺ عن هذا في الحديث الصحيح أنه قال: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراء

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى (في هذه الآية): فضمن الله تعالى لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا الحياة الطيبة والحسنى يوم القيامة فلهم أطيب الحياتين فهم أحياء في الدارين. الجواب الكافي ١٧٧ .

شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن"(١).

فأخبر ﷺ أن المؤمن يتضاعف غنمه وخيره وثمرات أعماله في كل ما يطرقه من السرور والمكاره. لهذا تجد اثنين تطرقهما نائبة من نوائب الخير أو الشر فيتفاوتان تفاوتاً عظيماً في تلقيها، وذلك بحسب تفاوتهما في الإيمان والعمل الصالح. هذا الموصوف بهذين الوصفين يتلقى الخير والشر بما ذكرناه من الشكر والصبر وما يتبعهما، فيحدث له السرور والابتهاج، وزوال الهم والغم، والقلق، وضيق الصدر، وشقاء الحياة وتتم له الحياة الطيبة في هذه الدار.

والآخر يتلقى المحاب بأشرٍ وبطرٍ وطغيان. فتنحرف أخلاقه ويتلقاها كما تتلقاها البهائم بجشع وهلع، ومع ذلك فإنه غير مستريح القلب، بل مشتته من جهات عديدة، مشتت من جهة خوفه من زوال محبوباته، ومن كثرة المعارضات الناشئة عنها غالباً، ومن جهة أن النفوس لا تقف عند حد بل لا تزال متشوقة لأمور أخرى(٢)، قد تحصل وقد لا تحصل، وإن حصلت على الفرض والتقدير فهو أيضاً قلق من الجهات المذكورة ويتلقى المكاره بقلق وجزع وخوف وضجر، فلا تسأل عن ما يحدث له من شقاء الحياة، ومن الأمراض الفكرية والعصبية، ومن الخوف الذي قد يصل به إلى أسوأ الحالات وأفظع المزعجات، لأنه لا يرجو ثواباً. ولا صبر عنده يسليه ويهون عليه.

---

(١) (م٢٩٩٩) عن صهيب رضي الله عنه.

(٢) كما في الحديث (لو كان لابن آدم واد من ذهب أحب أن يكون له وادياً آخر) (خ٦٤٣٩) (م١٠٤٩) عن أنس رضي الله عنه.

وكل هذا مشاهد بالتجربة، ومثل واحد من هذا النوع، إذا تدبرته ونزلته على أحوال الناس، رأيت الفرق العظيم بين المؤمن العامل بمقتضى إيمانه، وبين من لم يكن كذلك، وهو أن الدين يحث غاية الحث على القناعة برزق الله، وبما آتى العباد من فضله وكرمه المتنوع[١].

فالمؤمن إذا ابتلي بمرض أو فقر، أو نحوه من الأعراض التي كل أحد عرضة لها، فإنه – بإيمانه وبما عنده من القناعة والرضى بما قسم الله له – يكون قرير العين، لا يتطلب بقلبه أمراً لم يقدر له، ينظر إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، وربما زادت بهجته وسروره وراحته على من هو متحصل على جميع المطالب الدنيوية، إذا لم يؤت القناعة[٢].

كما تجد هذا الذي ليس عنده عمل بمقتضى الإيمان، إذا ابتلي بشيء من الفقر، أو فقد بعض المطالب الدنيوية، تجده في غاية التعاسة والشقاء.

ومثل آخر: إذا حدثت أسباب الخوف، وألمت بالإنسان المزعجات، تجد صحيح الإيمان ثابت القلب، مطمئن النفس، متمكناً من تدبيره وتسييره لهذا الأمر الذي دهمه بما في وسعه من فكر وقول وعمل، قد وطن نفسه لهذا المزعج الملم، وهذه أحوال تريح الإنسان وتثبت فؤاده.

كما تجد فاقد الإيمان بعكس هذه الحال إذا وقعت المخاوف انزعج لها ضميره، وتوترت أعصابه، وتشتت أفكاره وداخله الخوف والرعب، واجتمع عليه الخوف الخارجي، والقلق الباطني الذي لا يمكن التعبير عن كنهه، وهذا النوع من الناس إن لم يحصل لهم بعض

---

(١) كما في حديث عبدالله بن عمرو عند مسلم (قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه)، مسلم رقم/ ١٠٥٤.

(٢) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين (خ٦٤٩٠) (م٢٩٦٣/ ٩) وهذا لفظ مسلم، انظروا إلى أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم).

الأسباب الطبيعية التي تحتاج إلى تمرين كثير انهارت قواهم وتوترت أعصابهم، وذلك لفقد الإيمان الذي يحمل على الصبر، خصوصاً في المحال الحرجة، والأحوال المحزنة المزعجة.

فالبر والفاجر، والمؤمن والكافر يشتركان في جلب الشجاعة الاكتسابية، وفي الغريزة التي تلطف المخاوف وتهونها، ولكن يتميز المؤمن بقوة إيمانه وصبره وتوكله على الله واعتماده عليه، واحتسابه لثوابه ـ أموراً تزداد بها شجاعته، وتخفف عنه وطأة الخوف، وتهون عليه المصاعب، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾ (١). ويحصل لهم من معونة الله ومعينه الخاص ومدده ما يبعثر المخاوف. وقال تعالى ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٢).



(١) [الأنفال:٤٦]

(٢) [الأنفال:٤٦]

٢- ومن الأسباب التي تزيل الهم والغم والقلق: الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، وأنـواع المعروف، وكلها خير وإحسان، وبها يدفع الله عن الـبر والفـاجر الهمـوم والغمـوم بحسـبها، ولكن للمؤمن منها أكمل الحظ والنصيب، ويتميز بأن إحسانه صادر عن إخلاص واحتساب لثوابــه

فيهون الله عليه بذل المعروف لما يرجوه من الخير، ويدفع عنه المكاره بإخلاصه واحتسابه، قال تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ الله فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[١].

فأخبر تعالى أن هذه الأمور كلها خير ممن صدرت منه. والخير يجلب الخير، ويدفع الشرـ. وأن المؤمن المحتسب يؤتيه الله أجراً عظيماً ومن جملة الأجر العظـيم: زوال الهـم والغـم والأكـدار ونحوها.

****

(١) [النساء:١١٤].

فصل

٣. ومن أسباب دفع القلق الناشئ عن توتر الأعصاب، واشتغال القلب ببعض المكدرات: الاشتغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة فإنها تلهي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقه.

وربما نسي بسبب ذلك الأسباب التي أوجبت له الهم والغم، ففرحت نفسه، وازداد نشاطه، وهذا السبب أيضاً مشترك بين المؤمن وغيره.

ولكن المؤمن يمتاز بإيمانه وإخلاصه واحتسابه في اشتغاله بذلك العلم الذي يتعلمه أو يعلمه، وبعمل الخير الذي يعمله، إن كان عبادة فهو عبادة، وإن كان شغلاً دنيوياً أو عادةً أصحبها النية الصالحة.

وقصد الاستعانة بذلك على طاعة الله، فلذلك أثره الفعال في دفع الهم والغموم والأحزان، فكم من إنسان ابتلي بالقلق وملازمة الأكدار، فحلت به الأمراض المتنوعة، فصار دواؤه الناجع (نسيانه السبب الذي كدره وأقلقه، واشتغاله بعمل من مهماته).

وينبغي أن يكون الشغل الذي يشتغل فيه مما تأنس به النفس وتشتاقه، فإن هذا أدعى لحصول هذا المقصود النافع.

والله أعلم.



٤. ومما يدفع به الهم والقلق: اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل، وعن الحزن على الوقت الماضي، ولهذا استعاذ النبي ﷺ من الهم والحزن[١]، فلا ينفع الحزن على الأمور الماضية التي لا يمكن ردها ولا استدراكها وقد يضر الهم الذي يحدث بسبب الخوف من المستقبل، فعلى العبد أن يكون ابن يومه، يجمع جده واجتهاده في إصلاح يومه ووقته الحاضر، فإن جمع القلب على ذلك يوجب تكميل الأعمال، ويتسلى به العبد عن الهم والحزن.

والنبي ﷺ إذا دعا بدعاء أو أرشد أمته إلى دعاء فإنما يحث مع الاستعانة بالله والطمع في فضله على الجد والاجتهاد في التحقق لحصول ما يدعو بحصوله. والتخلي عما كان يدعو لدفعه لأن الدعاء مقارن للعمل، فالعبد يجتهد فيما ينفعه في الدين والدنيا، ويسأل ربه نجاح مقصده. ويستعينه على ذلك، كما قال ﷺ "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" [٢]، فجمع ﷺ بين الأمر بالحرص على الأمور النافعة في كل حال. والاستعانة بالله وعدم الانقياد للعجز الذي هو الكسل الضار وبين الاستسلام للأمور الماضية النافذة، ومشاهدة قضاء الله وقدره.

وجعل الأمور قسمين: قسماً يمكن العبد السعي في تحصيله أو تحصيل ما يمكن منه، أو دفعه أو تخفيفه فهذا يبدي فيه العبد مجهوده ويستعين بمعبوده. وقسماً لا يمكن فيه ذلك، فهذا يطمئن له العبد ويرضى ويسلم، ولا ريب أن مراعاة هذا الأصل سبب للسرور وزوال الهم والغم.

---

(١) في الحديث عن أنس رضي الله عنه (خ٦٣٦٩) ولفظه (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن).

(٢) (م٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فصــل

٥. ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته: الإكثار من ذكر الله، فإن لذلك تأثيراً عجيباً في انشراح الصدر وطمأنينته، وزوال همه وغمه، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]. (١)، فلذكر الله أثر عظيم في حصول هذا المطلوب لخاصيته، ولما يرجوه العبد من ثوابه وأجره.

٦. وكذلك التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة، فإن معرفتها والتحدث بها يدفع الله به الهم والغم، ويحث العبد على الشكر الذي هو أرفع المراتب وأعلاها حتى ولو كان العبد في حالة فقر أو مرض أو غيرهما من أنواع البلايا.

فإنه إذا قابل بين نعم الله عليه – التي لا يحصى لها(٢) عد ولا حساب – وبين ما أصابه من مكروه، لم يكن للمكروه إلى النعم نسبة.

بل المكروه والمصائب إذا ابتلى الله بها العبد، وأدى فيها وظيفة الصبر والرضى والتسليم، هانت وطأتها، وخفت مؤنتها، وكان تأميل العبد لأجرها وثوابها(٣) والتعبد لله بالقيام بوظيفة الصبر(٤) والرضى، يدع الأشياء المرة حلوة فتنسيه حلاوةُ أجرها مرارة صبرها.

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الطمأنينة سكون القلب على الشيء، وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف (الصدق طمأنينة والكذب ريبة) (رواه أحمد ٣/ ١٦٩، عن الحسن رضي الله عنه) أي: الصدق يطمئن إليه قلب السامع... وذكر العبد ربه يطمئن عليه القلب ويسكن فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله. أ.هـ المراد المدارج ٢/ ٥١٢-٥١٣

(٢) قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

(٤) قال تعال: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .



٧.ومن أنفع الأشياء في هذا الموضع استعمال ما أرشد إليه النبي ﷺ في الحديث الصحيح حيث قال: "انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم" [(١)]، فإن العبد إذا نصب بين عينيه هذا الملحظ الجليل رآه يفوق جمعاً كثيراً من الخلق في العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه مهما بلغت به الحال، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واغتباطه بنعم الله التي فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها.

وكلما طال تأمل العبد بنعم الله الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، رأى ربه قد أعطاه خيراً ودفع عنه شروراً متعددة، ولا شك أن هذا يدفع الهموم والغموم، ويوجب الفرح والسرور.



(١) تقدم تخريجه، وهو متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه. بلفظ آخر، وهذا لفظ مسلم.

فصل

٨. ومن الأسباب الموجبة للسرور وزوال الهم والغم: السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال، وأن ذلك حمق وجنون[(١)]، فيجاهد قلبه عن التفكر فيها وكذلك يجاهد قلبه عن قلقه لما يستقبله، مما يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكاره التي يتخيلها في مستقبل حياته. فيعلم أن الأمور المستقبلة مجهول ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها، ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه[(٢)]، واطمأن إليه في ذلك، إذا فعل ذلك اطمأن قلبه وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه.

٩. ومن أنفع ما يكون في ملاحظة مستقبل الأمور: استعمال هذا الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به: "اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر"[(٣)]. وكذلك قوله: "اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عينْ وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت" [(٤)].

(١) وأن ذلك قد يكون سبباً في ذهاب أجره لأنه نوع من الجزع.

(٢) قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

(٣) (م ٢٧٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه أبوداود (رقم ٥٠٩٠) بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه وحسنه الشيخ الألباني.

فإذا لهج العبد بهذا الدعاء الذي فيه صلاح مستقبله الديني والدنيوي بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده فيما يحقق ذلك، حقق الله له ما دعاه ورجاه وعمل له، وانقلب همه فرحاً وسروراً.



فصـــل

١٠. ومن أنفع الأسباب لزوال القلق والهموم إذا حصل علـى العبـد شـئ مـن النكبـات: أن يسعى في تخفيفها بأن يقّدِر أسوأ الاحتمالات التي ينتهي إليها الأمر، ويوطن على ذلك نفسـه، فإذا فعل ذلك فليسع إلى تخفيف ما يمكن تخفيفـه بحسـب الإمكـان، فبهـذا التـوطين وبهـذا السعي النافع، تزول همومه وغمومه، ويكون بذل ذلك السـعي في جلـب المنـافع، وفـد دفـع المضار الميسورة للعبد.

فإذا حلت به أسباب الخوف، وأسباب الأسقام، وأسباب الفقر والعدم لما يحبه من المحبوبـات المتنوعة، فليتلق ذلك بطمأنينة وتوطين للنفس عليها، بل على أشد ما يمكن منها، فإن تـوطين النفس على احتمال المكاره، يهونها ويزيل شدتها، وخصوصاً إذا أشغل نفسه بمدافعتها بحسب مقدوره، فيجتمع في حقه توطين النفس مع السعي النافع الذي يشغل عن الاهتمام بالمصائب، ويجاهد نفسه على تجديد قوة المقاومة للمكاره، مع اعتماده في ذلك على الله وحسن الثقة بـه ولا ريب أن لهذه الأمور فائدتها العظمى في حصول السرور وانشراح الصدور، مع ما يؤمله العبد من الثواب العاجل والآجل، وهذا مشاهد مجرب، ووقائعه ممن جربه كثيرة جداً.

****

فصل

١١. ومن أعظم العلاجات لأمراض القلب العصبية، بل وأيضاً للأمراض البدنية: قوة القلب وعدم انزعاجه وانفعاله للأوهام والخيالات التي تجلبها الأفكار السيئة، والغضب والتشوش من الأسباب المؤلمة، ومن توقع حدوث المكاره وزوال المحاب، أوقعه ذلك في الهموم والغموم والأمراض القلبية والبدنية، والانهيار العصبي الذي له آثاره السيئة التي قد شاهد الناس مضارها الكثيرة.

١٢. ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، فكم ملئت المستشفيات من مرضى الأوهام والخيالات الفاسدة، وكم أثَّرت هذه الأمور على قلوب كثيرين من الأقوياء، فضلاً عن الضعفاء، وكم أدت إلى الحمق والجنون، والمعافى من عافاه الله ووفقه لجهاد نفسه لتحصيل الأسباب النافعة المقوية للقلب، الدافعة لقلقه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: كافيه جميع ما يهمه من أمر دينه ودنياه.

فالمتوكل على الله قوي القلب لا تؤثر فيه الأوهام، ولا تزعجه الحوادث لعلمه أن ذلك من ضعف النفس، ومن الخور والخوف الذي لا حقيقة له، ويعلم مع ذلك أن الله قد تكفل لمن توكل عليه بالكفاية التامة، فيثق بالله ويطمئن لوعده، فيزول همه وقلقه، ويتبدل عسره يسراً، وترحه فرحاً[(١)]، وخوفه أمناً، فنسأله تعالى العافية وأن يتفضل علينا بقوة القلب وثباته، وبالتوكل الكامل الذي تكفل الله لأهله بكل خير، ودفع كل مكروه وضير[(٢)].

---

(١) الترح: الحزن والتعب.

(٢) الضير: الضرر.

فصــل

١٣- وفي قول النبي ﷺ: "لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر"(١)، فائدتان عظيمتان:

إحداهما: الإرشاد إلى معاملة الزوجة والقريب والصاحب والمعامل، وكل من بينك وبينه علاقة واتصال، وأنه ينبغي أن توطن نفسك على أنه لا بد أن يكون فيه عيب أو نقص أو أمر تكرهه، فإذا وجدت ذلك، فقارن بين هذا وبين ما يجب عليك أو ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبة، بتذكر ما فيه من المحاسن، والمقاصد الخاصة والعامة، وبهذا الإغضاء عن المساوئ وملاحظة المحاسن، تدوم الصحبة والاتصال وتتم الراحة وتحصل لك.

الفائدة الثانية: وهي زوال الهم والقلق، وبقاء الصفاء، والمداومة على القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة: وحصول الراحة بين الطرفين، ومن لم يسترشد بهذا الذي ذكره النبي ﷺ - بل عكس القضية فلحظ المساوئ، وعمي عن المحاسن-، فلابد أن يقلق، ولابد أن يتكدر ما بينه وبين من يتصل به من المحبة، ويتقطع كثير من الحقوق التي على كلٍ منهما المحافظة عليها.

وكثير من الناس ذوي الهمم العالية يوطنون أنفسهم عند وقوع الكوارث والمزعجات على الصبر والطمأنينة. لكن عند الأمور التافهة البسيطة يقلقون، ويتكدر الصفاء، والسبب في هذا أنهم وطنوا نفوسهم عند الأمور الكبار، وتركوها عند الأمور الصغار فضرتهم وأثرت في راحتهم، فالحازم يوطن نفسه على الأمور القليلة والكبيرة، ويسأل الله الإعانة عليها، وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، فعند ذلك يسهل عليه الصغير، كما سهل عليه الكبير.

ويبقى مطمئن النفس ساكن القلب مستريحاً.

---

(١) (م١٤٦٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه..

فصل

١٤. العاقل يعلم أن حياته الصحيحة حياة السعادة والطمأنينة وأنها قصيرة جداً، فلا ينبغي له أن يقصرها بالهم والاسترسال مع الأكدار فإن ذلك ضد الحياة الصحيحة، فيشح بحياته أن يذهب كثير منها نهباً للهموم والأكدار، ولا فرق في هذا بين البر والفاجر، ولكن المؤمن له من التحقق بهذا الوصف الحظ الأوفر، والنصيب النافع العاجل والآجل.

١٥. وينبغي أيضاً إذا أصابه مكروه أو خاف منه أن يقارن بين بقية النعم الحاصلة له دينية أو دنيوية، وبين ما أصابه من مكروه، فعند المقارنة يتضح كثرة ما هو فيه من النعم، واضمحلال ما أصابه من المكاره.

وكذلك يقارن بين ما يخافه من حدوث ضرر عليه، وبين الاحتمالات الكثيرة في السلامة منها فلا يدع الاحتمال الضعيف يغلب الاحتمالات الكثيرة القوية وبذلك يزول همه وخوفه، ويقدر أعظم ما يكون من الاحتمالات التي يمكن أن تصيبه، فيوطن نفسه لحدوثها إن حدثت، ويسعى في دفع ما لم يقع منها وفي رفع ما وقع أو تخفيفه.

١٦. ومن الأمور النافعة أن تعرف أن أذية الناس لك وخصوصاً في الأقوال السيئة، لا تضرك بل تضرهم[1]، إلا إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها، وسوغت لها أن تملك مشاعرك، فعند ذلك تضرك كما ضرتهم، فإن أنت لم تضع لها بالاً لم تضرك شيئاً.

١٧. واعلم أن حياتك تبع لأفكارك، فإن كانت أفكاراً فيما يعود عليك نفعه في دين أو دنيا فحياتك طيبة سعيدة. وإلا فالأمر بالعكس.

---

(١) كما في الحديث قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (المتسابان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم) رواه مسلم(٢٥٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١٨. ومن أنفع الأمور لطرد الهم أن توطن نفسك على أن لا تطلب الشكر إلا من الله، فإذا أحسنت إلى من له حق عليك أو من ليس له حق، فاعلم أن هذا معاملة منك مع الله. فلا تبال بشكر من أنعمت عليه، كما قال تعالى في حق خواص خلقه ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا﴾(١).

ويتأكد هذا في معاملة الأهل والأولاد ومن قوة اتصالك بهم فمتى وطنت نفسك على إلقاء الشر عنهم، فقد أرحت واسترحت، ومن دواعي الراحة أخذ الفضائل والعمل عليها بحسب الداعي النفسي دون التكلف الذي يقلقك، وتعود على أدراجك خائباً من حصول الفضيلة، حيث سلكت الطريق الملتوي، وهذا من الحكمة، وأن تتخذ من الأمور الكَدِرَة أموراً صافية حلوة وبذلك يزيد صفاء اللذات، وتزول الأكدار.

١٩. اجعل الأمور النافعة نصب عينيك واعمل على تحقيقها، ولا تلتفت إلى الأمور الضارة لتلهو بذلك عن الأسباب الجالبة للهم والحزن واستعن بالراحة وإجماع النفس على الأعمال المهمة.

٢٠. ومن الأمور النافعة حسم الأعمال في الحال، والتفرغ في المستقبل، لأن الأعمال إذا لم تحسم اجتمع عليك بقية الأعمال السابقة، وانضافت إليها الأعمال اللاحقة، فتشتد وطأتها، فإذا حسمت كل شيء بوقته أتيت الأمور المستقبلة بقوة تفكير وقوة عمل.

٢١. وينبغي أن تتخير من الأعمال النافعة الأهم فالأهم، وميز بين ما تميل نفسك إليه وتشتد رغبتك فيه، فإن ضده يحدث السآمة والملل والكدر، واستعن على ذلك بالفكر الصحيح والمشاورة، فما ندم من استشار، وادرس ما تريد فعله درساً دقيقاً، فإذا تحققت المصلحة وعزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين.

---

(١) [الإنسان:٩].

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[١].

****

(١) ومن أعظم أسباب السعادة : طلب العلم الشرعي فإنه سبب للإيمان بالأقدار والصبر عليها والرضا بها وسبب لمعرفة أسباب السعادة من الأعمال الصالحة والعبادات والعقائد السليمة.

ـ وسبب لمعرفة أسباب الشقاء الديني والدنيوي وتجنبها.

ـ وهو أنيسك في الخلوة والفراغ فلا تجد وقتاً للتفكر في الهموم والأكدار.

ـ وهو سبب لمعرفة قصص الأنبياء والصالحين وفيها من الصبر والثبات ما يطمئن القلب ويرقى النفس إلى أن تكون كل أمورها خير.

ـ وفي العلم من الخير والبركة والراحة والسعادة وسكون القلب وقوة النفس واحتساب الأجر ما لا يعد ولا يحصى والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

سعادةُ البشر

في توحيدِ الله تعالى

وتركِ الشرك والشَّر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، المنان الكريم البر الصمد، لا سعادة إلا بتوحيده، ولا راحة إلا بذكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أكمل الناس توحيداً وأسعد الخلق بعبادة ربه وحبه والأُنس به.

أما بعد :

فلا صلاح لهذا العالم ولا سعادة لهذه البشرية إلا بتوحيد رب البرية، وترك الشرك والبدع والشرور الردية.

فأصول سعادة الدارين: التوحيد والسنة والطاعة.

وأصول شقاوة الدارين: الشرك والبدعة والمعصية.

اقرأ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ هذه الحياة الطيبة الآمنة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

الحياة الطيبة حق العبد حين يؤدي حق ربه تعالى، قال ﷺ: عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ فَقَالَ: (يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟) قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: (فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا).

متفق عليه.

وفي أداء ذلك لله تعالى لذةُ العبد وسعادته ونعيمه فليس شيء يسكن إليه القلب ويطمئن به

ويتنعم بالتوجه إليه على الوجه التام إلا الله تعالى، وأما من عبد غير ربه وخالقه فإنه يجد مفسدة كبيرة في دينه ودنياه وتغشاه الذلة والمهانة وتحيط به الحياة البائسة واقرأ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

واعلم أن فقر العبد إلى لله تعالى أن يعبده ولا يشرك به شيئًا وبذلك يسعد وبذلك ينشرح وبذلك يرتاح.

فإن حقيقة العبد قلبه وروحه ولا صلاح لهما إلا بإلهها الله الذي لا إله الا هو.

ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله تعالى فلا دوام له؛ لأنه خلاف الفطرة والحق.

وكلما كان العبد أذل لله تعالى وأكمل توحيداً واتباعًا وطاعة وأعظم افتقارًا إلى ربه تعالى كان أقرب إليه وأكمل سعادة: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

فأسعد الخلق أعظمهم عبادة لله تعالى، أما غير الله تعالى فكما قيل: احتج الى من شئت تكن أسيره.

وحب الله تعالى رأس السعادة، كما أن حب الأنداد والبدع رأس الشقاوة.

إن محبة الله تعالى والأُنْس به والشوق إلى لقائه والرضا به وعنه أصل الدين وصلاح الدنيا.

فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة والعقول الزكية أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أعظم سرورًا ولا أنعم من محبته سبحانه والأُنس به والشوق إلى لقائه.

والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة.

مساكين أهل الغفلة والشرك: خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، ألا وهو توحيد الله تعالى وحبه واتباع شرعة.

بل أهل الشرك أهل الحياة البائسة في الدنيا والآخرة، تأمل كيف تضيق صدورهم : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

حياة الكفر حياة الضيق والبؤس ألا ترى كثرة المنتحرين فيهم.

حياة البدع حياة الضلال وكل بدعة ضلالة أتُرى الضال يمشي في نور السعادة؟!.

حياة المعاصي حياة الغموم والهموم والآلام: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾.

فكيف تجتمع الذلة والسعادة؟!.

فافرح أيها الموحِّد أيها المتمسك بالسنة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

نسأل المولى جلّ وعلا أن يرزقنا سعادة الدارين وراحة البال، واطمئنان القلب، وأن يميتنا على التوحيد والسنة والطاعة، ونعوذ بالله الكريم من الشرك والبدعة والمعصية.

تم ولله تعالى الحمد والمنة.

****

التعليق

(تائية شيخ الإسلام)

١- أَنَـــا الْفَقِـــيرُ إِلَـــى رَبِّ الْبَرِيَّـــاتِ　　أَنَـا المسـيكين فِـي مَجْمُـوعِ حَالَـاتِي

القَصِيدَةُ التَّائِيَّةُ

فِي الِافْتِقَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى

لِشَيْخِ الإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (ت ٧٢٨هـ)

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٢/ ١٥٧ - ١٥٩): وَبَعَثَ إِلَيَّ فِي آخِرِ عُمُرِهِ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَاعِدَةً فِي التَّفْسِيرِ بِخَطِّهِ، وَعَلَى ظَهْرِهَا أَبْيَاتٌ بِخَطِّهِ مِنْ نَظْمِهِ:

أَنَا الفَقِيرُ إِلَى رَبِّ البَرِيَّاتِ ... أَنَا المُسَيْكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهْيَ ظَالِمَتِي ... وَالخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَاتِي
لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ ... وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعَ المَضَرَّاتِ
وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي ... وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي
إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا ... إِلَى الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَا فِي الآيَاتِ
وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا ... وَلَا شَرِيكٌ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَّاتِي
وَلَا ظَهِيرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِهِ ... كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الوِلَايَاتِ
وَالفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٌ أَبَدًا ... كَمَا الغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي
وَهَذِهِ الحَالُ حَالُ الخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ ... وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي
فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ ... فَهُوَ الجَهُولُ الظَّلُومُ المُشْرِكُ العَاتِي
وَالحَمْدُ لِلهِ مِلْءَ الكَوْنِ أَجْمَعِهِ ... مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي

ضَبَطَهَا العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى رَبِّهِ الغَنِيِّ:

أَبُو العَبَّاسِ حُسْنِي بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَسَّانَيْنِ الجُهَنِيّ

زَرْكَشَهَا بِقَلَمِهِ أَزْرَقَهَا: الخَطَّاطُ عُثْمَانُ بْنُ طَه

بسم الله الرحمن الرحيم

درسنا[١] في القصيدة التائية لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى المتوفى في ٧٢٨ للهجرة، وهذه القصيدة نظمها في آخر حياته كما ذكره ابن القيم في مدارج السالكين، وأن شيخ الإسلام بعث إليه بقاعدة في التفسير وفي ظهر الكتاب هذه الأبيات بخط شيخ الإسلام.

قال رحمه الله تعالى:

١ - أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ	أَنَا المسكين فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
٢ - أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي	وَالخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي
٣- لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ	وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ المَضَرَّاتِ
٤ - وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي	وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي
٥ - إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا	إِلَى الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْآيَاتِ
٦ - وَلَسْتُ أَمْلِكُ شَيْئًا دُونَهُ أَبَدًا	وَلَا شَرِيكٌ أَنَا فِي بَعْضِ ذَرَّاتِ
٧- وَلَا ظَهِيرٌ لَهُ كَيْ يَسْتَعِينَ بِهِ	كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ
٨- وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٍ أَبَدًا	كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي
٩ - وَهَذِهِ الحَالُ حَالُ الخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ	وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي
١٠-فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ	فَهُوَ الجَهُولُ الظَّلُومُ الْمُشْرِكُ الْعَاتِي
١١-وَالحَمْدُ لله مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ	مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي

****

(١) درس ألقي بمركز السعادة عمران عدن، ١٤٤٦ وتم إخراجه كما ترى.

وعددها أحد عشر بيتًا كما رأيت.

١-أَنَــا الْفَقِــيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّــاتِ أَنَـا المسـيكين فِي مَجْمُـوع حَـالَاتِي
٢-أَنَا الظَّلُـومُ لِنَفْسِي وَهِـيَ ظَـالِمَتِي وَالخَـيْرُ إِنْ يَأْتِنَـا مِـنْ عِنْـدِهِ يَـأْتِي

التعليق

١-يعترف لله سبحانه وتعالى بأنه فقير إليه عز وجل، وكل عباد الله تعالى فقراء إلى الله تعالى وجميع الخلق أيضاً، فهو الصمد الذي لا يحتاج إلى أحد وكل ما سواه محتاج إليه: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ وقد قال الله جل وعلا: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾. الإنسان والخلق جميعًا فقراء إلى الله تعالى في كل شيء، في الدنيا وفي الدين وفي الآخرة، وفي أنفاسهم وفي رزقهم...

والمسيكين تصغير مسكين فالإنسان مسكين فقير إلى الله تعالى في مجموع حالاته، يعني: في الطفولة وفي الشباب في الشيبة، وأيضاً في حال الصحة وفي حال المرض، فالفقر إلى الله عز وجل وصف دائم للإنسان.

٢-(أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي) أي: أنا ظلمت نفسي، وهذا من تواضع شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، ويجب على العبد التواضع لله تعالى، والإنسان يظلم نفسه بأمور: يظلم نفسه أشد الظلم إذا وقع في الشرك، ويظلم نفسه دون ذلك إذا وقع في المعاصي، وأيضاً يظلم نفسه بالبدع أو بالتقصير في الطاعات.

(وَالخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي) والخير والطاعة والتوفيق والصلاح والرزق إن جاء إلى العبد فإنما يأتي من الله سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ أي: نعمة في العبد في الدين في العقل في الفهم في العلم كلها من الله سبحانه وتعالى.

٣-لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ	وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ المَضَرَّاتِ
٤- وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي	وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي
٥- إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا	إِلَى الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْآيَاتِ

التعليق

٣- لا يستطيع الإنسان أن يجلب لنفسه خيرًا أو أن يدفع عنها شرًا إلا بإذن الله تعالى فما أذن الله جل وعلا به هو الذي يكون، وهذا دليل على أن الأمور كلها يدبرها الله سبحانه وتعالى، فلا خير إلا منه ولا شر يدفع إلا بأمره، فعلى العبد أن يرجع إلى الله سبحانه وتعالى في ذلك.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك).

٤- (وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي...) ليس لي من ينصرني ومن يُعينني على تدبير الأمور إلا الله سبحانه وتعالى، فالله جل وعلا هو الذي يدبر العبد ويلهمه الصواب والرشاد، وقد كان من دعاء بعض السلف: اللهم إني لا أحسن التدبير فدبرني.

أيضاً في دعاء الوتر: (اللهم اهدنا في من هديت، وعافنا في من عافيت، وتولنا في من توليت)

فالله جل وعلا إذا تولى العبد ألهمه الصواب والرشاد.

فلا منجا ولا ملجأ من الله تعالى إلا إليه، ولا قوة ولا حول إلا به سبحانه وتعالى، فكل شيء بإذنه.

٥- أي: فلا يكون شيء مما سبق إلا بإذن الله سبحانه وتعالى. وأما قوله: (إِلَى الشَّفِيعِ)، فالمقصود إلى الله سبحانه وتعالى فهو الذي يعفو ويرحم ويغفر ويعطي ويمنع.



٦- وَلَسْــتُ أَمْلِـكُ شَـيْئًا دُونَـهُ أَبَـدًا وَلَا شَرِيــكٌ أَنَــا فِي بَعْــضِ ذَرَّاتِ
٧- وَلَا ظُهَــيْرٌ لَـهُ كَـيْ يَسْـتَعِينَ بِـهِ كَـمَا يَكُــونُ لِأَرْبَــابِ الْوِلَايَــاتِ

التعليق

أيضاً لست أملك شيئًا، الملك كله لله سبحانه وتعالى فهو الذي يعطي ويملك العبد كما جاء في بعض الأحاديث: أن الله جل وعلا حين يحاسب العبد يقول: (ألم أذرك ترأس وتربع)، فالله جل وعلا هو الذي يهيأ الإنسان أن يكون عنده من الملك أو العلم أو الجاه هذا كله تهيئة وتيسير من الله سبحانه وتعالى، ولا يستقل العبد بشيء من ذلك لكن يجب على العبد أن يبذل السبب، وليس في هذه الأبيات نفي السبب ولكن فيها نفي الاستقلال، أما بذل السبب فهو أمر لا بد منه، فالعبد لا يملك شيئًا في عقله أو في علمه كل شيء من الله عز وجل لا شريك له.

وقارون لما قال ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ نفى أن هذا من الله عز وجل؛ فخسف الله تعالى به، وهكذا من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فهذا من أهل التوحيد، ومن نفى عن الله عز وجل هذه النعمة فهو من أهل التنديد، (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) فمن نسب النعم إلى غير الله تعالى فهو كافر وجاحد لهذه النعم.

٦- (وَلَا ظُهَيْرٌ لَهُ...) أي: ولا معين فالله جل وعلا لا معين له بل هو الذي يعين العباد كي يقوموا بأفعالهم أو عباداتهم أو أحوالهم، فليس له معين في الخلق ولا في الرزق ولا في التدبير ولا في الملك ولا في الإحياء ولا في الإماتة، كما قال تعالى ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ليس له سبحانه وتعالى معين في جميع أفعاله.

(كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ) أي: الولاة يحتاج إلى معين يحتاج إلى الوزير إلى النائب إلى الوكيل هذا شأن الإنسان؛ لأن عنده من الضعف والقصور والنقص فهو بحاجة إلى من يعينه، أما الله جل وعلا فهو على كل شيء قدير وهو القوي المتعال، فلا يحتاج إلى إعانة أحد.



٨- وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٍ أَبَدًا كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي

٩- وَهَذِهِ الحَالُ حَالُ الخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ آتِي

التعليق

٨- ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾. فقر الإنسان إلى الله تعالى وصف لازم في حياته وبعد مماته في شبابه وكبره وصف لازم يستمر الفقر إلى الله في هذا الإنسان حتى يلقى الله عز وجل وبعد أن يلقى الله تعالى حتى أهل الجنة فقراء إلى الله سبحانه وتعالى فقراء إلى الغني الكريم، والله جل وعلا هو الغني المستغني عن كل ما سواه والمغني لجميع الخلق بالرزق والتدبير والإعانة.

٩- هذا الحال الفقر إلى الله تعالى، والحاجة إليه وكون العبد لا يصلح شأنه إلا بأمر الله تعالى هذا وصف جميع الخلق ليس هناك مخلوق له من الكمال مال لله عز وجل، ولما ادعت النصارى أن المسيح له بعض صفات الله كفرهم الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ وقال الله عز وجل: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وجميع الخلق والعباد يأتي يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا لله عز وجل: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ وهكذا السماوات الأرض الجبال الشجر الحجر كلها عابدة وخاضعة لله سبحانه وتعالى.



١٠- فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ فَهُوَ الجَهُولُ الظَّلُومُ المُشْرِكُ الْعَاتِي

١١- وَالحَمْدُ للهِ مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي

التعليق

١٠- (فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ): جلب نفع أو دفع ضر من غير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، كما يحصل من عباد القبور يطلبون الخير من القبور ويريدون دفع الشر من أصحاب القبور، وهكذا النصارى اليهود، وكل من لجأ إلى غير الله سبحانه فهو ظلوم لأنه وقع في أظلم الظلم وهو الشرك، وهو مشرك لأنه صرف العبادة وهي اللجوء والخضوع والدعاء والاستغاثة إلى غير الله سبحانه.

(الْعَاتِي): بمعنى المعاند أو شديد الانحراف وعدم الانقياد.

ثم ختم هذه القصيدة الجميلة بحمد الله سبحانه وتعالى فقال:

١١- (وَالحَمْدُ للهِ مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ). الحمد لله: الثناء على الله بأسماء الحسنى وصفات العلى. ومن أفضل ألفاظ الحمد: (الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد...) الحديث. فهذا يعتبر من أبلغ الحمد لله جل وعلا، ومن أبلغ الثناء. (مَا كَانَ مِنْهُ) كل نعمة حصلنا عليها فهي منه سبحانه وتعالى.

(وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي) أي: وما من نعم ستأتي فيما بعد أيضاً هي من الله جل وعلا، فما كان قد وقع وما لم يكن مما أراد الله جل وعلا لخلقه سيأتي والله جل وعلا هو المنعم على العباد في كل شيء، فينبغي للعباد أن يرجعوا إلى الله تعالى، وأن يفتقروا إلى الله تعالى، والافتقار إلى غير الله تعالى ذنب، والافتقار إلى الله جل وعلا عِز، والتذلل والخضوع بين يدي الله تعالى كرامة ونعمة وعلو ورفعة.

فهذه القصيدة التي قالها شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بآخر حياته وهو في السجن، وقد سُجِن ست مرات، لأنه كان ينشر العقيدة الصحيحة، ووصل الأمر ببعض المبتدعة أنهم كانوا يقولون لا يخرج من السجن إلا إذا كتب مقالًا أنه متراجع عن عقيدته، فصبر رحمه الله تعالى، وثبت على هذه العقيدة الصحيحة، وكان بعضهم يدعو إلى إحراق كتب شيخ الإسلام، ولكن طلابه وهم كثير دوَّنوا هذه المؤلفات وحفظت وبقي في عصرنا منها شيء كثير.

وإن كان أيضًا هناك مؤلفات كثيرة ذهبت من كتب شيخ الإسلام، وما وقع في أيدي أهل البدع أحرقوه أو أخفوه، وهذه عادة أهل البدع إذا تمكنوا حاربوا السنة بكل ما أوتوا من قوة.

وانظروا في عصرنا هذا إلى أهل البدع في البلدان التي للصوفية فيها سلطة أو الشيعة أو الأشاعرة يحاربون أهل السنة، وهكذا التي تسلط عليها الإخوان المسلمون يحاربون أهل السنة ويحاربون العقيدة السلفية.

وبعد أن مات شيخ الإسلام نشر طلابه الخير لكن كانت الحرب عليهم شديدة فلما مات الطلاب لم يخلفهم إلا قلة قليلة ممن اشتهر، وقد وجد كثير ممن لم يشتهروا، ثم بعد ذلك تسلط أهل البدع ونشروا بدعهم على مدى خمسة قرون، وكان السني إذا دعا إلى السنة حاربوه كما ذكر هذا ابن الوزير وغيره، وقال قصيدة ومنها:

ما سلم الله من بريته ولا نبي الهدى فكيف أنا

فنسأل الله عز وجل أن ينصر السنة وأهلها، وأن يرحم شيخ الإسلام وجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.



التعليق

على

منظومة الكبائر

لأبي النجا موسى بن أحمد الْحَجَّاوِي الحنبلي

رحِمَهُ الله تعَالَى (٨٩٥-٩٦٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الكريم.

أما بعد:

فهذا تعليق على منظومة الكبائر للحجّاوي، وهو موسى بن أحمد أبو النَّجَا، الحَجَّاوي، المقدسي، الحنبلي (٨٩٥ ـ ٩٦٨هـ) رحمه الله تعالى، وكان من أهل السنة، ومن أفقه أهل عصره، وقال ابن العماد الحنبلي: كان إمامًا بارِعًا، أصوليًّا، فقيهًا، محدِّثًا، ورعًا. وله منظومة الآداب الشرعية، وتقع في ألفِ بيت.

وكان شرح منظومة الكبائر في دروة مختصرة بمدينة حوف المهرة، ووقع في الإلقاء شيء من الاختصار لضيق الوقت، والله الموفق.

كتبه

أبو عبد الله المصنعي

مارب ١٤٤٦

****

نص المنظومة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - بِحَمْدِكَ ذِي الإِكْرَامِ مَا دُمْتُ أَبْتَدِي ... كَثِيرًا كَمَا تَرْضَى بِغَيْرِ تَحَدُّدِ
٢ - وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ وَآلِهِ ... وَأَصْحَابِهِ مِنْ كُلِّ هَادٍ وَمُهْتَدِي
٣ - وَكُنْ عَالِمًا أَنَّ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا ... بِـ (كُبْرَى) وَ (صُغْرَى) قُسِّمَتْ فِي المُجَوَّدِ
٤ - فَمَا فِيهِ حَدٌّ فِي الدُّنَا أَوْ تَوَعُّدٌ ... بِأُخْرَى فَسِمْ كُبْرَى عَلَى نَصِّ أَحْمَدِ
٥ - وَزَادَ حَفِيدُ المَجْدِ: أَوْ جَا وَعِيدُهُ ... بِنَفْيٍ لإِيمَانٍ وَلَعْنٍ مُبَعِّدِ
٦ - كَشِرْكٍ وَقَتْلِ النَّفْسِ إِلَّا بِحَقِّهَا ... وَأَكْلِ الرِّبَا وَالسِّحْرِ مَعْ قَذْفِ نُهَّدِ
٧ - وَأَكْلِكَ أَمْوَالَ اليَتَامَى بِبَاطِلٍ ... تَوَلِّيكَ يَوْمَ الزَّحْفِ فِي حَرْبِ جُحَّدِ
٨ - كَذَاكَ الزِّنَى ثُمَّ اللِّوَاطُ وَشُرْبُهُمْ ... خُمُورًا وَقَطْعٌ لِلطَّرِيقِ المُمَهَّدِ
٩ - وَسَرِقَةُ مَالِ الغَيْرِ أَوْ أَكْلُ مَالِهِ ... بِبَاطِلِ صُنْعِ القَوْلِ وَالفِعْلِ وَاليَدِ
١٠ - شَهَادَةُ زُورٍ ثُمَّ عَقٌّ لِوَالِدٍ ... وَغِيبَةُ مُغْتَابٍ نَمِيمَةُ مُفْسِدِ
١١ - يَمِينٌ غَمُوسٌ تَارِكٌ لِصَلَاتِهِ ... مُصَلٍّ بِلَا طُهْرٍ لَهُ بِتَعَمُّدِ
١٢ - مُصَلٍّ بِغَيْرِ الوَقْتِ أَوْ غَيْرِ قِبْلَةٍ ... مُصَلٍّ بِلَا قُرْآنِهِ المُتَأَكِّدِ
١٣ - قُنُوطُ الفَتَى مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ثُمَّ قُلْ ... إِسَاءَةُ ظَنٍّ بِالإِلَهِ المُوَحَّدِ
١٤ - وَأَمْنٌ لِمَكْرِ اللهِ ثُمَّ قَطِيعَةٌ ... لِذِي رَحِمٍ وَالكِبْرَ وَالخُيَلَا اعْدُدِ
١٥ - كَذَا كَذِبٌ إِنْ كَانَ يَرْمِي بِفِتْنَةٍ ... أَوِ المُفْتَرِي عَمْدًا عَلَى المُصْطَفَى احْمَدِ
١٦ - قِيَادَةُ دَيُّوثٍ نِكَاحُ المُحَلِّلِ ... وَهِجْرَةُ عَدْلٍ مُسْلِمٍ وَمُوَحِّدِ
١٧ - وَتَرْكٌ لِحَجٍّ مُسْتَطِيعًا وَمَنْعُهُ ... زَكَاةً وَحُكْمُ الحَاكِمِ المُتَقَلِّدِ
١٨ - بِخُلْفٍ لِحَقٍّ وَارْتِشَاءٌ وَفِطْرُهُ ... بِلَا عُذْرِنَا فِي صَوْمِ شَهْرِ التَّعَبُّدِ
١٩ - وَقَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ عَلَى دِينِ رَبِّنَا ... وَسَبٌّ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

٢٠ - مُصِرٌّ عَلَى العِصْيَانِ تَرْكُ تَنَزُّهٍ ... مِنَ البَوْلِ فِي نَصِّ الحَدِيثِ المُسَدَّدِ

٢١ - وَإِتْيَانُ مَنْ حَاضَتْ بِفَرْجٍ وَنَشْزُهَا ... عَلَى زَوْجِهَا مِن غَيْرِ عُذْرٍ مُمَهَّدِ

٢٢ - وَإِلحَاقُهَا بِالزَّوْجِ مَنْ حَمَلَتْهُ مِنْ ... سِوَاهُ وَكِتْمَانُ العُلُومِ لِمُهْتَدِ

٢٣ - وَتَصْوِيرُ ذِي رُوحٍ وَإِتْيَانُ كَاهِنٍ ... وَإِتْيَانُ عَرَّافٍ وَتَصْدِيقُهُم زِدِ

٢٤ - سُجُودٌ لِغَيرِ اللهِ دَعْوَةُ مَنْ دَعَا ... إِلَى بِدْعَةٍ أَو لِلضَّلَالَةِ مَا هُدِي

٢٥ - غُلُولٌ وَنَوْحٌ وَالتَّطَيُّرُ بَعْدَهُ ... وَأَكْلٌ وَشُرْبٌ فِي لُجَيْنٍ وَعَسْجَدِ

٢٦ - وَجَوْرُ المُوَصِّي فِي الوَصَايَا وَمَنْعُهُ ... لِمِيرَاثِ وَرَّاثٍ إِبَاقٌ لِأَعْبُدِ

٢٧ - وَإِتْيَانُهَا فِي الدُّبْرِ بَيْعٌ لِحُرَّةٍ ... وَمَن يَسْتَحِلُّ البَيْتَ قِبْلَةَ مَسْجِدِ

٢٨ - وَمِنْهَا اكْتِتَابٌ لِلرِّبَا وَشَهَادَةٌ ... عَلَيْهِ وَذُو الوَجْهَيْنِ قُلْ لِلتَّوَعُّدِ

٢٩ - وَمَنْ يَدَّعِي أَصْلًا وَلَيْسَ بِأَصْلِهِ ... يَقُولُ: أَنَا ابْنُ الفَاضِلِ المُتَمَجِّدِ

٣٠ - فَيَرْغَبُ عَنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ ... وَلَاسِيمَا إِنْ يَنْتَسِبْ لِمُحَمَّدِ

٣١ - وَغِشُّ إِمَامٍ لِلرَّعِيَّةِ بَعْدَهُ ... وُقُوعٌ عَلَى العَجْمَا البَهِيمَةِ سُفِّدِ

٣٢ - وَتَرْكٌ لِتَجْمِيعٍ إِسَاءَةُ مَالِكٍ ... إِلَى القِنِّ ذَا طَبْعٌ لَهُ فِي المُعَبَّدِ



بسم الله الرحمن الرحيم

النظم للعلامة موسى ابن أحمد الحجاوي الحنبلي الدمشقي رحمه الله تعالى، والحنابلة الغالب عليهم أنهم من أهل السنة بخلاف الشوافع والمالكية والحنفية فإن الغالب عليهم أنهم من أهل المخالفات، إما أشاعرة وإما شيعة وإما صوفية، والله المستعان.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - بِحَمْدِكَ ذِي الإِكْرَامِ مَا دُمْتُ أَبْتَدِي ... كَثِيرًا كَمَا تَرْضَى بِغَيْرِ تَحَدُّدِ

٢ - وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الأَنَامِ وَآلِهِ ... وَأَصْحَابِهِ مِنْ كُلِّ هَادٍ وَمُهْتَدِي

٣ - وَكُنْ عَالِمًا أَنَّ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا ... بِـ (كُبْرَى) وَ (صُغْرَى) قُسِّمَتْ فِي الْمُجَوَّدِ

٤ - فَمَا فِيهِ حَدٌّ فِي الدُّنَا أَوْ تَوَعُّدٌ ... بِأُخْرَى فَسِمْ كُبْرَى عَلَى نَصِّ أَحْمَدِ

٥ - وَزَادَ حَفِيدُ الْمَجْدِ: أَوْ جَا وَعِيدُه ... بِنَفْيٍ لإِيمَانٍ وَلَعْنٍ مُبَعِّدِ

الشرح

١- بدأ أولًا بالبسملة وبحمد الله عز وجل، ومن محاسن النظم أن يبدأ بالبسملة والحمد والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم (بِغَيْرِ تَحَدُّدِ) حمدًا كثيرًا.

٢- (هَادٍ وَمُهْتَدِي) الهادي: الدال على الخير، والمهتدي: الصالح، والمستجيب للنصح.

٣- وهذه المقدمة في بيان معنى الكبيرة، قال (وَكُنْ عَالِمًا)كن أيها المسلم عالماً أن الذنوب جميعها تنقسم إلى قسمين كبائر وصغائر (بِـ (كُبْرَى) وَ (صُغْرَى)) يعني كبائر وصغائر، (قُسِّمَتْ فِي الْمُجَوَّدِ) إما يقصد بالمجود القرآن الكريم، أو المجود يعني القول الأجود، بمعنى

القول الصحيح الراجح أن الكبائر تنقسم إلى قسمين كبرى وصغرى، هذا من ناحية تقسيم الكبائر مطلقًا، ثم هذه الكبائر منها ما هو مخرج من الإسلام ومنها ما ليس مخرجًا من الإسلام، كما سيأتي.

٤- (فَمَا فِيهِ حَدٌّ فِي الدُّنَا) في الدنيا شرع أقامة الحد على فاعلها، كالزنا والسرقة والقتل ورمي المحصنات وقطع الطريق، وما أشبه ذلك، كل ذنب أقيم على فاعله الحد فهو من كبائر الذنوب، (أَوْ تَوَعُّدٌ بِأُخْرَى) يعني في الآخرة بالعذاب في النار أو في القبر فهذا يدل على أن هذا الذنب كبيرة من كبائر الذنوب كما نص عليه أحمد ورجحه المحققون من العلماء.

٥- (وَزَادَ حَفِيدُ المَجْدِ) وهو ابن تيمية (أَو جَا وَعِيدُه بِنَفْيِ لِإِيمَانٍ وَلَعْنٍ مُبَعِّدِ) ومن الكبائر ما جاء فيه الوعيد بنفي الإيمان نحو: (لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه) الذي يؤذي الجيران مرتكب لكبيرة لنفي لإيمان في حقه، أو جاء اللعن على فاعله، مثل: (لعن الله السارق) السرقة من الكبائر لأن اللعن لا يكون إلا على الكبائر.

وليس هناك أحاديث تميز الصغائر عن الكبائر على وجه القطع بحيث تقول ليست كبيرة جزمًا، فرُبَّ ذنب تظن أنه ليس من كبائر الذنوب وهو في الحقيقة من كبائر الذنوب، كما في حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه قال: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالًا يهوي بها في النار سبعين خريفًا)، ما يظن أنها من الكبائر وهي من الكبائر.

فالشخص لا يرتكب الذنوب والأخطاء ويقول ليست كبائر، ربما تقول هذا القول والواقع أنها كبيرة وأنت لا تلقي لها بالا؛ فتكون سببًا في عذابك: (عذبت امرأة في هرة حبستها...) حبست الهرة دون طعام ولم تبالي فعذبت فيها.

ما هو التعريف المختار؟ كل ذنب جاء فيه الحد في الدنيا، أو الوعيد في الآخرة، أو نُفي عن فاعله الإيمان أو لُعن.

٦ - كَشِرْكٍ وَقَتْلِ النَّفْسِ إِلَّا بِحَقِّهَا ... وَأَكْلِ الرِّبَا وَالسِّحْرِ مَعْ قَذْفِ نُهَّدِ
٧ - وَأَكْلِكَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى بِبَاطِلٍ ... تَوَلِّيكَ يَوْمَ الزَّحْفِ فِي حَرْبِ جُحَّدِ
٨ - كَذَاكَ الزِّنَى ثُمَّ اللِّوَاطُ وَشُرْبُهُم ... خُمُورًا وَقَطْعٌ لِلطَّرِيقِ الْمُمَهَّدِ
٩ - وَسَرْقَةُ مَالِ الغَيْرِ أَو أَكْلُ مَالِهِ ... بِبَاطِلِ صُنْعِ القَولِ وَالفِعْلِ وَاليَدِ

الشرح

في هذه الأربعة الأبيات ذكر فيها عددًا كثيرًا من الكبائر.

٦- (كَشِرْكٍ) الأول: الشرك، وهو: عبادة غير الله تعالى، أن تجعل لله تعالى ندًّا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته.

هذا هو الشرك الذي هو أكبر الكبائر، كذلك أيضًا الشرك الأصغر الشرك الأصغر من أكبر الكبائر، قال الله تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، هذا وعيد شديد.

(وَقَتْلِ النَّفْسِ إِلَّا بِحَقِّهَا) قتل النفس بغير حق من أكبر كبائر الذنوب، وقد جاء في الحديث المشهور: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ». فهذا دليل على أنها من كبائر الذنوب، سواء قتل النفس في قضية شخصية أو في قضية عامة كثورة خارجية أو حرب قبيلة، يذهب ويقتل ولا يبالي، هذا واقع في كبائر الذنوب.

(وَأَكْلِ الرِّبَا) والربا، هو: ربا الفضل وربا النسيئة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. وفي مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه)، وقال: (هم سواء). كلهم من أصحاب الكبائر سواء كان هذا بطريقة صريحة أو بأخرى، بعضهم يدخل في التأمين، والتأمين من المعاملة الربوية، بعضهم يضع ماله في بنك ربوي بدون ضرورة؛ هذا أيضًا مرتكب لكبيرة...

(وَالسِّحْرِ) السحر: استخدام الجن للإضرار بالمسحور، والسحر أيضًا من كبائر الذنوب وأقبحها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ الآية، يكفر بعبادة الشياطين واستحلال ما حرم الله تعالى.

(مَعْ قَذْفِ نُهَّدِ) يعني: قذف المحصنات الغافلات، اتهام المسلمة أو المسلم بالزنا ونحوه دون بينة شرعية، هذا من كبائر الذنوب، وفيه الحد ثمانون جلدة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَـهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

٧- (وَأَكْلِكَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى بِبَاطِلٍ) أكل مال اليتيم أو إتلافه من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

(تَوَلِّيكَ يَوْمَ الزَّحْفِ فِي حَرْبِ جُحَّدِ) يعني الهروب حين يلتقي الصفان، قتال المسلم مع الكافر، (جُحَّدِ) المنكر للتوحيد، فيهرب بعض الناس من الصف، هذا من كبائر الذنوب، لأنه جبن وخور وتخذيل للمؤمنين المجاهدين، ودليله الحديث السابق.

٨- (كَذَاكَ الزِّنَى) الزنا من أكبر كبائر الذنوب، قال الرسول عليه الصلاة والسلام: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) وأيضا الآيات في تحريم الزنا معروفة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا

الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

(ثُمَّ اللِّوَاطُ) وقد أهلك الله تعالى قوم لوط بسبب الشرك وبسبب اللواط أيضًا، وهؤلاء الذين يدعون إلى نكاح الرجل بالرجل يعتبرون من أفسد الناس دينًا ودنيا.

(وَشُرْبُهُم خُمُورًا) الخمر: كل ما أسكر، من أي شيء صنع، قال عليه الصلاة والسلام: (لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) نفى عنه الإيمان الواجب.

(وَقَطْعٌ لِلطَّرِيقِ المُمَهَّدِ). هذه تسمى بالحرابة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣]، وليس هناك حد أشد من حد الحرابة.

٩- (وَسَرِقَةُ مَالِ الغَيْرِ) السرقة قال عليه الصلاة والسلام: (لعن الله السارق)، وقال: (ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)، نفي الإيمان دليل على أنه مرتكب لكبيرة.

(أَو أَكْلُ مَالِهِ) أكل مال المسلم بباطل، سواء كان بحيلة قولية أو باليد أو بالفعل، كيف ما أخذ مال الناس بغير حق فهو مرتكب لكبيرة، دليله عنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ(١)»، وفي اللفظ الآخر: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ(٢)، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ(٣)، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». جاء عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة.

(١) عودًا من شجرة الأراك التي منها السواك.

(٢) وهي التي تلزم صاحبها، والمراد بها الغموس.

(٣) كاذب متعمد.

لكن هنا تنبيه هذه الأحاديث التي فيها (لا يؤمن) وما أشبه ذلك تحمل في حق الموحد على نفي الكمال الواجب، ليس بمؤمن كامل الإيمان؛ بل هو فاسق فاسق مجرم؛ لأنه مرتكب لكبيرة.

وأما بالنسبة لمن يستحل فعل الكبائر فهذا كافر خارج من الإسلام، فالكفر أكبر وأصغر هكذا يقول أهل السنة، بخلاف الخوارج يقولون الكفر أكبر فقط، فمن فعل كبيرة خرج من الإسلام.

وهذا مخالف لما دلت عليه الآيات والأحاديث.



١٠ - شَهَادَةُ زُورٍ ثُمَّ عَقٌّ لِوَالِدٍ ... وَغِيبَةُ مُغْتَابٍ نَمِيمَةُ مُفْسِدِ

١١ - يَمِينٌ غَمُوسٌ تَارِكٌ لِصَلَاتِهِ ... مُصَلٍّ بِلَا طُهْرٍ لَهُ بِتَعَمُّدِ

١٢ - مُصَلٍّ بِغَيْرِ الوَقْتِ أَو غَيرِ قِبْلَةٍ ... مُصَلٍّ بِلَا قُرْآنِهِ المُتَأَكِّدِ

١٣ - قُنُوطُ الفَتَى مِنْ رَحْمَةِ الله ثُمَّ قُلْ ... إِسَاءَةُ ظَنٍّ بِالإِلَهِ المُوَحَّدِ

الشرح

١٠- (شَهَادَةُ زُورٍ) من الكبائر شهادة الزور وهي أن يشهد الإنسان بالباطل، سواء كان كذبًا محضًا أو كان فيه تلبيس وتدليس، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام في ذكر الكبائر: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين)، وكان متكئًا فجلس فقال: (ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور)، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت). الشهادة بالكذب شهادة زور.

وأما قول الزور فيشمل كل قول مخالف للقرآن والسنة.

(ثُمَّ عَقٌّ لِوَالِدٍ) عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]. وقال رسول الله ﷺ: (ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه...). أخلاق المسلم تقاس ببره بوالديه، فمن لم يكن بارًّا بوالديه كان من أصحاب الأخلاق السيئة، حتى وإن ابتسم في الشارع أو عند الأصحاب فهذا لا يجعله من أصحاب الأخلاق الحسنة.

(وَغِيبَةُ مُغْتَابٍ) الغيبة ذكرك أخاك في غيبته بما يكره بغير حق. سواء كان فيما يتعلق بعلمه أو ببدنه أو بعمله فهذا كله من الغيبة.

وهي أخطر الذنوب بعد الشرك على الإطلاق من ناحية كثرتها، فتجد أن الشخص يتعفف

عن الزنا والقتل ويحسن أخلاقه لكن إذا جاء إلى الغيبة هذا اللسان لا يكاد يقف.

(نَمِيمَةٌ مُفْسِدِ) النميمة، هي: نقل الكلام على قصد التحريش ونحوه، مر النبي عليه الصلاة والسلام على قبرين يعذبان فقال: (أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة).

١١- (يَمِينٌ غَمُوسٌ) اليمين الغموس هي: الحلف الكذب على شيء مضى، وأخطرها ما تعلق بحقوق الخلق، كأن يقول: والله إن هذه السيارة لي. وليست له، أو يقول: والله إن هذا القلم لي، وليس له، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (الكبائر: الشرك وعقوق الوالدين واليمين الغموس).

(تَارِكٌ لِصَلَاتِهِ)، ترك الصلاة من أكبر الكبائر، والكبائر التي اختلف في كفر فاعلها أخطر من الكبائر التي لم يختلف في تكفيره، فالتلاعب بالصلاة والتساهل من أكبر الكبائر، قال عليه الصلاة والسلام: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر)، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً أنه قال: (بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة)، أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه.

(مُصَلٍّ بِلَا طُهْرٍ لَهُ بِتَعَمُّدِ) بدون طهارة عمدًا، وهذا مرتكب لكبيرة، وقال بعض العلماء يكفر. من صلى بغير وضوء متعمدًا، فهذا على خطر.

١٢- (مُصَلٍّ بِغَيْرِ الوَقْتِ أَو غَيرِ قِبْلَةٍ) يقدم يؤخر في غير وقتها، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، أو صلى إلى غير القبلة متعمدًا وهذا أيضًا على خطر، وربما يخرج من الإسلام إذا كان مستخفًّا بالأمر.

(مُصَلٍّ بِلَا قُرْآنِهِ المُتَأَكِّدِ) لا تصح الصلاة بغير قرآن (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) والتعمد بترك القراءة سببٌ لبطلان الصلاة، وهذه كبيرة.

١٣- (قُنُوطُ الفَتَى مِنْ رَحْمَةِ الله) من الكبائر القنوط من رحمة الله تعالى، ومعنى القنوط أن يظن

الشخص أن الله عز وجل لا يرحمه ولا يغفر له، أو لا يعطيه، فهذا القنوط واليأس من كبائر الذنوب، لأنه لا يقنط من رحمة الله تعالى إلا بعد أن يقع في قلبه سوء الظن بالله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

(ثُمَّ قُلْ إِسَاءَةُ ظَنٍّ بِالإِلَهِ المُوَحَّدِ) إساءة الظن بالله عز وجل أنه لا يعطي أو لا ينصر أو لا يفعل كذا إلا بواسطة، هذا أيضًا من أكبر الكبائر، وهو يعتبر أصلًا من أصول الشرك.

الذي يعبد القبر أو يعبد الصنم أو يعبد النبي والصالح؛ لماذا جعل بينه وبين الله واسطة؟

لأنه أساء الظن بالله تعالى فظن أن الله سبحانه لا يجلب النفع ولا يدفع الضر إلا بواسطة؛ فاتخذ الوسائط.

وإساءة الظن بالله عز وجل صفة المشركين والمنافقين قال الله عز وجل في سورة الفتح في المشركين والمنافقين: ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]



١٤ - وَأَمْنٌ لِمَكْرِ اللهِ ثُمَّ قَطِيعَةٌ ... لِذِي رَحِمٍ وَالكِبْرَ وَالخُيَلَا اعْدُدِ

١٥ - كَذَا كَذِبٌ إِنْ كَانَ يَرْمِي بِفِتْنَةٍ ... أَوِ الْمُفْتَرِي عَمدًا عَلى الْمُصْطَفَى احْمَدِ

١٦ - قِيَادَةُ دَيُّوثٌ نِكَاحُ الْمُحَلِّلِ ... وَهِجْرَةُ عَدْلٍ مُسْلِمٍ وَمُوَحِّدِ

١٧ - وَتَرْكُ لِحَجٍّ مُسْتَطِيعًا وَ مَنْعُهُ ... زَكَاةً وَ حُكْمُ الحَاكِمِ المُتَقَلِّدِ

١٨ - بِخُلْفٍ لِحَقٍ وَارْتِشَاءٌ وَفِطْرُهُ ... بِلَا عُذْرِنَا فِي صَوْمِ شَهْرِ التَّعَبُّدِ

الشرح

١٤- (وَأَمْنٌ لِمَكْرِ اللهِ) يعمل الذنب ويظن أن الله عز وجل لا يحاسبه عليه ولا يعذبه، وهذا من كبائر الذنوب، قال الله عز وجل: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾ (ثُمَّ قَطِيعَةٌ لِذِي رَحِمٍ)، الرحم، ومعنى الرحم أقارب الشخص من جهة الأب ومن جهة الأم من الأصول والفروع والحواشي، وهو في حق النساء آكد، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (قال الله تعالى: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ) متفقٌ عليه.

(وَالكِبْرَ وَالخُيَلَا اعْدُدِ) والكبر فسره حديث ابن مسعود رضي الله عنه في مسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر).

والخيلاء وهو نوع من الكبر، وقد جاء وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بينما رجل يمشي في حلة مرجل رأسه يتبختر خيلا إذ خسف به الأرض).

١٥- (كَذَا كَذِبٌ إِنْ كَانَ يَرْمِي بِفِتْنَةٍ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»، (أَوِ الْمُفْتَرِي عَمدًا عَلى الْمُصْطَفَى احْمَدِ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وهو من أعظم الكذب إثمًا.

١٦- (قِيَادَةُ دَيُّوثٌ) يعني من يقود بمعنى يدل على الفواحش، يقال فلان قوَّاد أو فلان قوادة بمعنى تدل على الفواحش، وديوث الذي يرضى بالفاحشة في أهله وفي بيته، في أمه في أخته في بنته في زوجته، هذا يسمى ديوثًا، عَنْ عَمَّارٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ دَيُّوثٌ وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ» حسنه الألباني.

(نِكَاحُ المُحَلِّلِ) أن تطلق المرأة ثلاث طلقات وتحرم على زوجها فيأتي شخص يتزوجها بقصد أن تحل للأول وترجع إليه، هذا النكاح باطل، والذي فعل هذا الفعل مرتكب لكبيرة لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (لعن الله المحلل والمحلل له).

(وَهِجْرَةُ عَدْلٍ مُسْلِمٍ وَمُوَحِّدِ) هِجرة بمعنى هجر وقطع الكلام والسلام، هجر المسلم الموحد بغير حق كبيرة، فإن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (هجر المسلم سنة كقتله)، وقال: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

****

١٧ - وَتَرْكُ لِحَجٍّ مُسْتَطِيعًا وَ مَنْعُهُ ... زَكَاةً وَحُكْمُ الحَاكِمِ المُتَقَلِّدِ

١٨ - بِخُلْفٍ لِحَقٍ وَ ارْتِشَاءٌ وَفِطْرُهُ ... بِلَا عُذْرِنَا فِي صَوْمِ شَهْرِ التَّعَبُّدِ

١٩ - وَقَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ عَلَى دِينِ رَبِّنَا ... وَسَبٌّ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

٢٠ - مُصِرٌّ عَلَى العِصْيَانِ تَرْكُ تَنَزُّهٍ ... مِنَ البَوْلِ فِي نَصِّ الحَدِيثِ المُسَدَّدِ

٢١ - وَإِتْيَانُ مَنْ حَاضَتْ بِفَرْجٍ وَنَشْزُهَا ... عَلَى زَوْجِهَا مِن غَيْرِ عُذْرٍ مُمَهَّدِ

الشرح

١٧- (وَتَرْكُ لِحَجٍّ مُسْتَطِيعًا) إذا ترك الحج وهو مستطيع فهو مرتكب لذنب وهذا على قول من قال: إن الأمر للفور وهم الحنابلة. يقول: من ترك الحج عند القدرة فهو آثم ومرتكب لكبيرة. أما من قال: الأوامر ليست على الفور بل على التراخي. فلا يوافِق على هذا الذي ذكره الناظم.

(وَمَنْعُهُ زَكَاةً) منع الزكاة من كبائر الذنوب وقد ذكر الله عز وجل في صفة الكفار أنهم لا يؤتون الزكاة: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

وأيضًا الأحاديث في ذم مانع الزكاة كثيرة منها: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

وذكر بقية الحديث في الإبل والبقر والغنم.

ويعذب بها في قبره، وربما يعذب في الحشر، وربما يصل به الأمر إلى أن يدخل النار.

(وَحُكْمُ الحَاكِمِ المُتَقَلِّدِ بِخُلْفٍ لِحَقٍ) يعني الحاكم سواء كان حاكمًا لدولة أو لمحافظة أو لمحكمة أو لقبيلة ممن تقلد الحكم، ثم حكم بغير الحق، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

١٨- (وَارْتِشَاءٌ)، الرشوة وهي: بذل المال من أجل إبطال حق أو إحقاق باطل، أو لجزء من ذلك. يأتي إلى القاضي فيعطيه الرشوة ليحكم له، وهو يعرف أنه مخطئ أو مثلًا عنده معاملة ستمشي بالطريقة الرسمية في ثلاثة أيام فيأتي إلى الموظف ويعطيه رشوة من أجل أن يُمشِّي له المعاملة في يوم، والدليل على أن هذا الرشوة كبيرة، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ» رواه الترمذي وأبو داود،

(وَفِطْرُهُ بِلَا عُذْرِنَا فِي صَوْمِ شَهْرِ التَّعَبُّدِ)، أن يفطر في شهر رمضان عمدًا بلا عذر، فهذا مرتكب لكبيرة، ومفرط في ركن من أركان الإسلام.

١٩- (وَقَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ عَلى دِينِ رَبِّنَا) الفتوى وغيرها بلا دليل، إما مع تعمد الباطل كالفرق الضالة، أو بجهل وجرأة، قال الله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(وَسَبٌّ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ) جاء في الحديث: (من سب أصحابه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) لأنه لا يسبهم أحد إلا وهو يحقد على الإسلام.

٢٠- (مُصِرٌّ عَلَى العِصْيَانِ) الإصرار: الإقامة على الذنب عامدًا، وترك التوبة منه.

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

والإصرار على الذنوب من كبائر الذنوب، ولو كانت هذه الذنوب من الصغائر، فإصرارك على ممارستها وعدم رغبتك في التوبة يعتبر من كبائر الذنوب.

وقد صح نحو هذا عن بعض الصحابة.

(تَرْكُ تَنَزُّهٍ مِنَ البَوْلِ فِي نَصِّ الحَدِيثِ المُسَدَّدِ) مر النبي ﷺ على قبرين فقال: (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يتنزه من البول)،

بمعنى: يبول فيرجع البول على ثيابه أو على جسمه ثم يذهب يصلي على هذه الحالة، وأيضا في الحديث الآخر: (أكثر عذاب القبر من البول).

****

٢١ - وَإِتْيَانُ مَنْ حَاضَتْ بِفَرْجٍ وَنَشْزُهَا ... عَلَى زَوْجِهَا مِن غَيْرِ عُذْرٍ مُمَهَّدِ
٢٢ - وَإِلحَاقُهَا بِالزَّوْجِ مَنْ حَمَلَتْهُ مِنْ ... سِوَاهُ وَكِتْمَانُ العُلُومِ لِمُهْتَدِ
٢٣ - وَتَصْوِيرُ ذِي رُوحٍ وَإِتْيَانُ كَاهِنٍ ... وَإِتْيَانُ عَرَّافٍ وَتَصْدِيقُهُم زِدِ
٢٤ - سُجُودٌ لِغَيرِ الله دَعْوَةُ مَنْ دَعَا ... إِلَى بِدْعَةٍ أَو لِلضَّلَالَةِ مَا هُدِي
٢٥ - غُلُولٌ وَنَوْحٌ وَالتَّطَيُّرُ بَعْدَهُ ... وَأَكْلٌ وَشُرْبٌ فِي لُجَيْنٍ وَعَسْجَدِ

الشرح

٢١- (وَإِتْيَانُ مَنْ حَاضَتْ بِفَرْجٍ) إتيان الحائض من كبائر الذنوب لأن الله عز وجل قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

(وَنَشْزُهَا عَلَى زَوْجِهَا مِن غَيْرِ عُذْرٍ مُمَهَّدِ) عصيانها وتمردها على زوجها أن ترقد معه في الفراش، أو رفضت أن تسمع له وتطيع فإنها ناشز، قال عليه الصلاة والسلام: (أيما رجل دعا امرأته إلى فراشه فأبت إلا بات الذي في السماء عليها غضبان).وأما إذا كان هناك عذر صحيح فهذا شيء آخر.

٢٢- (وَإِلحَاقُهَا بِالزَّوْجِ مَنْ حَمَلَتْهُ مِنْ سِوَاهُ) إن كانت زنت، أو عن طريق الاشتباه، ومن جهة أخرى أنها كذبت، ومن جهة ثالثة أنها ألحقت بنسبه من ليس منه.

(وَكِتْمَانُ العُلُومِ لِـمُهْتَدِ) شخص أتى يسأل يريد الخير يريد أن يستفيد، فإذا كتم المسؤول العالم ولم يجبه على سؤاله بقصد كتم العلم فهذا مرتكب لكبيرة.

دليله حديث أبي هريرة وجاء عن غيره أن النبي عليه الصلاة والسلام قال:

(من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة).

وليس معنى هذا أن الشخص يفتي كل من جاء، لا، وإنما يجيب بعلم وحكمة فإذا لم يوجد العلم أو كانت الحكمة في السكوت فهنا يسكت.

٢٣- (وَتَصْوِيرُ ذِي رُوحٍ) من الكبائر تصوير ذي روح من الناس أو الطير أو الحيوان والدليل على أنه من الكبائر حديث أبي جحيفة رضي الله عنه في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المصورين، وجاء من حديث ابن عباس في مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (كل مصور في النار)، وهناك أدلة أخرى تزيد على عشرين دليلًا في تحريم التصوير.

وأجمع العلماء على تحريم التصوير الذي ليس له حاجة، ليس له مصلحة، والجمهور يحرمون التصوير مطلقاً للمصلحة أو لغيرها.

(وَإِتْيَانُ كَاهِنٍ وَإِتْيَانُ عَرَّافٍ وَتَصْدِيقُهُم زِدِ) الكاهن الذي يدعي علم الغيب، والعراف الذي يدعي أنه يعرف مكان الضالة أو الشيء الذي ضاع، كلاهما يدعي علم الغيب وكلاهما كافر، وإتيان الكهان والعرافين من كبائر الذنوب، وفاعله مختلف في كفره، كما في حديث بعض أزواج النبي عليه الصلاة والسلام مرفوعًا: (من أتى كاهناً لم تقبل له صلاة أربعين يوماً).

وفي السنن: (من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد).

وأما الذي يأتي إلى هؤلاء الكهان والعرافين فإنه مرتكب لكبيرة، وإنْ صدقهم فيما يقولون فقد كفر، وإن أتاهم من أجل أن ينصحهم فلا شيء عليه.

٢٤- (سُجُودٌ لِغَيرِ اللهِ) السجود لغير الله كفر سواء سجد لصنم أو سجد لشخص أو سجد لقبر، كما يفعل أصحاب القبور يذهبون فإذا وصلوا إلى القبر سجدوا على أعتاب القبر فهذا مخرج من ملة الإسلام.

(دَعْوَةُ مَنْ دَعَا إِلَى بِدْعَةٍ أَو لِلضَّلَالَةِ مَا هُدِي) من دعا إلى بدعة أو إلى الضلال ولو لم تكن بدعة، فالضلالة تشمل البدعة وغيرها، والدليل على أنها من الكبائر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (من دعا إلى ضلالة فعليه وزرها ووزر من عمل

بها)، وأصرح منه حديث جابر: (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار).

٢٥- (غُلُولٌ) الغلول: الأخذ من الغنيمة قبل أن تقسم. ويلحق بها الأخذ من المال العام.

وقد ذكر الغلول في السبع الموبقات.

(وَنَوْحٌ) النياحة: هي الصياح عند وقوع المصيبة أو موت الميت.

وتشمل شق الجيب وضرب الخد والتسخط والدعاء بالويل والثبور إلى غير ذلك، وهي من الكبائر لأن النبي عليه الصلاة والسلام برئ من الصالقة والنائحة، وقال: (ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية).

(وَالتَّطَيُّرُ بَعْدَهُ) التطير: التشاؤم، يرى طيرًا غرابًا مثلًا في الصباح فيتشاءم، وهكذا أيضا يرى شخصًا معاقًا فيتشاءم، والدليل أنه من الكبائر حديث بن مسعود أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (الطيرة شرك).

وذكرنا لكم أن ما قيل فيه: شرك أو كفر. فهو يعتبر من أكبر الكبائر.

(وَأَكْلٌ وَشُرْبٌ فِي لُـجَيْنٍ وَعَسْجَدِ) أي: الأكل أو الشرب في آنية الذهب والفضة، فهذا من كبائر الذنوب ولا يجوز؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن ذلك، وقال: (هي لهم في الدنيا ولنا في الآخرة)، بل جاء في حديث أم سلمة: «مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ».



٢٦ - وَجَوْرُ الْمُوَصِّي فِي الوَصَايَا وَمَنْعُهُ ... لِمِيرَاثِ وَرَّاثٍ إِبَاقٌ لأَعْبُدِ

٢٧ - وَإِتْيَانُهَا فِي الدُّبْرِ بَيْعٌ لِحُرَّةٍ ... وَمَن يَسْتَحِلُّ البَيْتَ قِبْلَةَ مَسْجِدِ

٢٨ - وَمِنْهَا اكْتِتَابٌ لِلرِّبَا وَشَهَادَةٌ ... عَلَيْهِ وَذُو الوَجْهَيْنِ قُلْ لِلتَّوَعُّدِ

٢٩ - وَمَنْ يَدَّعِي أَصْلًا وَلَيْسَ بِأَصْلِهِ ... يَقُولُ: أَنَا ابْنُ الفَاضِلِ الْمُتَمَجِّدِ

٣٠ - فَيَرْغَبُ عَنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ ... وَلَاسِيَّمَا إِنْ يَنْتَسِبْ لِمُحَمَّدِ

٣١ - وَغِشٌّ إِمَامٍ لِلرَّعِيَّةِ بَعْدَهُ ... وُقُوعٌ عَلَى العَجْمَا البَهِيمَةِ سُفِّدِ

٣٢ - وَتَرْكٌ لِتَجْمِيعٍ إِسَاءَةُ مَالِكٍ ... إِلَى القِنِّ ذَا طَبْعٌ لَهُ فِي الْمُعَبَّدِ

الشرح

٢٦- (وَجَوْرُ الْمُوَصِّي فِي الوَصَايَا) مثل أن يوصي من أجل أن يحرم الورثة، أو يوصي لبعض الورثة، فهذا يعتبر من الكبائر؛ لأن احتيال على أصحاب الحق، أما من أوصى بالثلث لوجه الله تعالى في قربة فلا بأس، ودليل كون الجور كبيرة عموم أدلة الظلم، والوعيد في نهاية آيات المواريث والوصية: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

(وَمَنْعُهُ لِمِيرَاثِ وَرَّاثٍ)، منع الميراث من كبائر الذنوب؛ للآية السابقة.

(إِبَاقٌ لأَعْبُدِ) العبد المملوك إذا أبق بمعنى هرب من سيده وذهب إلى مكان بعيد بحيث لا يستطيعون أن يجدوه، أو ما أشبه ذلك، هذا من كبائر الذنوب؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر) فقد كفر حق سيده بمعنى جحد.

٢٧- (وَإِتْيَانُهَا فِي الدُّبْرِ) إتيان المرأة في دبرها من الكبائر، وهناك حديث حسنه الألباني بلفظ: (لعن الله من أتى امرأة في دبرها).

(بَيْعٌ لِـحُرَّةٍ) بيع الحر سواء كان رجلًا أو امرأة من كبائر الذنوب، وهذا يحصل من الملوك والجبابرة وأصحاب السلطة، يسطون على بعض الناس ثم يبيعونهم في الأسواق، وقد جاء في عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قال الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره). رواه البخاري.

(وَمَن يَسْتَحِلُّ البَيْتَ قِبْلَةَ مَسْجِدِ) من يستحل القتال في البيت يعني في الحرم فإن الحرم لا يجوز الإحداث فيه. عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال :«أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه»، وفي حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: (سَيُلْحِدُ فِيهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَوْ أَنَّ ذُنُوبَهُ تُوزَنُ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَجَحَتْ عَلَيْهِ). فيه: في حرم مكة.

٢٨- (وَمِنْهَا اكْتِتَابٌ لِلرِّبَا وَشَهَادَةٌ عَلَيْهِ) تقدم دليله، فلا يجوز العمل مع أصحاب الربا، هذه البنوك التي عرفت بالربا لا يجوز العمل معها ولو في الحراسة.

(وَذُو الوَجْهَيْنِ قُلْ لِلتَّوَعُّدِ) قال صلى الله عليه وسلم: (شر الناس يوم القيامة ذو الوجهين) يأتي إليك بوجه الناصح وخلفك بوجه العدو، أو يأتي إلى هؤلاء وإلى هؤلاء يحرش بينهم فيكون بمعنى النمام.

٢٩- (وَمَنْ يَدَّعِي أَصْلًا وَلَيْسَ بِأَصْلِهِ) يدعي أنه من قبيلة كذا أو ابن فلان وهو يكذب.

وقد جاء عَنْ سَعْدِ بن أَبي وقَّاصٍ رضي الله عنهم أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: (مَن ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيهِ حَرامٌ). متفقٌ عليهِ.

(يَقُولُ: أَنَا ابْنُ الفَاضِلِ الْمُتَمَجِّدِ) ينتسب إلى قبيلة مشهورة، بقصد تضخيم نسبه.

٣٠- (فَيَرْغَبُ عَنْ آبَائِهِ وَجُدُودِهِ) يرغب عنهم: يترك الانتساب إليهم.

(وَلَاسِيَّمَا إِنْ يَنْتَسِبْ لِـمُحَمَّدِ) ولا سيما إن انتسب لآل البيت وليس منهم، وما أكثر الذين يكذبون أنهم من أهل البيت ثم بعد ذلك يُظهِرون الشعوذة والسحر والتصوف والرفض... ولكن لا يطعن في نسب أحد إلا بيقين، فالناس يتحملون أنسابهم بين يدي الله سبحانه وتعالى.

٣١- (وَغِشُّ إِمَامٍ لِلرَّعِيَّةِ) الإمام بمعنى الوالي، سواء كانت ولاية عامة أو خاصة، إذا غش الرعية لم ينصح لهم في دينهم ودنياهم، كما هو الحاصل عند الكثير في زماننا يغشون الناس في دينهم، وجلبوا لهم الديمقراطية والعلمانية والفساد. يقول النبي ﷺ: (ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً، ثم يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة).

(وُقُوعٌ عَلَى العَجْمَا البَهِيمَةِ) عمل الفاحشة في البهيمة (سُفَّدِ) كتسافد الحيوان.

٣٢- (وَتَرْكٌ لِتَجْمِيعٍ) ترك الجمعة، يقول النبي ﷺ: (من ترك ثلاثة جمع تهاونً طبع الله على قلبه).

(إِسَاءَةُ مَالِكٍ إِلى القِنِّ) وهو العبد المملوك، فإذا ظلمه سيده فهذا من كبائر الذنوب ويقتص منه يوم القيامة، وقد كان أبو مسعود يضرب غلامًا له فلما رآه النبي عليه الصلاة والسلام قال: (أبا مسعود لله أقدر عليك منك على هذا) فقال: يا رسول الله هو حر لوجه الله. قال: (لو لم تفعل لفحتك النار)، (ذَا طَبْعٌ لَهُ فِي المُعَبَّدِ) يكثر الإساءة إلى العبيد.

وبهذا يكون قد ذكر نحو سبعين كبيرة.



والكبائر كثيرة، وهناك من ألف فيها فأوصل إلى السبعين، وهناك من ألف فيها فأوصل إلى المائة، وفي كتاب الزواجر أكثر من مائة من الكبائر، بل بعضهم أوصلها إلى المئتين.

وأيضًا لنا كتاب بعنوان: (**١٠٠ من الكبائر**) وجميع الأدلة من السنة تم تخريجها هناك.

ولم نذكر فيه جميع الكبائر، فالكبائر التي ورد فيها الوعيد تزيد على ذلك،

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنبنا وإياكم كبائر الذنوب وصغائرها.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.



١٠٠

من الكبائر

مع ذكر دليل كل كبيرة ليسهل حفظها واجتنابها

قال الامام الوادعي رحمه الله تعالى:

(المسلمون اليوم أحوج ما يكون إلى قراءة الكبائر والعلم بها)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد:

فهذا مواعظ ورقائق بذكر الكبائر، مع ذكر دليل أو دليلين لكل كبيرة، من أجل أن يسهل معرفة الكبائر[١]، وحفظ دليلها، لاسيما ونحن في زمن جُهلت فيه كثير من الكبائر، ولم ينشط كثير من المسلمين لمراجعة الكتب المطولة في الكبائر، فهذا كتيب عسى أن يكون سهل التناول، وسهل الحفظ.

أسأل الله عز وجل أن ينفع به جميع المسلمين، وأساله جل وعلا أن يجنبنا الوقوع في الكبائر، وأن يختم لنا بالحسنى. ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.

كتبه /أبو عبدالله المصنعي

دار الحديث بمعبر

صفر لعام ١٤٢٧هـ

وتم التعليق عام: ١٤٣٩هـ. بدار الحديث بمارب.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،

****

---

(١) الكبيرة :هي كل معصية جاء فيه ذم شديد كاللعن لفاعلها أو وعيد شديد بالنار أو غضب الله تعالى أو نفي الإيمان أو البراءة من فاعلها ونحو ذلك.

الكبـــائر

٧ـ١ باب السبع الموبقات[١]

وقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ[٢] وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء[٣] وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾

١ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ[٤]»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ[٥]، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ[٦] المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ[٧]» (خ٢٧٦٦) (م٨٩).

٨ـ٩ـ باب أكبر الكبائر

٢ – عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ[٨] – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا[١] فَقَالَ – أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»[٢]، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ[٣] (خ٢٦٥٤) (م٨٧).

---

(١) الموبقات: المهلكات؛ لأن الذنوب هلاك، ومن أعظم موبقاتها دخول صاحبها النار.

(٢) لأن الشرك أكبر الذنوب وسيئتها لا تمحوها حسنة مهما عظمت لمن مات عليه.

(٣) مذهب أهل السنة في مرتكبي الكبائر من الموحدين أنهم تحت المشيئة إن ماتوا ولم يتوبوا...

(٤) (وقتل النفس) بغير حق فيدخل في ذلك قتل العبد نفسه أو ولده أو غيره وقتل المعاهد.

(٥) يوم الزحف: حين تلتقي الصفوف.

(٦) المحصنات: العفيفات.

(٧) الغافلات: اللاتي لا يعلم عنهن هذا.

(٨) ـ (عقوق الوالدين) يدخل فيه عصيانهم أو شتمهما أو لعنهما...الخ .

١٠.باب أي الذنب أعظم

٣- عَنْ عَبْدِ اللهَّ بِنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ الله؟ قَالَ: «أَنْ تَدْعُوَ لله نِدًّا(٤) وَهُوَ خَلَقَكَ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يُطْعَمَ مَعَكَ»(٥) قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةِ جَارِكَ»(٦) فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾(٧) [الفرقان: ٦٨] الآيَةَ. (خ٤٤٧٧) (م٨٦/ ١٤٢) لفظ مسلم.

١١.-١٣.الزنا والسرقة وشرب الخمر

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى(٨) إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً(٩)﴾ [الإسراء:٣٢] وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ

---

(١) تعظيمًا للأمر.

(٢) شهادة الزور: أن يشهد بما يعلم أن الواقع خلافه في حقيقته أو صفته. وقول الزور: القول بخلاف الحق، ومنه: شهادة الزور، فهو أعم، والزور بمعنى الكذب.

(٣) خوفًا من الأمر.

(٤) الند : الشريك ويدخل فيه جميع أنواع الشرك الأكبر والنفاق.

(٥) أي: خوف الفقر، وهو ذنب إلى جانب ذنب القتل.

(٦) تزاني: تراودها حتى ترضى بالزنى، وتفسدها على زوجها. والحليلة: الزوجة.

(٧) أي: إثمًا عظيمًا.

(٨) لا تفعلوا ما يؤدي إلى الزنا، ولا تزنوا من باب أولى. والزنى: إيلاج الرجل ذكره في فرج لا يحل له.

(٩) فاحشة: منكرًا عظيمًا شرعًا وعقلًا وعرفًا. وساء سبيلًا: طريقًا وفِعلة.

مُؤْمِنٌ[١]، وَلَا يَسْرِقُ[٢] حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ[٣] حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ». (خ٥٥٧٨) (م٥٧) واللفظ له.

١٤ـ قطع الصلاة والتلاعب بها

وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[٤] [مريم: ٥٩]

٥ـ عن جابرِ بنِ عبدِ الله ﷺ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: « إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ[٥] تَرْكَ الصَّلَاةِ[٦]». (م٨٢)

١٥ـ ١٦ـ الطعن في الأنساب والنياحة

٦ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ[٧]: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ[٨] وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ[٩]) (م٦٧).

---

(١) لا يفعل الكبائر وهو مؤمن كامل الإيمان الواجب، بل ناقص الإيمان الواجب، أي: فاسق، وليس المراد إخراجه من الإسلام.

(٢) السرقة: أخذ المال من حرز خفية.

(٣) الخمر: ما أَسكرَ من أي صنفٍ كان.

(٤) جاء بعد الأنبياء وأصحابهم أناس فرطوا في الصلاة، وتهاونوا بها فتوعدهم الله تعالى بالغي وهو العذاب الشديد، دليل على أن التهاون كبيرة.

(٥) من تركها جاحدًا كفر إجماعًا، ومن تركها تهاونًا فهو مسلم فاسق، مرتكب لكبيرة كما هو قول الجمهور.

(٦) يدخل فيه ترك صلاة الجمعة والجماعة ، أو التلاعب بها.

(٧) الأصل أنه كفر أصغر، وقد يقترن به ما يوصله إلى الأكبر.

(٨) القدح في صحة أنساب الآخرين، أو احتقار نسبهم.

(٩) والمراد التي فيها تسخط وصياح وأفعال مستنكرة كشق الجيوب والدعاء بالويل والثبور.

١٧.٢١ـ الكذب والخيانة والغدر والفجور وإخلاف الوعد

٧ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: « آيَةُ[١] الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ[٢]». (خ٣٣) (م٥٩/ ١٠٧).

٨ـ عَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا[٣]، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ[٤]، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ[٥]». (خ٣٤) (م٥٩/ ١٠٦).

٢٢ـ إباق العبد

٩ـ عَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ» وفي رواية: «أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ[٦] فَقَدْ كَفَرَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ[٧]» (م٦٨).

---

(١) علامته.

(٢) المراد إذا تعمد هذه وأكثر منها فقد وقع في النفاق، وأما الوقوع في الكبيرة فيحصل ولو بالقليل.

(٣) شديد الشبه بالمنافقين.

(٤) الغدر ضد الوفاء، وهو: الخيانة في محل الإئتمان.

(٥) بالغ في الخصومة فوق ما تستحق.

(٦) أبق: هرب. ومواليه: جمع مولى، وهو سيده المالك له.

(٧) الكفر هنا كفر عمل، أي: الكفر الأصغر، إلا من استحل الحرام مع علمه بحرمته فهو كفر أكبر.

٢٣- القتال بين المسلمين

١٠ـ عَنْ جَرِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ(١)» ثُمَّ قَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي(٢) كُفَّارًا(٣) يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ(٤)» (خ١٢١) (م٦٥).

٢٤ـ سب المسلم بغير حق

١١ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ(٥) وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (خ٤٨) (م٦٤)

٢٥ـ ٢٦ـ الرغبة عن الآباء ورمي المسلم بالكفر ونحوه

١٢ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ(٦) وَهُوَ يَعْلَمُهُ(٧) إِلَّا كَفَرَ(٨)، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا(٩)، وَلْيَتَبَوَّأْ

---

(١) أي: قل لهم يسكتوا ليسمعوا الكلام.

(٢) بعد موتي.

(٣) الكفر هنا كفر العمل كما فسره بما بعده.

(٤) ـ القتال بين المسلمين بغير حق فإن كان الحق مع أحدهما لم يدخل في الحديث كقتال البغاة والخوارج من قِبل الإمام.

(٥) سباب: تبادل الكلمات البذيئة. والفسق هنا: فسق العمل؛ لأن الفسق قسمان: أكبر وأصغر، كالكفر سواء. وليس في هذه الأحاديث حجة لأهل التكفير، لأن الأدلة تفسر بعضها.

(٦) انتسب لغير أبيه.

(٧) يعلم نسبه، وحرمة المخالفة.

(٨) كفر أصغر.

(٩) ليس من المؤمنين العدول، بل هو مسلم فاسق.

مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ(١)، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ(٢) وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ(٣)». (خ٣٥٠٨) (م٦١) لفظ مسلم.

١٧ـ ١٨ـ اللعن وكفران العشير

١٣ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَـــــالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ(٤)، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ(٥) أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ». فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟

قَالَ: (أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ: فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِيَ مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ(٦))(خ٣٠٤) (م٨٠).

---

(١) أي: أنه بذنبه هذا متوعد بمجلس في النار.

(٢) قال له: يا كافر، أو: يا عدو الله، أو يا مرتد...

(٣) إلا رجع إثمه عليه، مع ما يجري من قصاص في جهة رميه بما ليس فيه.

(٤) أي: في آخر خطبة العيد، كما تفسره رواية ابن عباس وجابر وغيرهما.

(٥) في المنام أو ليلة الإسراء، أو يوم الكسوف.

(٦) العشير الزوج ، واللعن من الكبائر سواء كان من الرجال أو النساء ، والمراد به لعن المسلم، وكفران العشير: إنكار معروف الزوج أو حقوقه. وقوله: (ناقصات دين) دليل على نقص الإيمان وأنه ينقص بنقص الطاعات ولو بعذر. وقوله: (الرجل الحازم) العاقل الضابط لأموره. وقوله: (نصف شهادة الرجل) لضعف عقلها في الجملة.

٢٩ـ٣٠ـ الغش وحمل السلاح ضد المسلم بغير الحق

١٤ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ[١] فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا[٢] فَلَيْسَ مِنَّا[٣]» (م١٠١).

٣١ـ دعوى الجاهلية والعصبية

١٥ـ عَنْ عَبْدِ الله، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ[٤]، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ[٥]» (خ١٢٩٧) (م١٠٣).

١٦ـ عن الحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ[٦])، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: (وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللهِ).

رواه الترمذي (٢٨٦٣) في قصة زكريا الطويلة وصححه العلامة الألباني والعلامة الوادعي.

---

(١) حمل السلاح داخل في القتال بين المسلمين، وزيادة على ذلك إذا أشار عليه أو هدده ولم يقاتل به فهو داخل.

(٢) الغش: إخفاء العيب عمدًا.

(٣) لَيْسَ مِنَّا، أي: ليس من المسلمين العدول، بل هو من الفُسَّاق. والغش محرم في الدين والدنيا.

(٤) عند نزول المصائب. والجيوب: فتحة الثوب على الصدر.

(٥) الجاهلية: ما قبل الإسلام. ودعوى الجاهلية: دعوى العصبية والحمية والقبلية دون الالتفات إلى الشرع، ومن ذلك: ما يقولونه عند الموت من صياح وغير ذلك من أمور الجاهلية المخالفة للشرع، ومن دعوى الجاهلية الحزبية.

(٦) جُثا: الحجارة. وجَثا: جلس. والمراد أنه من ساكني جهنم.

٣٢-٣٣- النميمة وعدم التنزه عن البول

١٧- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَرَّ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ[(١)]، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ[(٢)]، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ[(٣)]»، قَالَ فَدَعَا بِعَسِيبٍ[(٤)] رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا[(٥)] ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا» (خ٢١٦) (م٢٩٢).

١٨- وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ[(٦)] نَمَّامٌ» (خ٦٠٥٦) (م١٠٥) واللفظ له.

٣٤-٣٦- الإسبال والمن والحلف الكاذب

١٩- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ[(٧)] وَلَا يُزَكِّيهِمْ[(٨)] وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ[(٩)]» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ

---

(١) أي: ليس بكبير في اعتقادهما. أو: الاحتراز عنه ليس بكبير، بل سهل، وهذا أقرب.

(٢) النميمة: هي نقل الكلام على جهة التحريش بغير حق.

(٣) بحيث يقع على جسده وثوبه.

(٤) العسيب: جريد النخل.

(٥) وهذا من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحل فعله لغيره.

(٦) القتات: النمام، لا يدخلها دخولًا أوليًّا، بل يتأخر حتى يعذب على فعله أو يغفر الله تعالى له.

(٧) هذا محمول على بعض المواقف دون بعض.

(٨) لا يطهرهم بمعنى: لا يغفر لهم ولا يعفو عنهم.

(٩) كل هذا يدل على عظمة هذه الذنوب.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ[١]، وَالْمَنَّانُ[٢]، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ[٣]» (م١٠٦).

٣٧-٣٨- نقض البيعة ومنع فضل الماء

٢٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ[٤] بِالْفَلَاةِ[٥] يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ[٦]، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِالله لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا[٧] فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ). (خ٢٣٥٨) (م١٠٨).

---

(١) الإسبال: إطالة اللباس تحت الكعب أيًا كان.

(٢) الذي يكثر ذكر صنائعه عند من قدمها له.

(٣) كأن يقول: اشتريته بكذا والله، وهو غير صادق.

(٤) ما زاد عن حاجته.

(٥) الطريق كما في رواية أخرى، والمكان الذي لا يوجد بديل له.

(٦) عابر الطريق ونحوه.

(٧) كالمال والراتب أو المنصب.

٣٩ـ ٤٠ـ الحلف بغير الاسلام والدعوى الكاذبة

٢١ـ عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ[١] فِيمَا لَا يَمْلِكُ[٢]، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ[٣]، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٤]، وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً[٥] لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً، وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ فَاجِرَةٍ» (خ٦٠٤٧) (م١١٠) لفظ مسلم[٦].

وفي رواية: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِي شَيْءٍ لَا يَمْلِكُهُ» [٧].

٤١ـ الغلول [٨]

قال الله تعالى﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

---

(١) النذر: إلزام العبد نفسه بطاعة غير لازمة عليه شرعًا.

(٢) لا يجوز له الوفاء، بل عليه الكفارة.

(٣) في الإثم.

(٤) ومنه: العمليات الانتحارية.

(٥) في مال ونحوه، ويدخل في ذلك التسول الكاذب.

(٦) ـ انفرد بذكر الدعوى ... الخ مسلم.

(٧) إن كان حلف بها رغبة فيها فقد كفر، وإن كان حلف بها جهلًا وحماقة فهو كفر أصغر، ويكون المعنى: فهو مستحق مثل عذاب من رغب فيها، أو: هو كاذب ككذب أهل تلك الملة بعد البعثة.

(٨) الغلول: الأخذ من الغنيمة قبل القسمة بغير حق.

٢٢ـ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ[١]، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ[٢] فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ -» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ»، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ. (م١١٤) .

٤٢ـ مؤذاة الجيران

٢٣ـ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ[٣]) قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ[٤]) (خ٦٠١٦).

٤٣ـ اقتطاع مال المسلم بغير حق

٢٤ - عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ[٥]، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ[٦]، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»[١] (خ٤٥٤٩) (م١٣٨).

---

(١) ولم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فهو دليل صريح على جواز إطلاق لفظ الشهادة على المقتول في سبيل الله تعالى، والله تعالى وحده يتولى السرائر.

(٢) أي: في قبره، كما في رواية أخرى، وهذا الخبر من علم الغيب الذي علمه صلى الله عليه وسلم بالوحي، فمن منع إطلاق الشهادة حسب الظاهر على شخص قتل في سبيل الله تعالى، يحتاج إلى دليل مثل هذا، وأنى له؟!، ومن قواعد الشرعية: (الأخذ بالظاهر)، وتأمل الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليهم إلا في هذا فقط، مع أنهم ذكروا عددًا من الشهداء.

(٣) أي: أنه فاسق مرتكب كبيرة.

(٤) شروره وخصومته، والبائقة: الداهية.

(٥) وهي التي تلزم صاحبها، والمراد بها الغموس.

(٦) كاذب متعمد.

٢٥- عنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ[٢]» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ[٣]». (م ١٣٧).

٤٤- غش الرعية

٢٦ـ عن مَعْقِلٍ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ[٤]، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» (خ٧١٥١) (م١٤٢).

٤٥- الغيبة[٥]

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

٢٧ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُشُونَ[٦] وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ[١]).

---

(١) صفة الغضب لله تعالى كما يليق بجلاله ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

(٢) هذا وعيد، ومرجعه إلى مشيئة الله تعالى.

(٣) عودًا من شجرة الأراك التي منها السواك.

(٤) في دينهم أو دنياهم. وعامة رؤوس أهل البدع من الغاشين لأتباعهم، ومن الغش إلزام الناس بالقانون والعلمانية.

(٥) وهي ذكر المسلم بما يكره بغير حق.

(٦) يخدشون ويلطمون. وقوله: (يأكلون لحوم الناس) أي: بالغيبة والكذب عليهم.

رواه أبو داود (٤٨٧٨) وصححه العلامة الألباني والعلامة الوادعي.

٤٦ـ قطع الرحم

٢٨ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ(٢)، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ(٣)؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ). ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ، أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٣]. (خ٥٩٨٧) (م٢٥٥٤) لفظ مسلم.

٤٧ـ التلون وذو الوجهين

٢٩ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا، وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، أَكْرَهُهُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَتَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ(٤)» (خ٦٠٥٨) (م٢٥٢٦).

---

(١) ويدخل فيه السباب ونحوه.

(٢) المحتمي بك يا الله.

(٣) والحديث دليل على صفة الكلام لله تعالى.

(٤) وليس من ذلك الصلح، لكن يدخل فيه الجاسوس وأهل المداهنة...

٤٨- النوم عن الصلاة المكتوبة

٣٠ـ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟) قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا. فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: (هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟) قُلْنَا: لَا.

قَالَ: (لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ قُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا: انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنْ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ قُلْتُ طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ قَالَا نَعَمْ أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمْ الزُّنَاةُ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ وَالدَّارُ الْأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ فَارْفَعْ رَأْسَكَ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ قَالَا ذَاكَ مَنْزِلُكَ قُلْتُ دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ)(١). (خ٧٠٤٧).

٤٩- التألي على الله تعالى

٣١- عَنْ جُنْدَبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَ: (أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: "مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى(٢) عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ"). (م٢٦٢١).

٥٠- تخبيب المرأة على زوجها والعبد على سيده

٢٣- عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: (مَنْ خَبَّبَ خَادِمًا(٣) عَلَى أَهْلِهَا، فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ أَفْسَدَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا ، فَلَيْسَ مِنَّا).

رواه أبو داود (٥١٧٠) وصححه الشيخان.

---

(١) (مضطجع) مستلقٍ على قفاه. (تدهده) تدحرج. (كلوب) قطعة كمخلب الطير منحني الرأس.

(شط النهر) طرفه.

(٢) يحلف.

(٣) (خبب) أفسد طاعتها وخدعها، والخادم: الجارية المملوكة أو العبد.

٥٢ - ٥٧- بيع الحر وظلم الأجير أجرته

٣٣ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (قَالَ اللهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ[١]، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ[٢]، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ) (خ٢٢٧٠).

٥٣ـ عمل قوم لوط[٣]

قال الله تعالى﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ*إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ[٤]*وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ[٥]*فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ[٦]*وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف (٨٠-٨٤).

وقال تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ[٧]*فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ[٨]﴾ الحجر (٧٣-٧٤).

---

(١) عاهد وحلف بالله ثم نقض وغدر.

(٢) البيع حرام بالإجماع وباطل، وظلم عظيم.

(٣) ويدخل في ذلك إتيان النساء في أدبارهن لقوله صلى الله عليه وسلم: (ملعون من أتى امرأة في دبرها) "صحيح الجامع".

(٤) كثيروا الذنوب والإجرام.

(٥) يتنزهون عن الفاحشة.

(٦) الهالكين.

(٧) في الشروق.

(٨) حجارة محماة بالنار.

٥٤ـ٥٧ـ التنمص والتفلج والوشم ووصل الشعر

٣٤ـ عَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنه، قَالَ: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ(١)، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ(٢) لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله» (خ٥٩٣١)(م١١٨٩).

٣٥- وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ زَوَّجَتِ ابْنَةً لَهَا، فَاشْتَكَتْ فَتَسَاقَطَ شَعْرُهَا، فَأَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجَهَا يُرِيدُهَا أَفَأَصِلُ شَعَرَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لُعِنَ الْوَاصِلَاتُ» رواه مسلم (٢١٢٣).

٥٨ـ تصوير ذوات الأرواح(٣)

٣٦- عنْ عَبْدِ اللهَّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ -صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ ». (خ٥٩٥٠) (م٢١٠٩).

٥٩ـ٦٠ـ تغيير منار الأرض وإيواء المحدث

٣٧- عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله(٤)، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا(٥)، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ(٦)» (م١٩٧٨).

---

(١) ـ الوشم : ثقب الوجه بإبرة ونحوها ثم تملئ بالكحل فتظهر سوداء (كحبة الخال) يصنع هذا للتجمل بذلك.

(٢) والتنمص : نتف شعر الحاجب وترقيقه ،

ووصل الشعر : أي بشعر غيرها.

التفلج : برد الأسنان للحسن .

(٣) التصوير عام: سواء كان نحتاً أو رسماً أو فوتوغرافياً أو غير ذلك.

(٤) وهو شرك أكبر.

(٥) من عمل منكرًا أو صاحب بدعة، والإيواء هنا: الحماية، والتستر عليه والنصرة.

(٦) منار الأرض : أعلامها وحدودها.

٦١-٦٢-الإحداث في المدينة ، وإخفار ذمة المسلم

٣٨- عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا[(١)]» (خ٧٣٠٠) (١٣٧٠) .

٦٣-اتخاذ القبور مساجد[(٢)]

٣٩- عَائِشَةَ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَا: لَمَّا نُزِلَ[(٣)] بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَفِقَ[(٤)] يَطْرَحُ خَمِيصَةً[(٥)] لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: وَهُوَ كَذَلِكَ «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا (خ٤٣٥/ ٤٣٦) (م٥٣١).

٦٤-تشبه الرجال بالنساء والعكس

٤٠- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ[(٦)]) (خ٥٨٨٦/ ٥٨٨٥).

---

(١) الصرف :الفرض ، والعدل : النافلة.

(٢) ـ ويدخل في ذلك بناء القباب على القبور أو إدخال القبر إلى المسجد.

(٣) الموت.

(٤) جعل.

(٥) قطعة قماش لها أعلام.

(٦) التشبه المنهي عنه هو فيما اختص به الطرف الآخر من اللباس والأعمال.

٦٥-٦٦- التبرج وضرب المسلمين بغير حق

٤١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ[١] مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ[٢]، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ[٣]، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا[٤]، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» (م٢١٢٨)

٦٧- خيانة المجاهدين في نسائهم

٤٢- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ[٥] فِيهِمْ، إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟» (م١٨٩٧/ ١٣٩).

---

(١) لهن لباس يصف أجسامهن أو تكشف بعض محاسنها.

(٢) زائغات في أنفسهن ومتسببات في زيغ غيرهن.

(٣) تشد ظفائرها أعلا رأسها، والبخت: الإبل الكبيرة.

(٤) هذا وعيد لمن لم تتب قبل موتها.

(٥) بالزنا، أو نحوه.

٦٨ـ الشرك الأصغر(١)

٤٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ) (م١٩٠٥).

٦٩ـ الظلم(٢)

قال الله تعالى﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إبراهيم (٢٢)

٤٤ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ(٣) أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ(١)» (م٢٥٧٨).

---

(١) ـ الشرك الأصغر يشمل الرياء والحلف بغير الله وقول: ما شاء الله وشاء فلان، عند الله وعندك ونحوها،... الخ، وضابطه: كل قول أو عمل أطلق عليه الشرع وصف الشرك، وهو غير مخرج من الملة.

(٢) الظلم: وضع الشيء في غير موضعه.

(٣) منع الواجب، وهو أعلى درجات البخل.

٧٠ـ٧١ـ الكذب في رؤيا النوم، واستماع حديث قوم يكرهون سماع حديثهم

٤٥ـ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ تَحَلَّمَ(٢) بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ(٣) وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ أَوْ يَفِرُّونَ مِنْهُ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْآنُكُ(٤) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا وَلَيْسَ بِنَافِخٍ) (خ٧٠٤٢)

٤٦ـ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مِنْ أَفْرَى الْفِرَى(٥) أَنْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَ(٦) (خ٧٠٤٣).

٧٢ـ سب الصحابة

٤٧ـ عن الْبَرَاءِ رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ: «لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ» (م٧٥)

٤٨ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ(٧)» (خ٣٦٧٣) (م٢٥٤١) .

---

(١) محارمهم: ما حرم الله تعالى عليهم.

(٢) ادَّعَى رؤيا منامية.

(٣) الحَبُّ المعروف.

(٤) الرصاص المذاب.

(٥) أكذب الكذب.

(٦) أن يدعى رؤيا لم يرها.

(٧) ما بلغ في الأجر كأجر المد مما أنفقوه.

٧٣ـ قطع الطريق[1]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة(٣٣)

٤٩ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي اللهُ عنه، أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَاجْتَوَوْهَا[2]، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا»، فَفَعَلُوا، فَصَحُّوا، ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرِّعَاءِ، فَقَتَلُوهُمْ وَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَسَاقُوا ذَوْدَ[3] رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَعَثَ فِي أَثَرِهِمْ فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ، وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ[4]، وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ، حَتَّى مَاتُوا) (خ٦٨٩٩) (م١٦٧١).

٧٤ـ الأمن من مكر الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ[5] فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأعراف(٩٩)

وقال سبحانه: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾ فصلت(٢٣).

(١) أي: بالحرابة وإخافة السبيل.

(٢) أي: لم توافقهم وكرهوها لسقم أصابهم بسبب جوها.

(٣) الذود: الإبل.

(٤) كحلهم بمسامير محماة حتى عموا.

(٥) أن يعذبهم على مكرهم وسيئاتهم.

٥٠- وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ؟ فَقَالَ: «اَلشِّرْكُ باللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهُ»، رواه الطبراني (١٢/ ٢٥٢)، وحسنه الألباني.

٧٥-٧٦- الخيلاء والكبر

٥١- عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطَرًا[١]»، (خ٥٧٨٨) (م٢٠٨٧).

٥٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ[٢] وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ[٣] فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، (خ٥٧٨٩) (م٢٠٨٨/ ٥٠).

٥٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ[٤]، وَغَمْطُ النَّاسِ[٥]» رواه مسلم (٩١).

٧٧- الكذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ النحل (١١٦)

(١) كبرًا.

(٢) شعره.

(٣) ينزل فيها ويضطرب.

(٤) رد الحق.

(٥) احتقارهم.

٥٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ[١] (خ١١٠) (م٣) وجاء عن جمع من الصحابة نحو مائة.

٧٨. التحليل

٥٥- عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: لعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: آكِلَ الرِّبَا ، وَمُوكِلَهُ[٢]، وَالْمُحَلِّلَ[٣] وَالْمُحَلَّلَ لَهُ[٤].

(النسائي ٣٤١٦) (الترمذي ٤/ ٢٦٤) وصححه الشيخان.

٧٩. التكذيب بالقدر والتسخط

٥٦- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرٍ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ[٥]، وَلَا مُكَذِّبٌ بِقَدَرٍ "

رواه أحمد (٦/ ١٤١) وصححه الشيخان.

٨٠. المسألة من غير حاجة

٥٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا[٦]، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ» (م١٠٤١).

(١) ليتخذ له منزلًا فيها، وهذا وعيد بطول مكثه في النار.

(٢) من أعطاه ليرابي به، أو تعامل معه بالإيداع دون ضرورة.

(٣) الذي يتزوج امرأة من أجل أن تحل لزوجها الذي طلقها ثلاثًا.

(٤) المطلِّق.

(٥) مصر على شربه حتى مات.

(٦) لأجل أن يكثر ماله. (يَسْأَلُ جَمْرًا) من نار جهنم.

٨١ـ الخروج على أئمة المسلمين

٥٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً(١)، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ(٢) يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»، (م١٨٤٨).

٥٩- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ» (خ٧٠٥٣) (م١٨٤٩/ ٥٦).

٨٢ـ كتم العلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة(١٧٤)

٦٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يعلمه فَكَتَمَهُ(٣)، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ" رواه ابن ماجه (٢٦٦) وصححه الشيخان.

(١) على طريقة الجاهلية الذين لا يرون طاعة ولاة الأمر.

(٢) لا يتبين فيها الحق من الباطل، فهي كالعمياء.

(٣) أي: كتمه بخلًا بالعلم، فلا يدخل في ذلك من كتمه للمصلحة.

٨٣ـ الرشوة[١]

٦١- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رضي الله عنهما - قَالَ: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - الرَّاشِيَ وَالْـمُرْتَشِيَ) رواه أبو داود (٣٥٨٠) وابن ماجه (٢٣١٥) وصححه الشيخان.

٨٤ـ المراء في القرآن

٦٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: (الْـمِرَاءُ[٢] فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ) رواه أبو داود (٤٦٠٣) وصححه الشيخان.

٨٥ـ ٨٦ـ الدعوة إلى ضلالة والتمثيل

٦٣- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم: (أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ[٣]، وَمُمَثِّلٌ مِنْ الْمُمَثِّلِينَ[٤]) رواه أحمد(١ / ٤٠٧) وصححه الشيخان.

---

(١) وهي بذل المال ونحوه لأجل إبطال حق أو إحقاق باطل.

(٢) الجدال لأنه يورث الشك وهو كفر.

(٣) أول من يدخل في ذلك رؤوس المبتدعة.

(٤) والتمثيل منه صنع التماثيل، ومنه المحاكاة كالمسلسلات فهي مشتملة على الكذب والغيبة والسخرية والاختلاط وملامسة النساء والتبرج والشرك الأكبر أحيانًا... فهو مجمع لعدد كبير من الذنوب والكبائر، والأصل أن مشاهدة التمثيل حرام، وأما إقراره وتشجيعه وتدريسه فهو من كبائر الذنوب أيضًا، وقد يصل مستحله إلى الكفر.

٨٧ـ القضاء بغير الحق والحكم بغير ما أنزل الله

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة(٤٤، ٤٥).

٦٤- عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « الْقُضَاةُ ثَلاَثَةٌ وَاحِدٌ فِى الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِى النَّارِ فَأَمَّا الَّذِى فِى الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِى الْحُكْمِ[1] فَهُوَ فِى النَّارِ وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِى النَّارِ ».

رواه أبو داود (٣٥٧٣) و ابن ماجه (٢٣١٥) وصححه الشيخان.

٨٨ـ منع الزكاة أو إهمالها

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ التوبة(٣٥)

٦٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ[2] لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ، وَجَبِينُهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا، إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ[3]، كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ، تَسْتَنُّ عَلَيْهِ[4]، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ، وَمَا مِنْ صَاحِبِ

---

(١) عدل عنه وتركه.

(٢) من ذهب أو فضة أو غيرهما مما تجب فيه الزكاة من المعادن.

(٣) المستوي الواسع.

(٤) تمر عليه.

غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ فَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ[١] وَلَا جَلْحَاءُ[٢]، كُلَّمَا مَضَى عَلَيْهِ أُخْرَاهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» (م٩٨٨).

٨٩ـ امتناع المرأة عن فراش زوجها

٦٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَلَمْ تَأْتِهِ[٣]، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ» (خ٣٢٧٣ م١٤٣٦/ ١٢٢).

٩٠ـ إتيان الكهان والسحرة

٦٧- عَنْ صَفِيَّةَ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا[٤] فَسَأَلَهُ[٥] عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً[٦]» (م٢٢٣٠).

---

(١) ذات القرن الملتوي.

(٢) التي لا قرن لها.

(٣) من غير عذر صحيح.

(٤) العراف: الذي يدعي معرفة الضائعة.

(٥) ـ هذا إذا لم يصدقهم أما إن صدقهم فهو كفر.

(٦) أي: لا يكتب له أجر هذه المدة جزاء عمله مع وجوب الصلاة عليه.

٩١ـ لبس الرجل للحرير والذهب

٦٨ـ عن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: وَجَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حُلَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ تُبَاعُ بِالسُّوقِ، فَأَخَذَهَا، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، ابْتَعْ هَذِهِ فَتَجَمَّلْ بِهَا لِلْعِيدِ، وَلِلْوَفْدِ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا هَذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ[١]»، (خ٨٨٦) (م٢٠٨٦).

٩٢ـ الإلحاد في الحرم

٦٩ـ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى الله ثَلَاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ[٢] وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ[٣] وَمُطَّلِبُ[٤] دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ) (خ٦٨٨٢).

٩٣ـ محبة الشخص أن يقام له تعظيما

٧٠- عنْ أَبِي مِجْلَزٍ قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ - رضي الله عنهما - عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ وَابْنِ عَامِرٍ، فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ، وَجَلَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ عَامِرٍ: اجْلِسْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: " مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ[٥] مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ" رواه أبو داود ٥٢٢٩) وصححه الشيخان.

---

(١) نصيب.

(٢) مرتكب المعصية عمدًا وعدوانًا مع التكرار.

(٣) طريقة الجاهلية كالثارات القبلية.

(٤) متكلف المحاولة الحريص على القتل.

(٥) ليتخذ له منزلًا فيها، وهذا المنكر حاصل في المدارس والمعسكرات بكثرة.

٩٤-٩٧- الشحناء والتهاجر والتباغض والتدابر واحتقار المسلم

٧١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ(١)، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ(٢)، وَلَا تَحَسَّسُوا(٣)، وَلَا تَجَسَّسُوا(٤)، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا» (م٢٥٦٣/ ٢٥٦٤).

٧٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لا يَحِل لِمُسْلِمٍ أن يَهْجُرَ أخاه فَوقَ ثلاثٍ(٥)، فمَنْ هَجَرَ فَوقَ ثلاثٍ فماتَ، دَخَلَ النّارَ).

رواه أبو داود (٤٩١٤) وصححه الشيخان.

٧٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ(٦) أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» (م٢٥٦٤).

---

(١) الظن هنا بمعنى: التوهم والشك، لا بمعنى الظن الراجح.

(٢) لأنه يؤدي إلى الكذب والحكم بغير يقيْن.

(٣) التحسس: سماع حديث القوم دون رغبتهم.

(٤) تتبع أسرار الناس ورفعها إلى الولاة أو غيرهم.

(٥) ويستثنى من ذلك ما كان لمصلحة شرعية.

(٦) يكفيه أن يكون ظالمًا احتقاره أخاه المسلم.

٩٨ـ المجاهرة بالمعاصي والاصرار عليها

٧٤ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَاةٌ، إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ(١)، وَإِنَّ مِنَ الْإِجْهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ رَبُّهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ قَدْ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، فَيَبِيتُ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عَنْهُ " (خ٦٠٦٩)(م٢٩٩٠).

٩٩ـ الخصام في باطل والشفاعة في حد من حدود الله تعالى

٧٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله، فَقَدْ ضَادَّ اللهَّ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ الله حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ(٢) حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ" رواه أبو داود (٣٥٩٧) وصححه الشيخان.

١٠٠ـ تطفيف الميكال

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ(٣)*الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ *وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ المطففين (١-٢)

وقال سبحانه: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ*وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هود(٨٤ـ ٨٥). فأهلكهم الله لكفرهم وتطفيفهم الميزان.

(١) المعلنون بالمعاصي.

(٢) وهي مجمع عصارة أهل النار ونتنهم.

(٣) يفسرها ما بعدها.

باب التوبة تُكفّر ما كان قبلها

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ طه(٨٢)

٧٦- عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ، قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، يَبْكِي طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا؟ قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ، فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟» قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟» قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ[١] مَا كَانَ قَبْلَهُ؟ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا؟ وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟» (م١٢١).

٧٧- وعن عائشةَ رضي اللهُ عنها أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ) متفق عليه (خ ٢٦٦١) (م ٢٧٧٠) وهو قطعة من حديث الإفك.

(١) تُغفر فلا يبقى منها شيء.

باب فضل اجتناب الكبائر

قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ النساء(٣١).

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ[١] إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ النجم(٣٢)

٧٨- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ» (م٢٣٣/ ١٦)

لا يستهان بالصغائر

٧٩- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ[٢]، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ" وَإِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا: كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ[٣]، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، فَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا) رواه أحمد (٣٨١٨) وصححه الألباني.

٨٠- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» (خ ٦٤٨٧) (م ٢٨٢٢).

---

(١) الصغائر.

(٢) أي: ما تظنونه حقيرًا يسيرًا.

(٣) صنع طعامهم.

(خاتمة)

هذا آخر ما أردنا جمعه، ولله تعالى الحمد والمنة، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.

****

حواشي مختصرة

على

لامية الأقْفَهْسِي

رحمه الله تعالى (ت ٨٢٠ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فهذه حواشي مختصرة على قصيدة لامية الأقفَهسي رحمه الله تعالى، وهو عبارة عن تحليل لألفاظها باختصار.

ونسأل الله تعالى العون والسداد والقبول وحسن الختام

كتبه

أبو عبد الله المصنعي

ربيع الآخر ١٤٤٤

مكة المكرمة

****

ترجمة الأقفهسي

هو: خليل بن محمد بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الأقفهسى المصرى، المحدث المشهور.

ولد فى عشر السبعين وسبعمائة، وحبب إليه الحديث، فطلبه بجد فى حدود التسعين وسبعمائة، فسمع الكثير من الكتب والأجزاء بالقاهرة ومصر، على خلق كثير، وكان ماهرًا فى معرفة المتأخرين والمرويات والعوالى، مع بصارة فى المتقدمين ومشاركة فى الفقه والعربية، ومعرفة حسنة للفرائض والحساب والشعر، وله نظم كثير، وتخاريج حسنة مفيدة، وتوفي بمكة سنة (٨٢٠ هـ)

وأما عقيدته فإن صحت نسبت الأبيات الأخيرة إليه، فعنده تصوف، وقد حذفتها.

ترجمته في العقد الثمين (٤/ ٥٢)



نص اللامية

١- دَعِ التَّشَاغُلَ بِالْغِزْلَانِ وَالغَزَلِ	يَكْفِيكَ مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ الأَوَلِ
٢- ضَيَّعْتَ عُمْرَكَ لا دُنْيَا ظَفِرتَ بِهَا	وَكُنْتَ عَنْ صَالِحِ الأَعمَالِ فِي شُغُلِ
٣- تَرَكْتَ طُرُقَ الهُدَى كالشمسِ واضِحَةٍ	وَمِلْتَ عنها لِمُعْوَجٍّ مِنَ السُّبُلِ
٤- ولم تَكُنْ نَاظِرًا في أمْرِ عَاقِبَةٍ	أَأَنْتَ في غَفْلَةٍ أم أَنْتَ في خَبَلِ
٥- يَا عَاجِزًا يَتَمَادَى في مُتَابَعَةِ النَّـ	ـفْسِ اللجُوجِ ويَرْجُو أَكْرَمَ النُّزلِ
٦- هلا تَشَبَّهْتَ بالأكياسِ إِذْ فَطِنُوا	فَقَدَّمُوا خَيْرَ مَا يُرْجَى مِنَ العَمَلِ
٧- فَرَّطْتَ يَا صَاحِ فَاسْتَدْرِكْ عَلَى عَجَلٍ	إِنِ المَنِيَّةَ لا تَأْتِي عَلَى مَهَلِ
٨- هَلْ أَنْذَرَتْكَ يَقِينًا وَقْتَ زَوْرَتِهَا	أَوْ بَشَّرَتْكَ بِعُمْرٍ غَيْرِ مُنْفَصِلِ
٩- هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا الدُّنْيَا بِبَاقِيَةٍ	ولا الزَّمَانُ بِمَا أَمَّلْتَ فيه مَلِي
١٠- لا تَحْسَبَنَّ اللَيَالِي سَالَمَت أَحَدًا	صَفْوًا فَمَا سَالَمَتْ إلا على دَخَلِ
١١- ولا يَغُرَّنْكَ مَا أُولِيتَ مِنْ نِعَمٍ	فَهَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا غَيْرَ مُنْتَقِلِ
١٢- كَمْ مِنْ فَتَى جَبَرَتْهُ بَعْدَ كَسْرَتِهِ	فَقَابَلَتْهُ بِجُرْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِلِ
١٣- إِلَامَ تَرْفُلُ في ثَوْبِ الغُرُورِ عَلَى	بِسَاطِ لَهْوِكَ بَيْنَ التِّيهِ والجَذَلِ
١٤- والشَّيْبُ وَافَاكَ مِنْهُ نَاصِحٌ حَذِرٌ	فَمَا بِهِ كُنْتَ إلا غَيْرَ مُهْتَبِلِ
١٥- وَلَمْ تُرَعْ مِنْهُ بَلْ أَصْبَحْتَ تَنْشُدُهُ	إِنِّي أَتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ في عَذَلِ
١٦- وَسِرْتَ تَطْلُبُ حَظَّ النَّفْسِ مِنْ سَفَهٍ	فَبَهْجَةُ العُمْرِ قَدْ وَلَّتْ وَلَمْ تَصِلِ
١٧- وَمَالَ عَصْرُ التَّصَابِي مِنْكَ مُرْتَحِلاً	وأنتَ عَنْ جَانِبِ التَّسْوِيفِ لَمْ تَمِلِ
١٨- عَيبٌ لِمِثْلِكَ تَسْوِيفٍ عَلَى كِبَرٍ	وَحَالَةٌ عَنْ طَرِيقِ الغَيِّ لَمْ تَحُلِ
١٩- أَقْسَمْتُ بِاللهِ لو أَنْصَفْتَ نَفْسُكَ مَا	تَرَكْتَهَا بِاكْتِسَابِ الوِزْرِ في ثِقَلِ
٢٠- أَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ	عَلَى الضَّمَائِرِ وَالأَسْرَارِ والحِيَلِ

٢١- وكُــلُّ خَـــيْرٍ وَشَرٍّ أَنْـــتَ فَاعِلُــهُ ... يُحْصَى- ولَـو كُنْـتَ فِي الأَسْـتَارِ وَالكَلَـلِ

٢٢- أَمَــا اعْتَــبَرْتَ بِــتَرْدَادِ المَنُــونِ إلى ... هَــذِي الخَلِيقَــةِ فِي سَــهْلٍ وَفِي جَبَـلِ

٢٣- وَسَــوْفَ تَــاتِي بِــلا شَــكٍّ إِلَيْـكَ فَـمَا ... أَخَّــرْتَ عَمَّــنْ مَضَــى إلا إِلَى أَجَـلِ

٢٤- لكِنَّــهُ غَــيْرُ مَعْلُــومٍ لَــدَيْكَ فَخُــذْ ... بِــالحَزْمِ وانْهَـضْ بِعَـزْمٍ مِنْـكَ مُكْتَمِـلِ

٢٥- دَعِ البَطَالَــةَ وَالتَّفْــرِيطَ وَابْــكِ عــلى ... شَرْخِ الشَّــبَابِ الــذِي وَلَّى وَلَمْ يَطُــلِ

٢٦- وَلَمْ تُحَصِّــلْ بِــهِ عِلْــمًا ولا عَمَــلاً ... يُنْجِيـكَ مِـنْ هَـوْلِ يَـوْمِ الحَـادِثِ الجَلِلِ

٢٧- وَابْخَـلْ بِـدِينِكَ لا تَبْغِـي بـه عِوَضًـا ... وَلَــوْ تَعَــاظَمْ وَاحْــذَرْ بَيْعَـةَ السِّــفَلِ

٢٨- واتْــلُ الكِتَــابَ كِتَــابَ الله مُنْتَهِيًــا ... عَـــمَّا نَهَـــى وتَـــدَبَّرْهُ بِـــلا مَلَـــلِ

٢٩- وَكُــلُّ مَــا فِيْـهِ مِـن أَمْـرٍ عَلَيْـكَ بِـهِ ... فَهْـــوَ النَّجَـــاةُ لتَالِيـــهِ مِـــنَ الضُـــلَلِ

٣٠- وَلازِمِ السُّــنَّةَ الغَــرَّاءَ تَحْــظَ بِهَــا ... وَعَــدِّ عَــنْ طُــرُقِ الأَهْــوَاءِ واعْتَــزِلِ

٣١- وَجَانِـبِ الخَـوْضَ فِـيمَا لَسْـتَ تَعْلَمُـهُ ... وَاحْفَـظْ لِسَـانَكَ واحْـذَرْ فِتْنَـةَ الجَـدَلِ

٣٢- وكُنْ حَرِيصًا على كَسْـبِ الحَـلالِ وَلَـوْ ... حَمَّلْــتَ نَفْسُــكَ فِيْــه غَــيْرَ مُحْتَمَــلِ

٣٣- واقْنَـعْ تَجِـدْ غُنْيَـةً عـن كـل مَسْـأَلَةٍ ... فَفِـــي القَنَاعَـــةِ عِـــزٌّ غَـــيْرُ مُرْتَحِـــلِ

٣٤- واطْلُبْ مِـنَ الله واتْـرُكْ مَـنْ سِـوَاهُ تَجِـدْ ... مَـــا تَبْتَغِيـــهِ بِـــلا مَـــنٍّ وَلا بَـــدَلِ

٣٥- ولا تُــدَاهِنْ فَتــىً مِــنْ أَجْـلِ نِعْمَتِـهِ ... يَوْمًــا وَلَــوْ نِلْــتَ مِنْـهُ غَايَـةَ الأَمَـلِ

٣٦- واعْمَـلْ بِعِلْمِـكَ لا تَهْجُـرْهُ تَشْـقَ بِـهِ ... وانْشُرْـهُ تَسْـعَدْ بِـذِكْرٍ غَـيْرِ مُنْخَـذِلِ

٣٧- وَمَـن أَتَـى لَـكَ ذَنْبًـا فَـاعْفُ عَنْـهُ وَلا ... تَحْقِـــدْ عَلَيْـــهِ وفي عُتْبَـــاهُ لا تَطُـــلِ

٣٨- عَسَــاكَ بِــالعَفْوِ أَنْ تُجْـزَى إذَا نُشِرَـتْ ... صَـحَائِفٌ لَـكَ مِنْهَـا صِرْتَ فِي خَجَـلِ

٣٩- وَلَا تَكُـنْ مُضْـمِرًا مَـا لَسْـتَ تُظْهِـرُهُ ... فَــذَاكَ يَقْــبحُ بَــيْنَ النَّــاسِ بالرَّجُـلِ

٤٠- ولا تَكُــنْ آيِسًــا وارْجُ الكَــرِيمَ لِمَــا ... أَسْـلَفْتَ مِـنْ زَلَّـةٍ لَكِـنْ عَـلَى وَجَـلِ

٤١- وَقِـفْ عَـلَى بَابِـهِ المَفْتُـوحِ مُنْكَسِرًـا ... تَجْـزِمْ بِتَسْكِينِ مَـا فِي الـنَّفْسِ مِـن عِلَـلِ

٤٢- وارْفَـعْ لَـهُ قِصَّـةَ الشَّـكْوَى وسَـلْهُ إِذَا ... جُــنَّ الظَّــلامُ بِقَلْــبٍ غَــيْرِ مُشْــتَغِلِ

٤٣- ولازِمِ البَـابَ واصْـبِرْ لا تَكُـنْ عَجِـلاً	واخْضَـعْ لَـهُ وتَـذَلَّلْ وَادْعُ وابْتَهِـلِ
٤٤- وَنَـادِ يَـا مَـالِكِي قَـدْ جِئْـتُ مُعْتَـذِرًا	عَسَـاكَ بِـالعَفْوِ والغُفْـرَانِ تَسْـمَحُ لِي
٤٥- فَـإِنَّنِي عَبْـدُ سِـوْءٍ قَـدْ جَنَـى سَـفَهًا	وَضَـيَّعَ العُمْـرَ بَـيْنَ النَّـومِ والكَسَـلِ
٤٦- وغَـرَّهُ الحِلْـمُ والإِمْهَـالُ مِنْـكَ لَـهُ	حَتَّـى غَـدَا فِي المَعَـاصِي غَايَـةَ المُثُـلِ
٤٧- وَلَـيْسَ لِي غَـيْرُ حُسْـنِ الظَّـنِّ فِيـكَ فَـإِنْ	رَدَدْتَنِـي فَشَـقَاءٌ كَـانَ فِي الأَزَلِ
٤٨- حَاشَـاكَ مِـنْ رَدِّ مِـثْلِي خَائِبًـا جَزِعًـا	والعَفْـوُ أَوْسَـعُ يَـا مَـوْلايَ مِـنْ زَلَـلِي
٤٩- وَلَمْ أَكُـنْ بِـكَ يَومًـا مُشْـرِكًا وإلى	ديـنٍ سِـوَى دينـكَ الإِسْـلامِ لَمْ أَمِـلِ
٥٠- وكَـانَ ذَلـكَ فَضْـلاً مِنْـكَ جُـدْتَ بِـهِ	وَلَـيْسَ ذَاكَ بِسَـعْيِي كَـانَ مِـنْ قِـبَلِي
٥١- فَـتَمِّمِ النعمـةَ العُظمـى بخاتمـةٍ	حُسنى وَجُـدْ بعـدَ هـذا النَّهْـلِ بالعَلَـلِ
٥٢- واجْعَـلْ مَقَـالِيَ مَضْـمُومًا إلى عَمَـلٍ	تَـرضَى بِـهِ دائِـمًا بِـالمَوتِ مُتَّصِـلِ
٥٣- إنْ لم أفُـزْ بِهِـا أنشَـدتُ في خَجِـلٍ	أسـتغفرُ اللهَ مِـن قَـولٍ بـلا عَمَـلِ(١)



(١) وفي نسخة العقد الثمين زيادة في آخر القصيدة خمسة أبيات، وفيها مؤاخذات عقدية، ومخالفات صوفية من الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم. وهي كالتالي..

فشافعى أحمد الهادى إليك فما ... سرى إلى غيره فكرى ولا أملى

لأنه الشافع المقبول منه إذا ... لاذ الخلائق يوم الفصل بالرسل

وهو الذى من أتاه واستجار به ... يظفر بجار بحفظ الجار محتفل

ومن أناخ به يرجو فواضله ... أعطاه فوق الّذى يرجو من النحل

فهو الكريم الذى فاضت يداه ندا ... حتى لقد هزأت بالعارض الهطل.

١- دَعِ التَّشَاغُلَ بِالْغِزْلَانِ وَالغَزَلِ	يَكْفِيكَ مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ الأَوَلِ
٢- ضَيَّعْتَ عُمْرَكَ لا دُنْيَا ظَفْرِتَ بِهَا	وَكُنْتَ عَنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ في شُغُلِ

التعليق:

١- قوله: (دَعِ التَّشَاغُلَ بالْغِزْلَانِ وَالغَزَلِ) التشاغل: اللهو والتغافل.

والغزلان: كناية عن الصيد.

والغزل: ذكر محاسن النساء والتشبب بهن.

قوله: (يَكْفِيكَ) في الخوف من الحساب.

(مَا ضَاعَ مِنْ أَيَّامِكَ الأَوَلِ) ما فات من عمرك بلا طاعة، أو في معصية.

٢- قوله: (ضَيَّعْتَ عُمْرَكَ لا دُنْيَا ظَفْرِتَ بِهَا) ظفرت بها: فزت بنيلها، ولو نالها بالحرام فهو شر من ضياعها.

(وَكُنْتَ عَنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ في شُغُلِ) في شغل: منشغل باللهو واللعب.



٣- تَرَكْتَ طُرْقَ الهُدَى كالشمسِ واضِحَةٍ	وَمِلْتَ عنها لِمُعْوَجٍّ مِنَ السُّبُلِ
٤- ولِم تَكُنْ نَاظِرًا في أمْرِ عَاقِبَةٍ	أَأَنْتَ في غَفْلَةٍ أم أَنْتَ في خَبَلِ

التعليق:

٣- قوله: (تَرَكْتَ طُرْقَ الهُدَى كالشمسِ واضِحَةٍ) الهدى: السبيل الموصل إلى الله تعالى.

وهو الكتاب والسنة. واضحة: لا شبهة ولا غموض فيها.

(وَمِلْتَ عنها لِمُعْوَجٍّ مِنَ السُّبُلِ) الميل: الخروج عن الطريق المستقيم، والمعوج نحوه.

السبل: الطرق، والمعوج منها طرق الضلال والعصيان.

٤- قوله (وِلِم تَكُنْ نَاظِرًا) بقلبك.

(في أمْرِ عَاقِبَةٍ) العاقبة: نهاية الأمر وما ينتج عنه، والمراد هنا: الجنة أو النار.

(أَأَنْتَ في غَفْلَةٍ) الغافل: غير اليقظ، اللاهي بغير المطلوب منه، ويطلق على الساهي.

(أم أَنْتَ في خَبَلِ) خبل: نقص العقل، ويطلق أيضا على الجنون.



٥- يَـا عَـاجِزًا يَـتَمَادَى فِي مُتَابَعَـةِ النَّـ	ـنَفْسِ اللجُـوجِ ويَرْجُـو أَكْـرَمَ النُّـزلِ
٦- هِـلا تَشَـبَّهْتَ بالأكيـاسِ إِذْ فَطِنُـوا	فَقَـدَّمُوا خَـيْرَ مَـا يُرْجَـى مِـنَ العَمَـلِ

التعليق:

٥- قوله: (يَا عَاجِزًا) العجز: انتفاء القدرة، أو الضعف، والمراد هنا من يدعي العجز والكسل. (يَتَمَادَى) التمادي: الاستمرار.

(فِي مُتَابَعَةِ النَّفْسِ اللجُوجِ) اللجوج: المصرة والمجادلة، يعني: الأمارة بالسوء.

(ويَرْجُو أَكْرَمَ النُّزلِ) بالجنة، وهذه أماني كاذبة.

٦- قوله: (هِلا تَشَبَّهْتَ بالأكياسِ) جمع كيِّس بفتح الكاف وتشديد الياء: وهو الفطن الذكي.

(إِذْ فَطِنُوا) فهموا ما يراد منهم.

(فَقَدَّمُوا خَيْرَ مَا يُرْجَى مِنَ العَمَلِ) وهو الخالص لله تعالى الموافق للسنة، مع الإكثار منه.



٧- فَرَّطْتَ يَا صَاحِ فَاسْتَدْرِكْ عَلَى عَجَلٍ	إن المَنِيَّةَ لا تَأْتِي عَلَى مَهَلِ
٨- هَلْ أَنْذَرَتْكَ يَقِينًا وَقْتَ زَوْرَتِهَا	أَوْ بَشَّرَتْكَ بِعُمْرٍ غَيْرِ مُنْفَصِلِ

التعليق:

٧- قوله: (فَرَّطْتَ) تركت التوبة والعمل الصالح وهو ميسور لك.

(يَا صَاحِ) يا صاحبي.

(فَاسْتَدْرِكْ عَلَى عَجَلٍ) بادر بالتوبة والعمل الصالح.

(إِن المَنِيَّةَ) الموت.

(لا تَأْتِي عَلَى مَهَلِ) مهل: بطئ بحيث يعرف قبل وصولها. بل تأتي بغتة.

٨- قوله: (هَلْ أَنْذَرَتْكَ) المنية (يَقِينًا) بخبر يقين (وَقْتَ زَوْرَتِهَا) وقت مجيئها لقبض روحك!

الجواب: لا.

(أَوْ بَشَّرَتْكَ بِعُمْرٍ غَيْرِ مُنْفَصِلِ) لا يقطعه الموت. الجواب: لا.



٩- هَيْهَـاتَ هَيْهَـاتَ مَـا الـدُّنْيَا بِبَاقِيَـةٍ	ولا الزَّمَـانُ بِـمَا أَمَّلْـتَ فيـه مَـلي
١٠- لا تَحْسَـبَنَّ الليَـالِي سَـالمَت أَحَـدًا	صَـفْوًا فَـمَا سَـالمَتْ إِلا عـلى دَخَـلِ

التعليق:

٩- قوله: (هَيْهَات هَيْهَاتَ) اسم فاعل بمعنى بَعُد، بضم العين.

(مَا الدُّنْيَا بِبَاقِيَةٍ) باقية: مخلدة. (ولا الزَّمَانُ) الأيام والليالي، والمراد: ما قدره الله تعالى فيها.

(بِمَا أَمَّلْتَ) من الحصول عليه من الدنيا.

(فيه مَلي) ملي: مليء وهو الغني، والمعنى: ليس في الزمان ما تمنيت بل سيقطعك الموت قبل بلوغ كل أمانيك، فلا تغتر.

١٠- قوله: (لا تَحْسَبَنَّ اللَيَالِي سَالمَت أَحَدًا صَفْوًا) صفوا: بلا كدر ومحن، من الصفاء.

(فَمَا سَالمَتْ) أحياناً.

(إِلا على دَخَلِ) دخل: شوائب، فلا بد من عوائق وكدر ومصائب كما هي عادة الدنيا.



١١- ولا يَغُرَّنْـكَ مَـا أُولِيـتَ مِـنْ نِعَـمٍ فَهَـلْ رَأَيْـتَ نَعِـيمًا غَـيْرَ مُنْتَقِـلِ
١٢- كَـمْ مِـن فَتَـى جَبَرَتْـهُ بَعْـدَ كَسْرَـتِهِ فَقَابَلَتْـهُ بِجُـرْحٍ غَـيْرِ مُنْـدَمِلِ

التعليق:

١١- قوله: (ولا يَغُرَّنْكَ) لا يخدعنك.

(مَا أُولِيتَ مِنْ نِعَمٍ) ما لديك من نعم كثيرة، أمن وجاه وقوت ومسكن وولد وغيرها، لا تغتر بها وتنسى ربك وشكره.

(فَهَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا غَيْرَ مُنْتَقِلِ) مصير جميع النعم إلى زوال.

١٢- قوله: (كَمْ مِن فَتَى جَبَرَتْهُ بَعْدَ كَسْرَتِهِ) تحسن حاله ومعيشته بعد فقر وذلة وعناء.

(فَقَابَلَتْهُ بِجُرْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِلِ) أي: ابتلي بعد حسن الحال بظروف صعبة لا مخرج منها. وغير مندمل: لا يصلح ولا يشفى.

****

١٣- إِلَامَ تَرْفُـلُ فِي ثَـوْبِ الغُـرُورِ عَـلَى بِسَـاطِ لَهْـوِكَ بَـيْنَ التِّيـهِ والجَـذَلِ
١٤- والشَّـيْبُ وَافَـاكَ مِنْـهُ نَاصِـحٌ حَـذِرٌ فَـمَا بِـهِ كُنْـتَ إلا غَـيْرَ مُهْتَبِـلِ
١٥- وَلَمْ تُـرَعْ مِنْـهُ بَـلْ أَصْـبَحْتَ تَنْشُـدُهُ إِنِّي أَتَّهَمْـتُ نَصِـيحَ الشَّـيْبِ فِي عَـذَلِ

التعليق:

١٣- قوله: (إِلَامَ تَرْفُلُ) تمشي متبخترًا، غير مبال بالعواقب.

(فِي ثَوْبِ الغُرُورِ) الكبر.

(عَلَى بِسَاطِ لَهْوِكَ) بساط بكسر الباء، ما يفرش من القماش.

وهذا تشبيه للمغرور بلهوه. (بَيْنَ التِّيهِ والجَذَلِ) التيه: بكسر التاء الكبر والاغترار، والجذل: يريد الفرح المذموم.

١٤- قوله: (والشَّيْبُ وَافَاكَ مِنْهُ نَاصِحٌ حَذِرٌ) لأن نذير بقرب الأجل.

(فَمَا بِهِ كُنْتَ إلا غَيْرَ مُهْتَبِلِ) غير مغتنم ولا مشتغل بشأنك، وتأتي مهتبل بمعنى كذاب وبمعنى مختل، فلعله هكذا (غِر) بحذف الياء.

١٥- قوله: (وَلَمْ تُرَعْ مِنْهُ) لم تخف منه. (بَلْ أَصْبَحْتَ تَنْشُدُهُ) تقول فيه منشدًا.

(إِنِّي أَتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلِ) العذل: الخذلان، والمعنى: يريد الشيب خذلاني عما أريد من اللهو.



١٦- وَسِرْتَ تَطْلُبُ حَظَّ النَّفْسِ مِنْ سَفَهٍ	فَبَهْجَةُ العُمْرِ قَدْ وَلَّتْ وَلَمْ تَصِلِ
١٧- وَمَالَ عَصْرُ التَّصَابِي مِنْكَ مُرْتَحِلاً	وأنتَ عَنْ جَانبِ التَسْويفِ لَمْ تَمِلِ
١٨- عيبٌ لِمِثْلِكِ تَسويفٍ عَلَى كِبَرٍ	وَحَالَةٌ عَنْ طَرِيقِ الغَيِّ لَمْ تَحُلِ

التعليق:

١٦- قوله: (وَسِرْتَ تَطْلُبُ حَظَّ النَّفْسِ مِنْ سَفَهٍ) السفه: سوء التصرف، وضعف العقل والطيش.

(فَبَهْجَةُ العُمْرِ) وقت الشباب والقوة.

(قَدْ وَلَّتْ) ذهبت.

(وَلَمْ تَصِلِ) لم تنال ما كنت تتمناه، والأمل يقطعه الأجل.

١٧- قوله: (وَمَالَ عَصْرُ التَّصَابِي) زمن الشباب الذي يكثر فيه الطيش والتشبه بالصبيان في قلة الحزم والحكمة.

(مِنْكَ مُرْتَحِلاً) ارتحل وجاء الشيب.

(وأنتَ عنْ جَانبِ التَسْوِيفِ لَمْ تَمِلِ) حالة التسويف وتأخير التوبة.

(لم تمل) لم تتنقل إلى الجد والتوبة.

قوله: (عيبٌ لِمِثْلِكِ تَسويفٍ عَلَى كِبَرٍ) لأن الكبير غالبًا يميل إلى التوبة والعبادة.

(وَحَالَةٌ عَنْ طَرِيقِ الغَيِّ) الغي: ضد الهدى. (لَمْ تَحُلِ) لم تتحول.



١٩- أَقْسَمْتُ بِاللهِ لو أَنْصَفْتَ نَفْسُكَ مَا تَرَكْتَهَا بِاكْتِسَابِ الوِزْرِ فِي ثِقَلِ
٢٠- أَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَى الضَّمَائِرِ وَالأَسْرَارِ والحِيَلِ
٢١- وكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ أَنْتَ فَاعِلُهُ يُحْصَى ـ وَلَو كُنْتَ فِي الأَسْتَارِ وَالكَلَلِ

التعليق:

١٩- قوله: (أَقْسَمْتُ بِاللهِ لو أَنْصَفْتَ نَفْسُكَ) بأن أعطيتها ما يجب لها، ومنعتها مما لا يجوز.

(مَا تَرَكْتَهَا بِاكْتِسَابِ الوِزْرِ) الإثم.

(فِي ثِقَلِ) تحمله يوم القيامة.

٢٠- قوله: (أَمَا عَلِمْتَ بِأَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَى الضَّمَائِرِ) القلوب.

(وَالأَسْرَارِ) ما تخفيه عن الغير. (والحِيَلِ) التي تفعلها سرًّا للوصول إلى الحرام.

٢١- قوله: (وكُلُّ خَيْرٍ وَشَرٍّ أَنْتَ فَاعِلُهُ) في السر أو العلن.

(يُحْصَى) يكتب.

(وَلَو كُنْتَ فِي الأَسْتَارِ) خلف الأستار لا يراك الناس.

(وَالكَلَلِ) كأن معناه الحصون والقصور، أو الحلل.

****

٢٢- أَمَــا اعْتَــبَرْتَ بِــتَرْدَادِ المَنُــونِ إلى ... هَــذِي الخَلِيقَــةِ في سَــهْلٍ وَفِي جَبَــلِ
٢٣- وَسَــوْفَ تَـاتِي بِـلا شَـكٍّ إليـكَ فَـمَا ... أَخَّــرْتَ عَمَّــنْ مَضَى ـ إلا إلى أَجَــلِ
٢٤- لكِنَّـهُ غَـيْرُ مَعْلُــومٍ لَـدَيْكَ فَخُـذْ ... بـالحزْمِ وانْهَـضْ بِعَـزْمٍ مِنْـكَ مُكْتَمِـلِ

التعليق:

٢٢- قوله: (أَمَا اعْتَبَرْتَ) اتعظت. (بِتَرْدَادِ المَنُونِ) الموت.

(إلى هَذِي الخَلِيقَةِ) الخلق.

(في سَهْلٍ وَفِي جَبَلِ) فلا يتأخر أحد عن أجله أينما كان.

٢٣- قوله: (وَسَوْفَ تَأْتِي بِلا شَكٍّ إليكَ) حين يحل أجلك.

(فَمَا أَخَّرْتَ عَمَّنْ مَضَى) ممن مات قبلك.

(إلا إلى أَجَلِ) قد كتب لك.

٢٤- قوله: (لكِنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ لَدَيْكَ) لأنه غيب.

(فَخُذْ بالحزْمِ) الحزم: ضبط الأمر والأخذ بالثقة والاحتياط.

(وانْهَضْ بِعَزْمٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ) باجتهاد تام كامل.

****

٢٥- دَعِ البَطَالَـةَ وَالتَّفْـرِيطَ وَابْـكِ عـلى شَرْخِ الشَّـــبَابِ الـــذي وَلَّى وَلَمَ يَطُـــلِ
٢٦- وَلَمَ تُحَصِّـــلْ بِـــهِ عِلْـــمًا ولا عَمَـــلاً يُنْجِيـكَ مِـنْ هَـوْلِ يَـوْمِ الحَـادِثِ الجَلِـلِ

التعليق:

٢٥- قوله: (دَعِ البَطَالَةَ) الضياع للوقت وتتبع ما لا ينفع، والترهات، وغيرها من الباطل.

(وَالتَّفْرِيطَ) التقصير في الواجبات والنوافل.

(وَابْكِ على شَرْخِ الشَّبَابِ) أول الشباب.

(الذي وَلَّى) ذهب وأنت غافل.

(وَلَمَ يَطُلِ) ذهب بسرعة.

٢٦- قوله: (وَلَمَ تُحَصِّلْ بِهِ عِلْمًا) علم الكتاب والسنة.

(ولا عَمَلاً) صالحًا (يُنْجِيكَ مِنْ هَوْلِ) مخاوف عظيمة وأحداث.

(يَوْمِ الحَادِثِ الجَلِلِ) يوم القيامة، والجلل: العظيم الخطير.

****

٢٧- وَابْخَـل بِـدِينكَ لا تَبْغِـي بـه عِوَضًـا — وَلَـوْ تَعَـاظَمْ وَاحْـذَرْ بَيْعَـةَ السِّـفَلِ
٢٨- واتْـلُ الكِتَـابَ كِتِـابَ الله مُنْتَهِيًـا — عَـمَّا نَهَـى وتَـدَبَّرْهُ بِـلا مَلَـلِ
٢٩- وَكُـلُّ مَـا فِيْـهِ مِـن أَمْـرٍ عَلَيْـكَ بِـهِ — فَهْـوَ النَّجَـاةُ لتَاليـهِ مِـنَ الضُّـلَلِ

التعليق:

٢٧- قوله: (وَابْخَل بِدِينكَ) لا تبذله وتتنازل عنه، أو عن بعضه.

(لا تَبْغِي به عِوَضًا) من الدنيا.

(وَلَوْ تَعَاظَمْ) ولو كان عظيم الحجم كالمال الكثير أو الجاه الرفيع.

(وَاحْذَرْ بَيْعَةَ السِّفَلِ) بيع الدين لأجل متاع الدنيا من فعل السفل، بكسر السين، وهم: الغوغاء، وبفتح السين الأنذال. ومن ذلك أن يبيع المسلم دينه للصوفية أو الشيعة أو الحزبية أو الشرك وأهله.

٢٨- قوله: (واتْلُ الكِتَابَ) تلاوة مع تدبر.

(كِتِابَ الله مُنْتَهِيًا عَمَّا نَهَى) نهى عن ترك الواجب وعن فعل المحرم.

(وتَدَبَّرْهُ) تفَهَّم معانيه. (بِلا مَلَلِ) فتور وكسل.

٢٩- قوله: (وَكُلُّ مَا فِيْهِ مِن أَمْرٍ عَلَيْكَ بِهِ ... فَهْوَ النَّجَاةُ) في الدنيا والآخرة.

(لتَاليهِ) القارئ العامل به. (مِنَ الضُّلَلِ) الضلل: جمع ضلالة.

****

٣٠- وَلازِمِ السُّـــنَّةَ الغَـــرَّاءَ تَحْـــظَ بِهَـــا وَعَـــدِّ عَـــنْ طُـــرُقِ الأَهْـــوَاءِ واعْتَـــزِلِ

٣١- وَجَانِـبِ الخَـوْضَ فِـيمَا لَسْـتَ تَعْلَمُـهُ وَاحْفَـظْ لِسَـانَكَ واحْـذَرْ فِتْنَـةَ الجَـدَلِ

التعليق:

٣٠- قوله: (وَلازِمِ السُّنَّةَ) طريق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية، عقيدة وعملًا.

(الغَرَّاءَ) البيضاء الواضحة.

(تَحْظَ بِهَا) تنال شرف الاتباع لها.

(وَعَدِّ) تجاوز وأعرض.

(عَنْ طُرُقِ الأَهْوَاءِ) البدع وأهلها.

(واعْتَزِلِ) تباعد عنها واهجرها.

٣١- قوله (وَجَانِبِ الخَوْضَ فِيمَا لَسْتَ تَعْلَمُهُ) لأن ذلك تخرص بلا علم وهو مذموم.

(وَاحْفَظْ لِسَانَكَ) من الخوض بالباطل أو بجهل.

(واحْذَرْ فِتْنَةَ الجَدَلِ) الجدل بغير حق أو في غير موضعه فتنة قد تؤدي بصاحبها إلى غرق في بحر الضلال.

****

٣٢- وكُنْ حَرِيصًا على كَسْب الحَلَالِ وَلَـوْ حَمَّلْـتَ نَفْسُـكَ فِيْـه غَـيْرَ مُحْتَمـلِ

٣٣- واقنَـعْ تَجِـدْ غُنْيَـةً عـن كـل مَسْـأَلَةٍ فَفِـي القَنَاعَـةِ عِـزٌّ غَـيْرُ مُرْتَحِـلِ

٣٤- واطْلُبْ مِنَ الله واتْرُكْ مَنْ سِـوَاهُ تَجِـدْ مَـا تَبْتَغِيـهِ بِـلا مَـنٍّ وَلاَ بَـدَلِ

التعليق:

٣٢- قوله: (وكُنْ حَرِيصًا على كَسْب الحَلَالِ) ما يجوز كسبه، ولا يشغل عن العمل للآخرة.

(وَلَوْ حَمَّلْتَ نَفْسكَ فِيْه) من المشقة في طلبه.

(غَيْرَ مُحْتَملِ) المشقة التي يصعب تحملها، فذلك أهون من السؤال.

٣٣- قوله (واقنَعْ تَجِدْ غُنْيَةً) ما تستغني به.

(عن كل مَسْأَلَةٍ) عن طلب الناس مال أو غيره.

(فَفِي القَنَاعَةِ عِزٌّ) عزة النفس وشرفها في القناعة.

(غَيْرُ مُرْتَحِلِ) دائم مستقر.

٣٤- قوله: (واطْلُبْ مِنَ الله واتْرُكْ مَنْ سِوَاهُ) بالدعاء وبذل السبب.

(تَجِدْ مَا تَبْتَغِيه) من الرزق.

(بِلا مَنٍّ) تذل بسببه.

(وَلاَ بَدَلِ) يطلب منك، لأن عطاء الله تعالى واسع، وهو الكريم الرحيم.



٣٥- ولا تُـدَاهِنْ فَتـىً مِـنْ أَجْـلِ نِعْمَتِـهِ	يَوْمًـا وَلَـوْ نِلْـتَ مِنْـهُ غَايَـةَ الأَمَـلِ
٣٦- واعْمَـلْ بِعِلْمِـكَ لا تَهْجُـرْهُ تَشْـقَ بِـهِ	وانْشُرْـهُ تَسْـعَدْ بِـذِكْرٍ غَـيْرِ مُنْخَـذِلِ

التعليق:

٣٥- قوله: (ولا تُدَاهِنْ) المداهنة: إظهار خلاف الباطن، ومجاملة صاحب الباطل خوفًا أو طمعًا.

(فَتىً مِنْ أَجْلِ نِعْمَتِهِ) ماله أو جاهه أو غيرهما.

(يَوْمًا وَلَوْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الأَمَلِ) أعلى ما تمنيت، والواقع أن المداهن منبوذ غالباً.

٣٦- قوله: (واعْمَلْ بِعِلْمِكَ) فالعلم يطلب للعمل.

(لا تَهْجُرْهُ) بترك العمل أو بنسيانه.

(تَشْقَ بِهِ) فيكون حجة عليك وهذا هو الشقاء وسبب العذاب.

(وانْشُرْهُ) بالتعليم والتأليف والدعوة.

(تَسْعَدْ بِذِكْرٍ) تسعد بثناء حسن. (غَيْرِ مُنْخَذِلِ) غير منقطع ولا متروك، بل يتكرر ما تكرر علمك.



٣٧- وَمَن أَتَـى لَـكَ ذَنْبًـا فَـاعْفُ عَنْـهُ وَلا تَحْقِـــدْ عَلَيْـــهِ وفي عُتْبَـــاهُ لا تَطُـــلِ

٣٨- عَسَـاكَ بِـالعَفْوِ أَنْ تُجْـزَى إِذَا نُشِرَـتْ صَـحَائِفٌ لَـكَ مِنْهَـا صِرْتَ في خَجَـلِ

٣٩- وَلَا تَكُـنْ مُضْـمِرًا مَـا لَسْـتَ تُظْهُـرُهُ فَـذَاكَ يَقْـبحُ بَـيْنَ النَّـاسِ بالرَّجُـلِ

التعليق:

٣٧- قوله: (وَمَن أَتَى لَكَ ذَنْبًا) أساء إليك.

(فَاعْفُ عَنْهُ وَلا تَحْقِدْ عَلَيْهِ) لأن العفو أولى بالكريم.

(وفي عُتْبَاهُ لا تَطُلِ) العتبى: الحساب على الخطأ بالقول. وكثرته تذهب المودة.

٣٨- قوله: (عَسَاكَ بِالعَفْوِ أَنْ تُجْزَى) يوم القيامة.

(إِذَا نُشِرَتْ صَحَائِفٌ لَكَ) فيها ذنوب.

(مِنْهَا صِرْتَ فِي خَجَلِ) حياء من الله تعالى.

٣٩- قوله (وَلَا تَكُنْ مُضْمِرًا مَا لَسْتَ تُظْهُرُهُ) لا تخفي خلاف ظاهرك فذاك من النفاق، ما لم تضطر للمدارة لدفع شر.

(فَذَاكَ يَقْبحُ بَيْنَ النَّاسِ بالرَّجُلِ) تقدم أن هذا خلق ذميم، وليس منه كتم الأسرار.

****

٤٠- ولا تَكُــنْ آيِسًــا وارْجُ الكَــرِيمَ لِمَـا	أَسْــلَفْتَ مِــنْ زَلَّــةٍ لَكِــنْ عَــلَى وَجَــلِ
٤١- وَقِــفْ عَــلَى بَابِــهِ المَفْتُــوحِ مُنْكَسِرًــا	تَجْــزِمْ بِتَسْــكِينِ مَــا فِي الــنَّفْسِ مِــن عِلَــلِ
٤٢- وارْفَــعْ لَــهُ قِصَّــةَ الشَّــكوَى وسَــلْهُ إِذَا	جُــنَّ الظَّــلامُ بِقَلْــبٍ غَــيْرِ مُشْــتَغِلِ

التعليق:

٤٠- قوله: (ولا تَكُنْ آيِسًا) اليأس: قطع الأمل، وهو القنوط.

(وارْجُ الكَرِيمَ) الرجاء ضد اليأس، وهو قوة الأمل وعدم القنوط. والكريم هو الله تعالى.

(لِمَا أَسْلَفْتَ مِنْ زَلَّةٍ) ذنب.

(لَكِنْ عَلَى وَجَلِ) على خوف، لأن الذنوب تحت المشيئة.

٤١- قوله: (وَقِفْ عَلَى بَابِهِ المَفْتُوحِ) بالدعاء والتضرع. (مُنْكَسِرًا) خاشعًا.

(تَجْزِمْ بِتَسْكِينِ) كأن معناه: تطمئن وترجو علاج عللك.

(مَا فِي النَّفْسِ مِن عِلَلِ) كأن معناه: من مرض أو فقر أو كرب.

٤٢- قوله (وارْفَعْ لَهُ قِصَّةَ الشَّكوَى) تشكو بدعائك وتطلب تفريج همك.

(وسَلْهُ إِذَا جُنَّ الظَّلامُ) في الثلث الأخير.

(بِقَلْبٍ) حاضر. (غَيْرِ مُشْتَغِلِ) غير ساهٍ لاهٍ.

****

٤٣- ولازِمِ البَابَ واصْبِرْ لا تَكُنْ عَجِلاً	واخْضَعْ لَهُ وتَذَلَّلْ وَادْعُ وابْتَهِلِ
٤٤- وَنَادِ يَا مَالِكِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا	عَسَاكَ بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ تَسْمَحُ لِي

التعليق:

٤٣- قوله: (ولازِمِ البَابَ) باب الدعاء، تشبيه بمن يلازم باب بيت ليفتح له.

(واصْبِرْ لا تَكُنْ عَجِلاً) داوم على الدعاء ولا تستعجل الإجابة.

(واخْضَعْ لَهُ) انقاد بقلبك وجوارحك.

(وتَذَلَّلْ) أظهر حاجتك إليه.

(وَادْعُ وابْتَهِلِ) الابتهال: الاجتهاد في الدعاء.

٤٤- قوله: (وَنَادِ يَا مَالِكِي قَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرًا) تائبًا.

(عَسَاكَ بِالعَفْوِ والغُفْرَانِ تَسْمَحُ لِي) تيسر حسابي ولا تعاقبني بذنوبي.

****

٤٥ - فَـإِنَّنِي عَبْـدُ سِـوْءٍ قَـدْ جَنَـى سَـفَهًا وَضَـيَّعَ العُمْـرَ بَـيْنَ النَّـومِ والكَسَـلِ
٤٦ - وغَـرَّهُ الحِلْـمُ والإِمْهَـالُ مِنْـكَ لَـهُ حَتَّـى غَـدَا في المَعَـاصِي غَايَـةَ المُثُـلِ
٤٧ - وَلَيْسَ لِي غَـيْرُ حُسْـنِ الظَّـنِّ فِيـكَ فَـإِنْ رَدَدْتَنِـي فَشَـقَاءٌ كَـانَ فِي الأَزَلِ

التعليق:

٤٥ - قوله (فَإِنَّنِي عَبْدُ سِوْءٍ) ساءت أعماله.

(قَدْ جَنَى سَفَهًا) أذنب حال ضعف إيمانه وعقله.

(وَضَيَّعَ العُمْرَ بَيْنَ النَّومِ والكَسَلِ) الكسل: الفتور في أداء الطاعة وغيرها.

٤٦ - قوله: (وغَرَّهُ) انخدع وتمادى.

(الحِلْمُ والإِمْهَالُ مِنْكَ لَهُ) الصبر وتأخير العقوبة.

(حَتَّى غَدَا في المَعَاصِي غَايَةَ المُثُلِ) يضرب به المثل لكثرة ذنوبه.

٤٧ - قوله (وَلَيْسَ لِي غَيْرُ حُسْنِ الظَّنِّ فِيكَ) وعلامة حسن الظن التوبة وحسن العمل.

(فَإِنْ رَدَدْتَنِي) لم تقبل توبتي لقصورها.

(فَشَقَاءٌ كَانَ فِي الأَزَلِ) قدر علي الشقاء عند كتابة المقادير بسبب عدم أهليتي للخير.



٤٨- حَاشَاكَ مِنْ رَدِّ مِثْلِي خَائِبًا جَزِعًا والعَفْوُ أَوْسَعُ يَا مَوْلايَ مِنْ زَلَلِي
٤٩- وَلَمْ أكُنْ بِكَ يَومًا مُشْرِكًا وإلى دِينٍ سِوَى دِينكَ الإِسْلامِ لَمْ أَمِلِ
٥٠- وكَانَ ذَلكَ فَضْلاً مِنْكَ جُدْتَ بِهِ وَلَيْسَ ذَاكَ بِسَعْيِي كَانَ مِنْ قِبَلِي

التعليق:

٤٨- قوله: (حَاشَاكَ) كلمة اعتذار واستثناء.

(مِنْ رَدِّ مِثْلِي) ممن يرجوك.

(خَائِبًا) محرومًا. (جَزِعًا) شديد الحزن.

(والعَفْوُ أَوْسَعُ يَا مَوْلايَ مِنْ زَلَلِي) من ذنوبي، والله تعالى لا يتعاظمه شيء.

٤٩- قوله: (وَلَمْ أكُنْ بِكَ يَومًا مُشْرِكًا) الشرك: اعتقاد ند لله تعالى في ألوهيته أو ربوبيته وصفاته.

(وإلى دينٍ سِوَى دينكَ الإِسْلامِ لَمْ أَمِلِ) بل ثبت على الإسلام لقناعتي بأنه الحق.

٥٠- قوله: (وكَانَ ذَلكَ فَضْلاً مِنْكَ جُدْتَ بِهِ) الهداية إلى الإسلام والثبات عليه فضل الله تعالى. (وَلَيْسَ ذَاكَ بسعيٍ) بجدارة واختيار مستقل، بل وفقتني للسبب وألهمتني الصواب.

(كَانَ مِنْ قِبَلِي) بمفردي.



٥١- فـتَمِّم النعمـةَ العُظمـى بخاتمـةٍ حُسنى وَجُدْ بعدَ هـذا النَّهْلِ بالعَلَلِ

٥٢- واجْعَلْ مَقالِيَ مَضْمُومًا إلى عَمـلٍ تَـرضَى بـهِ دائِمًا بـالمَوتِ مُتَّصـلِ

٥٣- إنْ لم أفـزْ بِهـا أنشَـدتُ في خَجِـلٍ أسـتغفرُ اللهَ مِـن قَـولٍ بـلا عَمـلِ

التعليق:

٥١- قوله: (فتَمِّم النعمةَ العُظمى) الإسلام. (بخاتمةٍ حُسنى) على طاعة.

(وَجُدْ بعدَ هذا النَّهْلِ) النهل: أول الشرب.

(بالعَلَلِ) بفتح العين، الشربة الثانية، والمعنى: زدنا من التوفيق والطاعات، ورفع الدرجات..

٥٢- قوله: (واجعلْ مَقالِيَ مَضْمومًا إلى عملٍ ترضَى بهِ دائمًا) وفقني للعلم والعمل به.

(بالموتِ مُتَصلِ) اختم لي بعمل صالح أموت عليه.

٥٣- قوله: (إنْ لم أفزْ بِها) العلم والعمل الصالح وحسن الخاتمة. (أنشدتُ في خَجِلٍ) حياء.

(أستغفرُ اللهَ مِن قولٍ بلا عمل)

وأنا أستغفر الله تعالى من علم بلا عمل، وأسأله التوفيق والسداد والقبول وحسن الختام.

****

شرح

الوصية الصغرى

لشيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه،

أما بعد:

درسنا في هذه الدورة(١): هو في كتاب "الوصية الصغرى" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ومن المهم بمكان أن يتخلل الدروس العلمية شيءٌ من الدروس الوعظية والزهدية والتربوية؛ لأن ذلك يربي طالب العلم على الخير وعلى الزهد والورع والتقوى والآداب الحسنة، وقد كان هذا هدي السلف، يجمعون بين العلوم التأصيلية وكذلك بين العلوم المتعلقة بالزهد والرقائق والآداب.

وهذه الوصية الصغرى اشتملت على مواضيع متعددة منها:

ترجمة معاذ؛ ومنها التقوى؛ ومنها بيان حقوق الله عز وجل وحقوق خلقه، وجُلها شرح لحديث: (اتق الله حيث ما كنت)، وفيها بيان لأسباب التوبة، وكذلك بيان لمعنى التقوى؛ وأيضًا معنى اتباع السيئات الحسنات.

ثم بعد ذلك شرح معنى الخُلق والأخلاق؛ وذكر المفاضلة بين الأعمال، وفضل الذكر، وشيء من الكلام عن الكتب والكَسب إلى غير ذلك مما سنقرأه في كتابنا هذا.

ونسأل الله عز وجل العون والسداد.

---

(١) ألقيت في عام ١٤٤٣ هـ وقام أخونا الشيخ أحمد الفلسطيني وفقه الله تعالى بتفريغ الصوتيات، ثم أصلحتُ ما اقتضت الحاجة إصلاحه، والله الموفق.

وقد حظيت هذه الوصية بشروح كثيرة في عصرنا ومنها:

شرح للشيخ عبد الرزاق البدر، والشيخ محمد بن ابراهيم الحمد، كذلك الشيخ سليمان الرحيلي أيضًا له شرح، وشروح كثيرة جدًا ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى.

طريقتنا في الشرح أننا جعلنا الكتاب مقسَّمًا على واضيع متعددة؛ وجعلنا لكل وضوع عنوانًا يناسبه؛ ثم نذكر وقفات موضحة لكلام الشيخ رحمه الله تعالى.

****

(المقدمة)

[بسم الله الرحمن الرحيم

سُؤَالُ أَبِي الْقَاسِمِ بن يوسف بن محمد التَّجيبي الْمَغْرِبِيِّ:

يَتَفَضَّلُ سيدُنا الشَّيْخُ الفقيه الْإِمَامُ، الفاضل العالم بَقِيَّةُ السَّلَفِ، وَقُدْوَةُ الخَلَفِ، المبدع المُغْرِب، المُعرِب المُفصح، أَعْلَمُ مَنْ لَقِيت بِبِلَادِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ؛ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَد بْنُ تَيْمِيَّة أبقى الله بركته:

بِأَنْ يُوصِيَنِي بِمَا يَكُونُ فِيهِ صَلَاحُ دِينِي وَدُنْيَايَ، وَيُرْشِدُنِي إِلَى كِتَابٍ يَكُونُ عَلَيْهِ اعْتِمَادِي فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ، وَكَذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنْ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَيُنَبِّهُنِي عَلَى أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَعْدَ الْوَاجِبَاتِ، وَيُبَيِّنُ لِي أَرْجَحَ الْمَكَاسِبِ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى قَصْدِ الْإِيمَاءِ وَالِاخْتِصَارِ، وَاَللَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُهُ. وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ.

فَأَجَابَ شيخ الإسلام بحر العلوم رحمه الله ورضي عنه: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمَّا الْوَصِيَّةُ...

الشرح:

هذه المقدمة وفيها السؤال.

لنا حول هذه المقدمة ست وقفات:

الأولى: في الإشارة إلى ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية:

هو: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحَرَّاني، انتقل إلى دمشق وتربى فيها، وبرع من صغره فلم يبلغ العشرين حتى ذاع صيته وكثر علمه - ولذلك نحن ننصح أبناءنا الصغار أن يُقبلوا على العلم من صغرهم، فلا يدرك سن الشباب حتى يفتح الله جل وعلا عليه بخير كثير - وقد سمعت ما وصفه السائل فقال: (أعلم من لقيت في بلاد المشرق والمغرب)، وهذا قبل بلوغه الأربعين، وقد صار بعد ذلك بحرًا في جميع العلوم الشرعية، ونصر معتقد أهل السنة وجاهد المبتدعة بقلمه ولسانه، وجدد الله تعالى به الحق، حتى توفاه الله تعالى (ت ٧٢٨)، والله المستعان.

الثانية: ترجمة أبي القاسم:

هكذا في بعض التراجم مكتوب أبو القاسم بن يوسف، وفي بعضها القاسم بن يوسف، وهو القاسم بن يوسف بن علي التُّجيبي الكِندي، أصله من كندة حضرموت، لكن نزل بعض هذه القبيلة قديمًا في الأندلس في بَلَنْسية.

ولد في عام (٦٧٠) من الهجرة، وتوفي في عام (٧٣٠) للهجرة، خرج للحج بعد السبعمائة ولطلب العلم، فمر على المغرب وكذلك على مصر، وحج ومر على المدينة ثم أتى إلى دمشق فلقي فيها ابن تيمية رحمه الله تعالى، وأخذ من علمه ومن ذلك هذه الوصية.

والتُّجيبي له كتاب اسمه: "برنامج التُّجيبي" كتاب قيم، وله رحلة ذكر فيها ما وجد في رحلته إلى أن رجع.

الوقفة الثالثة: في أنواع السؤال وفائدته:

السائل الذي يسأل إما أن يسأل للاستفادة، وهذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه سؤال طالب العلم، يسأل ليستفيد ويتفقه، وأيضًا سؤال لُيعلِّم غيره؛ كما في حديث جبريل المشهور، وأيضًا سؤال للتعنت والتعجيز وهذا مذموم؛ والآثار في ذمه كثيرة، وسؤال رابع وهو للاختبار، يسأل الشخص للاختبار عند الانتهاء من دراسة كتاب أو لمعرفة مدى علمه وفائدته وفهمه وما أشبه ذلك، وهذا له حكم المقاصد.

الوقفة الرابعة: استحباب افتتاح الفتوى بالحمد أو بالبسملة.

ولذلك شيخ الإسلام لما بدأ قال: (الحمد لله رب العالمين أما الوصية)، فينبغي للشخص أن يبدأ كلامه بالحمد أو على الأقل بالبسملة وعلى هذا درج كثير من السلف في الأجوبة المطولة.

الوقفة الخامسة: في مدح العلماء وحكمه:

هذا الرجل السائل أثنى على شيخ الإسلام ثناءً طيبًا كثيرًا، ولا بأس بالثناء على العلماء الذين لا يخشى عليهم الفتنة، أو على الأقل لا بأس بالثناء حين تعلم أن هذا الثناء لا يُفتن به الممدوح

أو المثني عليه، وأما إذا ظننت أو تيقنت أنه يفتن فلا يجوز، وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعهم يمدحون شخصًا: (قطعتم ظهر الرجل) (١)، وفيه بيان خطر المدح إذا كان في غير محله.

وينبغي الثناء على العلماء لا سيما عند صغار الطلبة والعامة؛ وتجنب الألفاظ التي تقدح في مكانتهم لأن العلماء هم حملة الدين، وحملة الدين إذا أساء الناس الظن بهم تركوا دينهم.

الوقفة السادسة: في بعض الكلمات التي ذكرها في هذا السؤال:

مثل قوله: [المبدع المُغرب] المبدع يعني: الذي أتى بأمور كثيرة لم تكن عند أقرانه. والمغرب بمعنى المتفرد؛ تفرد بكثير من العلوم.

[المعرِب] يعني: من الإعراب هو البيان.

[المفصح] من الفصاحة.

وقوله: [أبقى الله بركته] أي: العلم والنفع به؛ فبركة العلم بالاستفادة منه وليس بالتمسح وتقبيل الركب.

وقوله: [على قصد الإيماء] الإيماء: الإشارة والاختصار.



(١) البخاري (٢٦٦٣) ومسلم (٣٠٠١) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(الوصية بالتقوى)

[الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمَّا "الْوَصِيَّةُ" فَمَا أَعْلَمُ وَصِيَّةً أَنْفَعُ مِنْ وَصِيَّةِ الله وَرَسُولِهِ لِمَنْ عَقَلَهَا وَاتَّبَعَهَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾. وَوَصَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: (يَا مُعَاذُ: اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (١).]

الشرح:

لنا في هذا الكلام أربع وقفات:

الأولى: في معنى الوصية:

الوصية هي العهد والنصح عند الفراق، في حديث العرباض (أوصنا)، وفي بعض الروايات (بما تعهد الينا) (٢)؛ فالنصح عند الفراق يسمى وصية، وهكذا بذل المال عند الموت يسمى وصية لأن بعده فراق؛ والله المستعان.

إذًا فالمقصود هنا بالوصية النصيحة.

---

(١) حديث أبي ذر حسن لغيره، وفي سنده ميمون بن أبي شبيب ضعفه ابن معين وهو منقطع بينه وبين أبي ذر ومعاذ، لم يسمع منهما على الصحيح كما قاله أبو حاتم وغيره ، وقد جاء من طرق عن ميمون مرسلاً ورجح الدارقطني إرساله. ولكن له شواهد عن أبي هريرة وأبي سعيد وغيرهما، وحسنه الألباني.

وكان شيخنا مقبل رحمه الله تعالى يضعف هذا الحديث وأما حديث معاذ فالذي ظهر لي أن ذكر معاذ في هذا الحديث شاذ، ثم رأيت الترمذي قد أشار إلى شذوذه فقال: قَالَ مَحْمُودٌ وَالصَّحِيحُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ. ومحمود هو شيخ الترمذي. والله أعلم.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) وأحمد (١٧١٤٤) وغيرهم وصححه الشيخان الألباني والوادعي.

الوقفة الثانية : في بيان أن كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أنفع الكلام :

فما ورد في النصح والوصايا في كتاب الله عز وجل هي أنفع النصائح لمن تدبرها وتأملها؛ ولا يتم الانتفاع بكلام الله عز وجل وبكلام رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الأكمل إلا بأمرين اثنين احفظهما:

الأول: الفهم الصحيح. الثاني: العمل بهما مع الإخلاص والاتباع.

الوقفة الثالثة : في معنى التقوى.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ هي وصية الله لجميع الأمم ﴿ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وفي الحديث (اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْت) .

التقوى: هي العمل بالكتاب والسنة، فإذا ذكر البر والتقوى معًا فالبر المسارعة إلى الطاعات والتقوى اجتناب المنهيات، وهكذا كثير من ألفاظ الشرع عند ما تجتمع تفترق في معانيها، وإذا افترقت دلت على غيرها، فالتقوى هي الدين كله.

الوقفة الرابعة : رأس التقوى التوحيد والاتباع :

رأس التقوى وأساس التقوى هو التوحيد والاتباع؛ فإذا رأيت الشخص يظهر من السكينة والوقار الورع والخوف من الله سبحانه وتعالى مع إخلاله بالتوحيد أو مع إخلاله بالاتباع فإن ذلك يدل على ضعف التقوى عنده،

وحديث: (يَا مُعَاذُ: اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْت) سيأتي شرحه بإذن الله ﷻ بعد قليل.

****

(ترجمة معاذ)

قال: [وَكَانَ مُعَاذٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْزِلَةٍ عَلِيَّةٍ؛ فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ: (يَا مُعَاذُ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبّكَ وَكَانَ يُرْدِفُهُ وَرَاءَهُ) (١).

وَرُوِيَ فِيهِ: (أَنَّهُ أَعْلَمُ الْأُمَّةِ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ)(٢) (وَأَنَّهُ يُحْشَرُ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ)(٣) أَيْ بِخُطْوَةٍ.

وَمِنْ فَضْلِهِ أَنَّهُ بَعَثَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبَلِّغًا عَنْهُ دَاعِيًا وَمُفَقِّهًا وَمُفْتِيًا وَحَاكِمًا إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ(٤).

وَكَانَ يُشَبِّهُهُ بِإِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِبْرَاهِيمُ إِمَامُ النَّاسِ.

وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(٥)؛ تَشْبِيهًا لَهُ بِإِبْرَاهِيمَ.]

الشرح:

لنا في هذا الكلام خمس وقفات

الأولى: في ذكر معاذ رضي الله عنه:

هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومعاذ في سن الطفولة قبل البلوغ بسنوات؛ لكن أقبل على حفظ القرآن فأكمله؛ وكذلك أقبل على حفظ السنة والتفقه فيها فبلغ درجة عظيمة،

---

(١) رواه أبو داود (١٥٢٢) وغيره وصححه الألباني والوادعي.

(٢) رواه الترمذي (٤١٢٥) وابن ماجه (١٥٢) وغيرهما وصححه الألباني.

(٣) رواه أحمد (٣٧٥) وغيره عن ابن عمر وصححه الأرنؤوط.

(٤) البخاري (١٤٩٦) ومسلم (١٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره عند آية النحل، وسنده صحيح.

كما ذكرنا قبل أن الصبي حين يقبل على العلم بجدية لا يصل بداية النضوج إلا وقد صار عنده علم غزير.

فمعاذ رضي الله عنه أقبل على العلم من صغره حتى بلغ رتبة عظيم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان عند موت النبي عليه الصلاة والسلام قد تجاوز سن العشرين بقليل.

الوقفة الثانية : في معنى حديث المحبة.

والنبي عليه الصلاة والسلام قال له: (يا معاذ والله اني لأحبك) فأجابه معاذ: (وأنا والله يا رسول الله لأحبك) المحبة في الله ﷻ أوثق عرى الإيمان؛ وسببها الطاعة لا المعرفة ولا التوافق في الطِباع.

وهذا الحديث مروي بالإسناد؛ قد تناقله العلماء بهذا اللفظ (والله اني لأحبك) تقول لمن يروي عنك: (والله إني لأحبك) ثم تروي له الحديث بسندك إلى النبي ﷺ.

الوقفة الثالثة : في سُمعة العلماء.

ينبغي أن يُحافظ على مكانة علماء السنة وسمعتهم؛ وبيان ما عندهم من الخير والعلم، انظر هذا الثناء العظيم لابن مسعود على معاذ لم يكن بينهم تحاسد وما أشبه ذلك، بل يُكَمِّلوا بعضهم بعضًا، ويدل بعضهم على بعض، وعلى هذا كان السلف، إلا أن يكون العالم الفلاني من المبتدعة فيحذر منه، لكن مع ذلك لا ينبغي الاستعجال في التبديع؛ بل يحرص على النصح والرفق حتى يعذر الشخص أمام الله ﷻ، حين يتكلم في هذا المخالف، فينبغي النصح والحرص على عودة الناس إلى المنهج الصافي قدر الإمكان.

والقدح والتجريح إنّما هو علاج يوضع على المرض في وقت الحاجة وبقدرها؛ ولا يترك بالكلية كما يقول بعض المميعين؛ ولكن لا يبالغ فيه كما صار هذا شعارًا لبعض الناس المشبوهين، تحت مسمى الجرح والتعديل اتخذوها فرصة للطعن في علماء السنة.

الوقفة الرابعة: في مفردات هذا الكلام.

فقوله: (كان يردفه وراءه) أي: يركبه وراءه على الحمار مثلًا أو على البعير.

[برتوة] فسرها الشيخ بقوله بخطوة.

وأيضًا أثر ابن مسعود (أن معاذ كان أمة) أمة بمعنى إمام، و(قانتًا) يعني: عابدًا ومعلمًا للخير، و(حنيفًا) معناه: موحدًا؛ الحنيف هو الموحد المتبرئ من الشرك وأهله، وهو أعم مما يفسره بعضهم بقولهم: الحنيف المائل.



(شرح حديث معاذ)

قال: [ثُمَّ إِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّاهُ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ فَعُلِمَ أَنَّهَا جَامِعَةٌ.

وَهِيَ كَذَلِكَ لِمَنْ عَقَلَهَا مَعَ أَنَّهَا تَفْسِيرُ الْوَصِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ.

أَمَا بَيَانُ جَمْعِهَا فَلِأَنَّ الْعَبْدَ عَلَيْهِ حَقَّانِ:

حَقٌّ لله عَزَّ وَجَلَّ. وَحَقٌّ لِعِبَادِهِ. ثُمَّ الْحَقُّ الَّذِي عَلَيْهِ لله لَا بُدَّ أَنْ يُخِلَّ بِبَعْضِهِ أَحْيَانًا: إمَّا بِتَرْكِ مَأْمُورٍ بِهِ أَوْ فِعْلِ مَنْهِيٍّ عَنْهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْت) وَهَذِهِ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ وَفِي قَوْلِهِ (حَيْثُمَا كُنْت) تَحْقِيقٌ لِحَاجَتِهِ إلَى التَّقْوَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.

ثُمَّ قَالَ: (وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا) فَإِنَّ الطَّبِيبَ متى تَنَاوَلَ الْمَرِيضُ شَيْئًا مُضِرًّا أَمَرَهُ بِمَا يُصْلِحُهُ. وَالذَّنْبُ لِلْعَبْدِ كَأَنَّهُ أَمْرٌ حَتْمٌ. فَالْكَيِّسُ هُوَ الَّذِي لَا يَزَالُ يَأْتِي مِنْ الْحَسَنَاتِ بِمَا يَمْحُو السَّيِّئَاتِ. وَإِنَّمَا قَدَّمَ فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ " السَّيِّئَةَ " وَإِنْ كَانَتْ مَفْعُولَةً لِأَنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا مَحْوُهَا لَا فِعْلُ الْحَسَنَةِ فَصَارَ كَقَوْلِهِ فِي بَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ: (صُبُّوا عَلَيْهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ)[1]. وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْحَسَنَاتُ مِنْ جِنْسِ السَّيِّئَاتِ فَإِنَّهُ أَبْلَغُ فِي الْمَحْوِ.

وَالذُّنُوبُ يَزُولُ مُوجِبُهَا بِأَشْيَاءَ: (أَحَدُهَا) التَّوْبَةُ[2].]

الشرح:

لنا في هذا الكلام خمس وقفات

الأولى: في قوله: (اتق الله حيثما كنت).

هذه قاعدة في المراقبة، ولذلك ذكره النووي رحمه الله تعالى في الأربعين في قواعد الإسلام؛ فهو قاعدة في حق الله ﷻ؛ وقاعدة في حق المخلوق؛ وهو أيضًا قاعدة في المراقبة.

---

(١) البخاري (٢٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه.

(٢) هذه الجملة ستكون عند قوله: [وَالذُّنُوبُ يَزُولُ مُوجِبُهَا بِأَشْيَاءَ].

إذًا قوله: (اتق الله حيثما كنت) قاعدة في المراقبة في السر والعلن والسفر والحضر؛ ومن بلغ هذه الرتبة فقد بلغ مرتبة الإحسان: أن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله جل وعلا يراه.

الوقفة الثانية : في كمال التقوى:

التقوى، كل مؤمن موحد عنده تقوى، لكن هذه التقوى مراتب؛ منهم من يبلغ الكمال فيصير كما في الحديث (اتق الله حيثما كنت)، وفي رأس ذلك أن يكون من أهل التوحيد والاتباع، ومنهم من يكون عنده قصور في التقوى في بعض الجوانب، ومنهم من تكون عندهم تقوى ضعيفة، فالكلام على التقوى كالكلام على الإيمان تزيد وتنقص، لأن التقوى من الإيمان، فكمالها كما سمعت أن يعني يكون متقيًا في السر والعلن؛ في حق الله عز وجل وفي حق خلقه.

الوقفة الثالثة : في كيفية التعامل مع السيئات.

السيئات لا يكاد يخلو منها أحد ممن لم يعصمه الله ﷻ ، فلذلك ينبغي التعامل مع السيئات بثلاثة أمور:

الأول: بالبعد عنها، وهذا هو الأصل ابتعد عن السيئات قدر الإمكان كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

الثاني: حين يضطر الشخص إلى القرب من السيئات لسبب أو لآخر فليحذر كل الحذر من فعلها.

الثالث: إذا استزله الشيطان ووقع في السيئات فليكرهها ولا يحب هذه السيئات ولا يجاهر بها ولا يدعو إليها؛ بل عليه أن يبادر إلى التوبة؛ إلى الاستغفار؛ إلى الحسنات الماحية التي سيأتي ذكرها؛ (واتبع الحسنة تمحها).

الوقفة الرابعة: في معنى الحسنات والسيئات.

وسيأتي من كلام الشيخ؛ والحسنات سميت حسنة من حسنها وجمالها، ومن حسن أثرها في الدنيا وأثرها في الآخرة، والسيئات سميت سيئات من سوئها وخبثها، وأيضًا من سوء أثرها في الدنيا وكذلك في الآخرة. سيأتي مزيد بيان من كلام الشيخ.

الوقفة الخامسة في معنى قوله: (قدم لفظة سيئة وان كانت مفعولاً).

يعني مفعولة في المعنى والحسنة فاعلة في المعنى؛ لأن الحسنة هي التي تمحو السيئة؛ وصارت السيئة مفعولة أي: مفعول به كما يقول النحاة؛ هذا هو المعنى، يعني كان حقها لو أخذنا بتقديم الأول فالأول أن نقول: وأتبع الحسنة السيئة تمحها.

لكن لأن الغرض من الحسنة هو محو السيئة قدمت السيئة لأنها ممحوه، والماحي يكون بعدها وهو الحسنة. هذا معنى قوله: (لأن المقصود هنا محوها لا فعل الحسنة)، يعني هل المقصود من فعل الحسنة طلب الدرجات أو محو السيئة؛ هذه الحسنات التي تعمل بعد السيئات، المقصود منها محو السيئة فصار محو السيئة مقدم في القصد على الدرجات التي تكون على فعل الحسنات؛ فلأجل هذا القصد قدمت في اللفظ أيضًا، كما يقول النحاة تقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص أو يفيد الحصر أو يفيد الاهتمام إلى آخره.

أما في الإعراب: فالسيئة مفعول أول والحسنة مفعول ثاني؛ لكن في المعنى الحسنة فاعل والسيئة مفعول؛ لأن الحسنة هي التي تمحو السيئة ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

فقوله: (فصار كقوله في بول الإعرابي صبوا عليه ذنوبًا من ماء)،

أصل الكلام: (صبوا ذنوبًا من ماء عليه)؛ ولكن قدم الجار المجرور هنا لماذا؟

للتنبيه على أن المقصود من صب الماء هو إزالة النجاسة وليس المقصود من صب الماء بلُّ الأرض مثلًا أو غير ذلك.

هذا كله إشارة إلى ماذا؟ إشارة إلى الاهتمام بالحسنات الماحية ؛ أن يكون هم الشخص إن وقع في ذنب أن يبادر إلى الحسنات الماحية؛ ومن أهم الحسنات الماحية ما كان من جنس السيئات؛ مثال ذلك شخص سرق، جنسها أن يرد الحق وأن يبذل من ماله شيئًا للصدقة.

فنسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد، والله المستعان.



(أسباب المغفرة)

قال: [وَالذُّنُوبُ يَزُولُ مُوجِبُهَا بِأَشْيَاءَ (أَحَدُهَا) التَّوْبَةُ. وَ(الثَّانِي) الِاسْتِغْفَارُ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ. فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ يَغْفِرُ لَهُ إجَابَةً لِدُعَائِهِ وَإِنْ لَمْ يَتُبْ فَإِذَا اجْتَمَعَتْ التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ فَهُوَ الْكَمَالُ.

(الثَّالِثُ) الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ الْمُكَفِّرَةُ:

أَمَّا " الْكَفَّارَاتُ الْمُقَدَّرَةُ " كَمَا يُكَفِّرُ الْمُجَامِعُ فِي رَمَضَانَ وَالْمُظَاهِرُ وَالْمُرْتَكِبُ لِبَعْضِ مَحْظُورَاتِ الْحَجِّ أَوْ تَارِكُ بَعْضِ وَاجِبَاتِهِ أَوْ قَاتِلُ الصَّيْدِ بِالْكَفَّارَاتِ الْمُقَدَّرَةِ وَهِيَ " أَرْبَعَةُ أَجْنَاسٍ " هَدْيٍ وَعِتْقٍ وَصَدَقَةٍ وَصِيَامٍ. وَأَمَّا " الْكَفَّارَاتُ الْمُطْلَقَةُ " كَمَا قَالَ حُذَيْفَةُ لِعُمَرِ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ؛ يُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ. وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ فِي التَّكْفِيرِ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمْعَةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا: مَنْ قَالَ كَذَا وَعَمِلَ كَذَا غُفِرَ لَهُ أَوْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ لِمَنْ تَلَقَّاهَا مِنْ السُّنَنِ خُصُوصًا مَا صُنِّفَ فِي فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ.]

الشرح:

قال رحمه الله تعالى: [وَالذُّنُوبُ يَزُولُ مُوجِبُهَا بِأَشْيَاءَ].

يعني: أثر الذنب، وأثر الذنب هو العقاب المترتب على فعله.

هذه الجمل لنا معها أربع وقفات.

الوقفة الأولى: في التوبة.

والتوبة هي: الاقلاع عن الذنب والندم على فعله والعزم على عدم الرجوع إليه.

والتوبة تَجّبُّ كل ذنب إذا كانت صادقة ونصوحة، والنصوح هي التوبة التي لا عودة فيها إلى الذنب، فإذا تاب الإنسان بصدق وعزم صادق على عدم العودة إلى الذنب غفر له ولو كان الذنب من كبائر الذنوب، إلا أن يتعلق بحق مخلوق فلا بد مع ذلك من رد المظالم.

والتوبة هي أعظم الماحيات للذنوب وأوسعها.

الوقفة الثانية في الاستغفار: وهو طلب المغفرة بالدعاء.

حين يقول المسلم: أستغفر الله، أو اللهم اغفر لي. فهو يطلب التوبة بهذا الدعاء، وقد يغفر للشخص بالاستغفار مع الندم إذا عمل الذنب وندم على فعله واستغفر الله سبحانه وتعالى فإنه قد يُغفر للعبد بذلك.

وليس المقصود أن يستغفر مع عزمه على العود، فإن هذا الاستغفار شبه لغو لا ينفع صاحبه، إنّما ينفع الاستغفار مع الندم حتى ولو كان يعلم أنه سيعود إليها بسبب دوافع النفس، فيستغفر ويجاهد نفسه والله جل وعلا غفور رحيم.

الوقفة الثالثة: مع الأعمال المكفرة.

وقد عدها الشيخ في موضع آخر إلى عشرة، وذكرها ابن القيم وشرحها، ونقلها أيضًا شارح الطحاوية، ومن أجلّها ما تقدم ذكره وأيضًا الأعمال المكفرة، سواء الكفارات المقدرة فإن هذه الكفارات المقدرة تكفر هذه المحظورات التي وقع فيها ولا كفارة لها بغيرها، فالمجامع في رمضان الكفارة المحددة له هي المذكورة في كفارة المجامع، لا يكفي في ذلك التوبة ولا الاستغفار لابد أن يأتي بالكفارة التي حددت لهذا الذنب، وهكذا المظاهر، وهكذا بقية الأخطاء والذنوب التي حددت لها كفارات معينة، فمن أتى هذه الكفارات فقد أتى بما يمحو هذه الذنوب؛ مع التوبة منها.

وأما الكفارات المطلقة وهي ما يحصل للإنسان من أعمال صالحة وجميع الأعمال الصالحة فيها كفارات للذنوب، سواء ما ورد التنصيص عليه كحديث (من صام رمضان غفر له ما تقدم من ذنبه) [(١)]. مثلًا؛ أو الأعمال التي لم يرد فيها الفضل مثل هذا، فجميع الأعمال الصالحة تكفر الذنوب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾.

---

(١) البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الوقفة الرابعة : في التكفير بالمصائب.

والمصائب كفارات، وهي كل ما يؤذي من هَم أو حزن أو أذى في بدن الإنسان أو ماله أو أهله وما أشبه ذلك، وسيأتي ذكرها من كلام الشيخ، (ما يصيب المسلم من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله بها من خطاياه) (١).

****

(١) البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢) ومسلم (٢٥٧٣) عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(أهمية عناية العبد بحق الله عز وجل وحق الخلق)

قال رحمه الله تعالى: [وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِنَايَةَ بِهَذَا مِنْ أَشَدِّ مَا بِالْإِنْسَانِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ حِينِ يَبْلُغُ؛ خُصُوصًا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ وَنَحْوِهَا مِنْ أَزْمِنَةِ الْفَتَرَاتِ الَّتِي تُشْبِهُ الْجَاهِلِيَّةَ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَنْشَأُ بَيْنَ أَهْلِ عِلْمٍ وَدِينٍ قَدْ يَتَلَطَّخُ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ بِعِدَّةِ أَشْيَاءَ فَكَيْفَ بِغَيْرِ هَذَا.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟)[1] هَذَا خَبَرٌ تَصْدِيقُهُ فِي قَوْله تَعَالَى ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ وَلِهَذَا شَوَاهِدُ فِي الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ. وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ يَسْرِي فِي الْمُنْتَسِبِينَ إلَى الدِّينِ مِنْ الْخَاصَّةِ؛ كَمَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السَّلَفِ مِنْهُمْ ابْنُ عُيَيْنَةَ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ الْيَهُودِ قَدْ أُبْتُلِيَ بِهِ بَعْضُ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى الْعِلْمِ وَكَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ النَّصَارَى قَدْ أُبْتُلِيَ بِهِ بَعْضُ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى الدِّينِ كَمَا يُبْصِرُ ذَلِكَ مَنْ فَهِمَ دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَزَّلَهُ عَلَى أَحْوَالِ النَّاسِ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ وَكَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَاهُ اللهُ وَجَعَلَ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ لَا بُدَّ أَنْ يُلَاحِظَ أَحْوَالَ الْجَاهِلِيَّةِ وَطَرِيقَ الْأُمَّتَيْنِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَيَرَى أَنْ قَدْ أُبْتُلِيَ بِبَعْضِ ذَلِكَ]

الشرح:

وهذا الكلام لنا معه سبع وقفات

---

(١) البخاري (٣٤٥٦) ومسلم (٢٦٦٩) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

الأولى: في أهمية فهم هذه القاعدة العظيمة.

وهي العناية بالتقوى وباتباع الحسنات السيئات وهذا يتعلق بحق الله عز وجل وهكذا أيضًا العناية بحق الخلق، هذا من أهم الأمور.

فمن المهم الاعتناء بالأعمال الصالحة وأيضًا بالأعمال التي تمحو السيئات، فالإنسان يتقلب بين حسنة يعملها فهذه يحتاج فيها إلى إخلاص واتباع، وبين سيئة يرتكبها وهذه يحتاج فيها إلى توبة واستغفار، وهذا أعظم ما ينبغي للمسلم أن يعتني به، فإن فوزه وفلاحه في الدنيا والآخرة بهذين.

الوقفة الثانية : في معنى الجاهلية.

الجاهلية، هي: ما قبل الإسلام. وسبب ذلك هو جهلهم بالله عز وجل وبحقوقه، حتى وقعوا في كثير من الأمور الشركية التي أشركوا مع الله سبحانه وتعالى غيره، ولا يجوز إطلاق الجاهلية على المجتمع المسلم مهما وجد فيهم من معاصي، لكن قد توجد الجاهلية من باب بعض الوجوه كما قيدها الشيخ رحمه الله تعالى، فهناك بعض مسائل وبعض الأمور يقع فيها بعض المسلمين تشبه ما كان عليه أهل الجاهلية، مثل النياحة، الفخر بالآباء، العصبيات، الحزبيات، الخروج على ولاة الأمر.

وأعظم من ذلك ما يوجد عند بعض مدعي الإسلام من الشرك عند القبور كل هذه من أعمال الجاهلية، فقد يوجد في طلبة العلم من عنده شيء من هذه التعصبات، أو من هذه المعاصي التي كانت عند أهل الجاهلية كما في الحديث (أربع من أمر الجاهلية في أمتي لا يدعهن) وذكر منها (النياحة) [(١)].

وهذا يحصل من العامة ويحصل من بعض الطلبة بخلاف أهل العلم فإنهم على خير وعلى

(١) رواه مسلم (٩٣٤) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

استقامة عظيمة، - بارك الله تعالى فيكم.

الوقفة الرابعة : في معنى حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(لتتبعن سنن من كان قبلكم) يعني: ما هم عليه من البدع في الدين.

(حذو القذة بالقذة) يعني سواء بالسواء، وهذا اللفظ ليس في الصحيحين ولا في السنن، هو عند أحمد(١) وسنده ضعيف، وأيضًا ليس من حديث أبي سعيد، الذي في حديث أبي سعيد (ذراعًا بذراع وشبرًا بشبر) ويقال: إن أول من أدخل هذه اللفظ في الحديث هو شيخ الإسلام.

(حتى لو دخلوا جحر ضب) وهو الحيوان المعروف (لدخلتموه) مع ما لهذا البيت الذي هو بيت الضب من اعوجاج وصعوبة، إلا أن بعض الناس يتكلف المشقة من أجل أن يقلد أعداء الإسلام.

الوقفة الخامسة : في بيان قاعدة وهي (التشبه بالمشركين أصل الشرك والشرور).

ولهذا ورد ذم الجاهلية وذم جميع الأعمال الموافقة لأهل الجاهلين في أعمالهم المختص بهم، فإذا ذكرت الجاهلية فالمقصود بذلك الذم، كحديث (من قتل تحت راية علمية فقد مات ميتة جاهلية) (٢) هذا من باب الذم وهكذا ما يذكر فيه تشبه باليهود والنصارى فإنَّما يقصد به الذم كحديث (قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم المساجد) (٣) وهكذا بقية المشركين.

التشبه بالمشركين أصل الشرك، كما حصل بعد قوم نوح فإن كل من أشرك من الأمم التي جاءت بعد قوم نوح كان شركهم بسبب التشبه بالمشركين، تشبهوا بما كان عند قوم نوح من تصوير الصالحين وتعظيمهم والبناء عليهم ، ولا يزال الناس يتشبهون بالمشركين في زمانهم وفي غير زمانهم حتى يقعوا في شرور كثيرة ومنها الشرك بالله سبحانه وتعالى.

---

(١) رواه أحمد (١٧١٣٥) عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٨٥٠) عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٣) البخاري (٤٣٧) ومسلم (٥٣٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إذًا التشبه بالمشركين أصل الشرك والشر، كما أن التشبه بالأنبياء والرسل أصل الخير والفوز والفلاح.

الوقفة السادسة: في بيان معنى قول شيخ الإسلام: وهذا أمر قد يجري في المنتسبين إلى الدين من الخاصة.

يعني بقوله: (من الخاصة) من طلبة العلم وما أشبه ذلك، وقد تقدم بيانه وأنه قد توجد بعض الخصال التي هي من خصال الجاهلية كالتعصبات مثلًا والتمرد على ولاة الأمر، قد يوجد هذا من بعض المنتسبين للعلم لا سيما الذين يتعلمون على أيدي أهل البدع، وكما قال سفيان بن عيينة: (من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود ومن فسد من عبادنا ففيه هم للنصارى) وهذا الأثر سنده صحيح، وهو في معنى قول الله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

الوقفة السابعة: في أهمية العمل للعلم.

فإن الشخص إذا علم ولم يعمل تشبه باليهود، وإذا عمل بتقليد أعمى بدون علم فقد تشبه بالنصارى، وهذا مما يبتلى به بعض المنتسبين إلى الدين إما أن يتعلم ويقل عمله، وإما أن يقلد كما هو حال المقلدة في المذاهب وفي غيرها، يقلد حتى من الأمور التي لا يجوز التقليد فيها.

(هتف العلم بالعمل فإن أجابه والا ارتحل) ليكن همك أن تعمل بالعلم لا يكن همك أن يقال علم، حفظ كذا، اهتم للعمل بالإخلاص بالتوحيد باتباع السنة ، الأعمال إذا وفق الشخص فيها لاتباع السنة فقد وفق لخير كثير ولو قَل.

الوقفة الأخيرة في قوله: [فَأَنْفَعُ مَا لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ الْعِلْمُ بِمَا يُخَلِّصُ النُّفُوسَ مِنْ هَذِهِ الْوَرَطَاتِ، وَهُوَ إتْبَاعُ السَّيِّئَاتِ الْحَسَنَاتِ...]

لابد للشخص أن يكون حريصًا على أن يتبع السيئة الحسنة، وهذا لا يكفي النية والإخلاص؛ بل لا بد للعبد أن يتفقه مع ذلك في كيفية إتيان الحسنات وفي كيفية محو السيئات.

****

(الأخلاق)

قال رحمه الله تعالى: [فَلَمَّا قَضَى بِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ حَقَّ الله: مِنْ عَمَلِ الصَّالِحِ وَإِصْلَاحِ الْفَاسِدِ قَالَ: " وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " وَهُوَ حَقُّ النَّاسِ. وَجِمَاعُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ مَعَ النَّاسِ: أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَك بِالسَّلَامِ وَالْإِكْرَامِ وَالدُّعَاءِ لَهُ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالزِّيَارَةِ لَهُ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَك مِنْ التَّعْلِيمِ وَالْمَنْفَعَةِ وَالْمَالِ وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَك فِي دَمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ عِرْضٍ. وَبَعْضُ هَذَا وَاجِبٌ وَبَعْضُهُ مُسْتَحَبٌّ. وَأَمَّا الْخُلُقُ الْعَظِيمُ الَّذِي وَصَفَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ الدِّينُ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مُطْلَقًا هَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ وَهُوَ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)[(١)] وَحَقِيقَتُهُ الْمُبَادَرَةُ إلَى امْتِثَالِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ بِطِيبِ نَفْسٍ وَانْشِرَاحِ صَدْرٍ.

وَأَمَّا بَيَانُ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ فِي وَصِيَّةِ الله فَهُوَ أَنَّ اسْمَ تَقْوَى الله يَجْمَعُ فِعْلَ كُلِّ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ إيجَابًا وَاسْتِحْبَابًا وَمَا نَهَى عَنْهُ تَحْرِيمًا وَتَنْزِيهًا وَهَذَا يَجْمَعُ حُقُوقَ الله وَحُقُوقَ الْعِبَادِ. لَكِنْ لَمَّا كَانَ تَارَةً يَعْنِي بِالتَّقْوَى خَشْيَةَ الْعَذَابِ الْمُقْتَضِيَةَ لِلِانْكِفَافِ عَنْ الْمَحَارِمِ جَاءَ مُفَسَّرًا فِي حَدِيثِ مُعَاذٍ[(٢)] وَكَذَلِكَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[(٣)] وَصَحَّحَهُ: (قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: تَقْوَى الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ. قِيلَ: وَمَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ قَالَ: الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ).

وَفِي الصَّحِيحِ[(٤)] عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) رواه أحمد (٢٤٦٠١) وسنده صحيح.

(٢) لعله يعني حديث (وهل يكب الناس على مناخرهم...) رواه الترمذي (٢٨٠٤) وغيره وصححه الألباني وغيره.

(٣) رواه الترمذي (٢١٢٢) وابن ماجه (٤٢٤٦) وصححه الألباني.

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢٥٩) وغيره وصححه الألباني والأرنؤوط.

(أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا) فَجَعَلَ كَمَالَ الْإِيمَانِ فِي كَمَالِ حُسْنِ الْخُلُقِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِيمَانَ كُلَّهُ تَقْوَى اللهِ.]

الشرح:

ولنا مع هذه الجمل ثلاث وقفات على وجه الاختصار

الأولى: في معنى حسن الخلق.

حسن الخلق يشمل أمرين اثنين بالنسبة لمعاملة الخلق من جهتك، يشمل: بذل الندى والمعروف وكف الأذى. وأيضًا فيما يتعلق بالآخرين: الصبر على أذاهم ورد كثيرًا من ذلك بالإحسان.

من بلغ هذه الرتبة فقد بلغ رتبة عظيمة.

ومِن الصبر على أذى الآخرين ورد ذلك بالإحسان أن تصل من قطعك بالسلام عليه، والإكرام والدعاء، والغالب على الشخص أنه إذا أوذي من قبل شخص آخر حتى ولو سلم عليه قد يدعو عليه، قد يذمه، أو يمتنع من مجالسته مثلًا.

أمَّا من بلغ في الدرجة والرتبة أن يدعو لمن أساء إليه ولو بالهداية، وإذا هداه الله تعالى فسيترك الشر، فالله المستعان.

فكثير من الناس من جهة نفسه يبذل الخير، لكن لا يتحمل أذى الآخرين ولا يعفو ويصفح، هذه الأمور لا يبلغها إلا ذو حظ عظيم.

الوقفة الثانية: حسن الخلق عند الاطلاق يعم حق الله سبحانه وتعالى وحق خلقه.

وهكذا التقوى عند الاطلاق تشمل حق الله سبحانه وتعالى وحق خلقه، فكثير من الألفاظ الشرعية إذا أطلقت تشمل الدين كله، وإذا قرنت بغيرها فإنها تعني بعض ذلك، فإذا جُمع بين التقوى وحسن الخلق، فيراد بالتقوى حق الله ﷻ، ويراد بحسن الخُلق حق الخَلق.

الوقفة الثالثة: في معنى الأحاديث التي ذكرها الشيخ.

قول عائشة رضي الله عنها (كان خلقه القرآن) يعني كانت أعماله ومعاملاته تطبيقًا للقرآن

الكريم.

وهكذا حديث أبي هريرة (ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: تقوى الله وحسن الخلق) وتفسره بما تقدم ذكره. (وما أكثر ما يدخل الناس النار؟ قال: أن الجوفان الفم والفرج)، الفم والفرج ليست كل ما يدخل، لكنها من أعظم ما يدخل الناس النار الفم والفرج، والفم أخطرهما، فإن كثيرًا من الناس يتورع عن كثير من الذنوب المتعلقة بالجوارح، لكن اللسان هذا ربما يبقى ممارسًا لكثير من الأمراض كالغيبة وغيرها.

الحديث الذي بعده عن عبد الله بن عمر (أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا) دليل على أن الأخلاق من الإيمان، وهذا الحديث يعني بالأخلاق الدين كله.

ونسأل الله سبحانه أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى.

****

(أصول التقوى)

قال رحمه الله تعالى: [وَتَفْصِيلُ أُصُولِ التَّقْوَى وَفُرُوعِهَا لَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا الْمَوْضِعُ فَإِنَّهَا الدِّينُ كُلُّهُ؛ لَكِنَّ يَنْبُوعَ الْخَيْرِ وَأَصْلَهُ: إخْلَاصُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ عِبَادَةً وَاسْتِعَانَةً كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ وَفِي قَوْلِهِ: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ بِحَيْثُ يَقْطَعُ الْعَبْدُ تَعَلُّقَ قَلْبِهِ مِنْ الْمَخْلُوقِينَ انْتِفَاعًا بِهِمْ أَوْ عَمَلًا لِأَجْلِهِمْ وَيَجْعَلُ هِمَّتَهُ رَبَّهُ تَعَالَى وَذَلِكَ بِمُلَازَمَةِ الدُّعَاءِ لَهُ فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ مِنْ فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ وَمَخَافَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ
وَالْعَمَلِ لَهُ بِكُلِّ مَحْبُوبٍ. وَمَنْ أَحْكَمَ هَذَا فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ مَا يُعْقِبُهُ ذَلِكَ.]

الشرح:

لنا مع هذه الجمل ست وقفات.

الوقفة الأولى: من أعظم أصول التقوى وأصول الدين الإخلاص.

الإخلاص لله عز وجل والاستعانة به، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وهذا هو الإخلاص ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وهذه هي الاستعانة، فلا قدرة للعبد على الإخلاص ولا على الاتباع ولا على العبادات، ولا يقدر أن يؤدي حق الله عز وجل ولا حق عباده إلا أن يكون بعون الله سبحانه وتعالى، فلابد للعبد أن يستعين بالله عز وجل قبل كل عبادة وقبل كل عمل، ثم بعد ذلك يدعو الله سبحانه وتعالى بالقبول.

فهذه أربعة أشياء لا تقوم الأعمال إلا بها ولا تتم التقوى إلا بها،

أولًا: الاستعانة بالله تعالى، ثانيًا: الإخلاص، ثالثًا: الاتباع، رابعًا :الدعاء بالقبول.

الوقفة الثانية: في بيان الأصل الثاني من أصول التقوى وهو التوكل.

والتوكل منه الأخذ بالأسباب ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ أقبل على عبادة الله عز وجل أمرًا وتركًا للنهي فهذه هي التقوى، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ لا تصح التقوى إلا بالتوكل على الله سبحانه

وتعالى، إذا لم يتعلق القلب بالله عز وجل فأي تقوى يحملها، ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾.

الوقفة الثالثة : من أصول التقوى التوبة والإنابة.

لأن التقوى على قسمين:

الأول: فعل المأمور وترك المحظور، لكن بما أن الذنب لا بد أن يقع من هذا العبد إلا من عصم الله سبحانه، فإنه بحاجة إلى أن يتدارك ذلك بالتوبة ، فصارت التوبة من أصول التقوى، فمن لا توبة له لا تقوى له، ومن زعم أنه تقي لله عز وجل ولا يذنب قط فقد ادَّعى المستحيل، (كل بني آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون) نسأل الله عز وجل أن يجعلنا منهم.

الوقفة الرابعة : في الشكر.

التقوى هي العبادة، وهذه العبادة فضل الله جل وعلا ومنته، وهذا الفضل يحتاج إلى شكر، فمن اتقى الله عز وجل وجب عليه أن يشكر الله سبحانه وتعالى على نعمة التقوى، فصار الشكر من أصول التقوى، فما من مؤمن صالح خير يقبل على الله سبحانه وتعالى إلا وجدته كثير الشكر، يشكر الله جل وعلا كثيرًا على توفيقه وامتنانه وهدايته، قال الله تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ انظر كيف قرنت العبادة بالاستعانة وبالتوكل وبالإنابة وبالشكر .

الوقفة الخامسة : في قطع العلائق من المخلوقين وتعلق القلب بالله تعالى.

أمَّا من جهة العبادة فهذا أمر واضح، فإن تعلقَ القلب في العبادات بغير الله عز وجل يفسد العبادة، وهو الرياء السمعة (أنا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) [(١)] كما أن قطع العلائق في أمور الدنيا للمخلوقين من الأمور العظيمة التي هي من ثمرات حسن الظن بالله عز وجل، ومن ثمرات التقوى، ومن عظيم علاقة العبد بربه

---

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

سبحانه.

اجعل تعلقك بالأعمال الدنيوية وهكذا بالمعاملات مع الآخرين مجرد أسباب تتعاطاها ببدنك لا تجعلها في قلبك، كما سيأتي من كلام الشيخ أن تجعلها كالخلاء لوقت الحاجة فقط، وهذه منزلة لا يصلها إلا من عظم إيمانه وتأصلت فيه التقوى، وتثبت فيه التوكل على الله سبحانه وتعالى، قد وجد من السلف من كان لا يأخذ من الناس شيئًا كالإمام أحمد رحمه الله تعالى.

الوقفة السادسة والأخيرة : في ملازمة الدعاء.

الدعاء مفتاح كل خير فمن وُفِّق للإقبال على الله سبحانه وتعالى بالدعاء في كل أحواله وأسبابه وأعماله وأيضًا في رخائه وشدته فقد وفق لخير كثير، ﴿ قَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ والله جل وعلا يحب العبد الذي يدعوه كثيرًا.



(تنوع الأعمال الصالحة)

قال:[وَأَمَّا مَا سَأَلْت عَنْهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ؛ فَإِنَّهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ فِيمَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ وَمَا يُنَاسِبُ أَوْقَاتَهُمْ.

فَلَا يُمْكِنُ فِيهِ جَوَابٌ جَامِعٌ مُفَصَّلٌ لِكُلِّ أَحَدٍ لَكِنْ مِمَّا هُوَ كَالْإِجْمَاعِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ بِاللهِ وَأَمْرِهِ: أَنَّ مُلَازَمَةَ ذِكْرِ اللهِ دَائِمًا هُوَ أَفْضَلُ مَا شَغَلَ الْعَبْدَ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْجُمْلَةِ وَعَلَى ذَلِكَ دَلَّ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)]: (سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ الْمُفَرِّدُونَ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ).

وَفِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُد[(٢)] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ذِكْرُ اللهِ).

وَالدَّلَائِلُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْإِيمَانِيَّةُ بَصَرًا وَخَبَرًا وَنَظَرًا عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ. وَأَقَلُّ ذَلِكَ أَنْ يُلَازِمَ الْعَبْدُ الْأَذْكَارَ الْمَأْثُورَةَ عَنْ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَالْأَذْكَارِ الْمُؤَقَّتَةِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ وَعِنْدَ أَخْذِ الْمَضْجَعِ وَعِنْدَ الِاسْتِيقَاظِ مِنْ الْمَنَامِ وَأَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ وَالْأَذْكَارِ الْمُقَيَّدَةِ مِثْلُ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللِّبَاسِ وَالْجِمَاعِ وَدُخُولِ الْمَنْزِلِ وَالْمَسْجِدِ وَالْخَلَاءِ وَالْخُرُوجِ مِنْ ذَلِكَ وَعِنْدَ الْمَطَرِ وَالرَّعْدِ إلَى غَيْرِ ذَلِكَ وَقَدْ صُنِّفَتْ لَهُ الْكُتُبُ الْمُسَمَّاةُ بِعَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. ثُمَّ مُلَازَمَةُ الذِّكْرِ مُطْلَقًا وَأَفْضَلُهُ " لَا إلَهَ إلَّا اللهُ ".

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٢١٧٠٢) وابن ماجه (٣٧٩٠)، والترمذي (٣٣٧٧) وغيرهم وصححه الألباني والوادعي.

وَقَدْ تَعْرِضُ أَحْوَالٌ يَكُونُ بَقِيَّةُ الذِّكْرِ مِثْلُ: " سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ " أَفْضَلُ مِنْهُ.]

الشرح:

هذه الجمل التي ذكرها لنا معها خمس وقفات.

الوقفة الأولى: في تنوع الأعمال وتفاضلها.

الناظر في أجوبة النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنه سئل أسئلة كثيرة وكان يجيب بأجوبة مختلفة، قال أهل العلم: سبب ذلك أنه كان يجيب كل شخص بما يناسبه، فمن رأى عنده إقبالًا على الزهد دله على أفضل طريقة للزهد، وآخر عنده إقبال على العبادة كذلك يدله على أفضل طريقة في العبادة ،وآخر في الصلاة وآخر في الجهاد وآخر في الصيام، كلٌ يُنصح من الأعمال الصالحة بما يناسبه، مع أن الفرائض أمرٌ حتم على كل الناس، لكن المقصود الاستكثار من النوافل في بعض هذه الأعمال.

كل واحد يقبل على ما فتح جل وعلا عليه ، شخص فتح له باب الصيام وآخر فتح له باب القيام، وآخر باب الصدقة، فمن فتح له باب خير وسهل عليه فليستكثر منه.

الوقفة الثانية: في فضل الذكر ونفعه.

الذكر له ثمرة عظيمة على القلب والبدن والعقل والفهم، كلما كان العبد أكثر ذكر لله عز وجل كان أفضل حالًا ممن هو دونه في الذكر، فليستكثر العبد فإن ذكر الله جل وعلا سهل، وإذا جاهدت نفسك مدة من الزمن سهل عليك وصرت لا ترتاح إلا بذكر الله عز وجل، ومن جرب هذا وجد ما ذكرناه.

الوقفة الثالثة: في قوله: العلماء بالله وأمره.

هم علماء الكتاب والسنة، أقبلوا على الأمور المتعلقة بالقلب وصلاح القلب، وهذا هو العلم بالله سبحانه وتعالى، ويشمل الخوف والخشية والمراقبة.

وكلما كان الإنسان أعرف بالله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله وكان أعظم إيمانًا بذلك كان

أعلم بالله عز وجل وأعظم له خشية، وأيضًا العلماء بأمره يعني بشرعه، وهذا هو حال علماء الإسلام تجد عندهم من الخشية والخوف والمراقبة والذكر والورع، وتجدهم من أهل التبحر في العلم.

وبعض الناس يقبل على الزهد وما يتعلق بالقلوب ولا يعتني بالعلم الشرعي فربما يفسد فسادًا عظيمًا، كما هو حال كثير من الصوفية، يدعون أنهم مقبلون على العلم بالله عز وجل دون أن يلتفتوا إلى علم الشريعة فيحصل لهم من الضلال ما هو مشهور .

الوقفة الرابعة : في بيان متى يصير الإنسان كثير الذكر.

معلوم أن النبي عليه الصلاة والسلام أوصى الرجل بماذا؟ لقوله: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله) [(١)] وهذا هو أرفع درجات الذكر، ومن حافظ على الأذكار المشروعة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى كثيرًا.

أذكار الصباح والمساء، أذكار النوم، أذكار الدخول، أذكار الخروج، ونحوها من أذكار اليوم والليلة، هذه الأذكار التي ذكرها الشيخ وغيرها من حافظ عليها فهو من الذاكرين الله كثيرًا، فمن زاد على ذلك فقد بلغ رتبة علية.

الوقفة الخامسة : في قوله : (وأفضل الذكر لا إله إلا الله).

وهذا بالنسبة للذكر المطلق، أمَّا بالنسبة للذكر المقيد بوقت أو عند عمل فالتقيد بالذكر الذي ورد أفضل من غيره، مثلًا عند أن يؤذن المؤذن ترديد الأذان أفضل من تكرار لا إله إلا الله، وأفضل من قراءة القرآن، وهكذا قل في بقية الأذكار، ما كان في وقته فهو أفضل من غيره .

****

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٥) وابن ماجه (٣٧٩٣) عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه.

(العلم وبيان أنواع أخرى من العلوم)

قال: [ثُمَّ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ اللِّسَانُ وَتَصَوَّرَهُ الْقَلْبُ مِمَّا يُقَرِّبُ إِلَى اللهِ مِنْ تَعَلُّمِ عِلْمٍ وَتَعْلِيمِهِ وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ فَهُوَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ.

وَلِهَذَا مَنْ اشْتَغَلَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ أَوْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَتَفَقَّهُ أَوْ يُفَقِّهُ فِيهِ الْفِقْهَ الَّذِي سَمَّاهُ اللهُ وَرَسُولُهُ فِقْهًا فَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَفْضَلِ ذِكْرِ اللهِ. وَعَلَى ذَلِكَ إذَا تَدَبَّرْت لَمْ تَجِدْ بَيْنَ الْأَوَّلِينَ فِي كَلِمَاتِهِمْ فِي أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ كَبِيرَ اخْتِلَافٍ. وَمَا اشْتَبَهَ أَمْرُهُ عَلَى الْعَبْدِ فَعَلَيْهِ بِالِاسْتِخَارَةِ الْمَشْرُوعَةِ فَمَا نَدِمَ مَنْ اسْتَخَارَ اللهَ تَعَالَى. وَلْيُكْثِرْ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْ الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ وَلَا يُعَجِّلُ فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْت فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي وَلْيَتَحَرَّ الْأَوْقَاتَ الْفَاضِلَةَ: كَآخِرِ اللَّيْلِ وَأَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ وَعِنْدَ الْأَذَانِ وَوَقْتَ نُزُولِ الْمَطَرِ وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا أَرْجَحُ الْمَكَاسِبِ: فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ وَالثِّقَةُ بِكِفَايَتِهِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ.]

الشرح:

لنا مع هذه الجمل خمس وقفات

الأولى: في أفضل حالات الذكر.

أفضل حالات الذكر ما اجتمع فيه ذكر اللسان وذكر القلب، من يذكر الله بلسانه وهو مع ذلك قلبه حاضر متدبر متأمل خاشع، لأن بعض الناس يسبِّح وقلبه في وادٍ آخر، فما اجتمع فيه القلب والجوارح فهو أفضل الذكر، انظر إلى حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (من صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه)[(١)].

---

(١) رواه البخاري (١٥٩) ومسلم (٢٢٦).

الوقفة الثانية: التفاضل أيضًا يقع بتعدي النفع.

فبعض الأعمال الصالحة نفعها متعدٍ كالعلم الشرعي وتعليمه، شخص يتعبد وآخر يعلِّم أو يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، فما تعدى نفعه إلى مسلمين وإلى الناس عمومًا من الأعمال الصالحة فهو أفضل مما اقتصر على صاحبه، وهذه هي المرتبة الرفيعة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ فلذلك كان العلم من أفضل الأعمال الصالحة، وكان التعليم من أفضل الصدقات بل هو أفضلها، والدعوة إلى الله عز وجل هي من أجل الأعمال أفضل من الجهاد في سبيل الله سبحانه، والجهاد أفضل من صيام التطوع وقيام الليل لأن نفعه متعدٍ، وكلما عظم النفع كان العمل أفضل.

الوقفة الثالثة: في فضل الاستخارة.

الاستخارة تندب عند كل أمر يشكل في الدين أو الدنيا، أمر لا تدري هل تقدم عليه أو لا تقدم عليه! فعليك بالاستخارة، والواجبات لا تدخل في ذلك، لأنه يجب عملها.

والاستخارة أحيانًا يقصد بها أكثر من صلاة ركعتين والدعاء المعروف، قد يراد بها أحيانًا الدعاء بأن الله جلا وعلا يختار ما فيه الخير ، فأنت كلما قدمت على أمر ادع الله سبحانه وتعالى أن يجعل الخير أن يجعل لك الخير فيما يختاره، فلعل الاستخارة في هذه الجملة يقصد بها العموم وليس مجرد الصلاة المعروفة صلاة الاستخارة، قال: فما ندم من استخار الله تعالى.

كل ذلك يرجع إلى صدق العبد مع الله سبحانه.

الوقفة الرابعة: في قوله: الدعاء مفتاح كل خير.

الدعاء بقسميه: دعاء السؤال وكذلك دعاء العبادة، مفتاح كل خير، ومقصوده في هذه الجملة دعاء المسألة، فأنت إذا أقبلت على العبادة دعوت الله جل وعلا، إذا فرغت منها دعوت الله سبحانه، إذا أقبلت على أمور الدنيا فادعوا الله سبحانه، إذا وجدت فراغًا ادع الله وتعالى.

الدعاء لا يُستغنى عنه، ولا ينقطع حتى في الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ

﴿رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فعليك بالاستكثار منه فإنه يجلب بإذن الله سبحانه وتعالى من الخشوع والرغبة فيها عند الله سبحانه وتعالى ما يعرفه كل من أكثر من الدعاء، نسأل الله عز وجل أن يشرح قلوبنا لذلك.

الوقفة الأخيرة: في أوقات الاجابة.

كل الأوقات التي تدعو الله سبحانه وتعالى أنت موعود بالإجابة، لكن في بعض الأوقات تعظم رجاء الإجابة، كأدبار الصلوات وآخر الليل، وعند الآذان وعند نزول المطر، قد تكلمنا على أوقات الإجابة في شرح كتاب "الدعاء من الكتاب والسنة "لسعيد بن وهف القحطاني رحمه الله تعالى.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم جميعًا لما يحب ويرضى.



(بعض ما يتعلق بالمكاسب)

قال رحمه الله تعالى: [وَأَمَّا أَرْجَحُ الْمَكَاسِبِ: فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ وَالثِّقَةُ بِكِفَايَتِهِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُهْتَمِّ بِأَمْرِ الرِّزْقِ أَنْ يَلْجَأَ فِيهِ إلَى اللهِ وَيَدْعُوَهُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِيمَا يَأْثُرُ عَنْهُ نَبِيُّهُ: (كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَنْ أَطْعَمْته فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْته فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ)[١].

وَفِيمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[٢] عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا حَتَّى شِسْعَ نَعْلِهِ إذَا انْقَطَعَ فَإِنَّهُ إنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ) .

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَقَالَ سُبْحَانَهُ. ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾.

وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي الْجُمُعَةِ فَمَعْنَاهُ قَائِمٌ فِي جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ.

وَلِهَذَا وَاَللهُ أَعْلَم أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِك وَإِذَا خَرَجَ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك مِنْ فَضْلِك)[٣] وَقَدْ قَالَ الْخَلِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ وَهَذَا أَمْرٌ وَالْأَمْرُ يَقْتَضِي الْإِيجَابَ فَالِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ وَاللَّجَأُ إلَيْهِ فِي أَمْرِ الرِّزْقِ وَغَيْرِهِ أَصْلٌ عَظِيمٌ.

ثُمَّ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْمَالَ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ لِيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ وَلَا يَأْخُذُهُ بِإِشْرَافٍ وَهَلَعٍ؛ بَلْ يَكُونُ الْمَالُ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْخَلَاءِ الَّذِي يَحْتَاجُ إلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الْقَلْبِ مَكَانَةٌ وَالسَّعْيُ فِيهِ إذَا

(١) رواه ومسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رض الله عنه.

(٢) رقم (٣٦٠٤) وابن حبان (٨٦٦) وضعفه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٧١٣) عن أبي أسيد رضي الله عنه.

سَعَى كَإِصْلَاحِ الْخَلَاءِ. وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[١] وَغَيْرُهُ: (مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ شَتَّتَ اللهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إلَّا مَا كُتِبَ لَهُ. وَمَنْ أَصْبَحَ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّهِ جَمَعَ اللهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ؟ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ).

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: أَنْتَ مُحْتَاجٌ إلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ إلَى نَصِيبِك مِنْ الْآخِرَةِ أَحْوَجُ فَإِنْ بَدَأْت بِنَصِيبِك مِنْ الْآخِرَةِ مَرَّ عَلَى نَصِيبِك مِنْ الدُّنْيَا فَانْتَظَمَهُ انْتِظَامًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

فَأَمَّا تَعْيِينُ مَكْسَبٍ عَلَى مَكْسَبٍ مِنْ صِنَاعَةٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ بِنَايَةٍ أَوْ حِرَاثَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِك فَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ وَلَا أَعْلَمُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا عَامًّا لَكِنْ إذَا عَنَّ لِلْإِنْسَانِ جِهَةٌ فَلْيَسْتَخِرْ اللهَ تَعَالَى فِيهَا الِاسْتِخَارَةَ الْمُتَلَقَّاةَ عَنْ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ فِيهَا مِنْ الْبَرَكَةِ مَا لَا يُحَاطُ بِهِ. ثُمَّ مَا تَيَسَّرَ لَهُ فَلَا يَتَكَلَّفُ غَيْرَهُ إلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْهُ كَرَاهَةٌ شَرْعِيَّةٌ.]

الشرح:

هذه الجمل وفيها فوائد كثيرة نقف مع بعضها في خمس وقفات.

الوقفة الأولى: في بيان أهم قواعد الكسب و طلب الرزق.

أهم شيء هذه القواعد:

أولًا: التوكل على الله سبحانه وتعالى والثقة بكفايته وحسن الظن به، فهذا أول سبب يبدأ به في طلب الرزق، يتوكل على الله عز وجل ويفوض أمره إلى الله سبحانه، لا يعتد بنفسه ويرى أن أهم شيء في طلب الرزق أن يستخدم ذكاءه وحنكته وتجاربه، فالأمور بيد الله ﷻ، رُب رجل ذكي لم يقدر على كسب ضروريات الحياة،

وآخر بليد والأرزاق فوقه كثيرة، الأمور بيد عز وجل فلابد للمسلم أن يتوكل على الله

---

(١) رواه البخاري (١٥٩) ومسلم (٢٢٦).

سبحانه، حديث عمر المشهور (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا وتروح بطانًا) (١)، ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ توكل مع بذل السبب لا كما يدعي بعض الناس من المتصوفة أنهم بقوة توكلهم لا يبذلون سببًا، والواقع أن هذا من الشيطان، بل لُوحظ على كثير منهم الاحتيال على الرزق بحيث لا يُشعر به ثم يدعي بعد ذلك التوكل.

فالتوكل القاعدة الكبرى في باب طلب المكاسب.

القاعدة الثانية: الدعاء.

اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى أن يدعو الله سبحانه وتعالى بالرزق، وأن يكون هذا الرزق حلالًا طيبًا وأن يكون نافعًا للشخص بحيث ينتفع به بدنه، وكذلك ينفق منه بما يعود عليه بالنفع في آخرته، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في كل صباح: (اللهم إني اسألك علمًا نافعًا وعملًا متقبلًا ورزقًا طيبًا) (٢).

ومن الأدعية الجامعة: (اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني)، الشخص يسأل الله عز وجل الرزق الطيب كل يوم وكل صباح، وإذا خرج في طلب الرزق خرج متوكلًا ذاكرًا لله عز وجل جاعلًا أمر الدنيا أمر في اضطرار الاختيار، لا يجري بعد الدنيا مع استغنائه عنها، لكن حين يحتاج إلى أمور الدنيا يبذل هذه الأسباب العظيمة ثم بعد ذلك يبذل الأسباب الدنيوية.

القاعدة الثالثة من قواعد كسب الرزق إذا وجد أكثر من سبب ويريد أن يختار أحدهما فعليه أن

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٤) وصححه الألباني والوادعي.

(٢) رواه ابن ماجه (٩٢٥) والنسائي (٩٩٣٠) وصححه الألباني والوادعي.

يستخير الله سبحانه وتعالى.

الاستخارة لها ثمرات عظيمة جدًّا والإنسان مهما بلغ عقله وتفكيره قد يحسن الظن بما فيه الضر، وقد يسيء الظن بما فيه الخير، فإذا استخار الله سبحانه وتعالى فما خاب من استخار.

ثم تأتي بعد ذلك الأخيرة من قواعد كسب الرزق وهي بذل السبب المباح.

لا يستعجل في بذل السبب حتى يرتكب الحرام ويظن أنه سيزاد في رزقه، وإنّما استعجل فابتلي بالحرام ولو صبر لجاءه الرزق من حلال دون أن يتعرض للحرام.

وذكر حديث (يسأل أحدكم رب حاجته ...) ليبين أهمية سؤال كل شيء حتى أدنى شيء، هذا الحديث مختلف فيه بعضهم حسنه وبعضهم ضعفه.

وأيضًا قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ اسأل الله عز وجل ما هو نافع لك في دينك ودنياك.

أيضًا بذل السبب قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وأيضًا حين يخرج من المسجد يقول: (اللهم إني اسألك من فضلك) ويدخل في ذلك الرزق الحلال ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أول ما يبدأ يسأل ربه جل وعلا، والله المستعان .

الوقفة الثانية : في حرص السلف على العمل لِيُعِفُّوا أنفسهم.

فلا يحتاج إلى سلطان ولا إلى غني ولا إلى شخص آخر فيبقى الشخص بعمله عزيزًا مستغنيًا لا يذل نفسه من جهة، ولا يتنازل عن دينه من جهة أخرى، فهناك أناس ضعفت أعمالهم فذلوا للمخلوق، وآخرون بذلوا دينهم ليحصلوا على الرزق، فإذا وجد للإنسان عمل يكتسب منه ضروريات الحياة فهذا أمر طيب، وقد جاء عن غير واحد من السلف بأسانيد صحيحة الحث على كسب الرزق الحلال والاستغناء عن ما في أيدي الناس.

ومن ذلك ما صح عن سفيان من أنه قال: "لولا مهنتي لتمندلوا بي".

وكان الصحابة رضي الله عنهم كلهم من ذوي الأعمال، هذا في الزراعة وهذا في التجارة، وهذا في كذا وكذا، وقد أُلِّف كتاب في الحِرف الذي كان يمارسها العلماء، وأنت تقرأ في تراجمهم فلان الزيات وفلان القصاب وفلان البزاز إلى غير ذلك، لكن ينبغي للشخص ألا يتعمق في الدنيا.

أنت طالب علم لا تتعمق في الدنيا كثيرًا، واقنع بما يكون سدادًا وكفافًا، فالقليل يُذل والكثير يشغل، والكفاف هو الخير كله، قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله تعالى بما آتاه، هذا هو معنى قوله: (ليأخذ المال بسخاوة نفسه) ولا يأخذ بهلع وطمع وجري وراء الدنيا ليلًا ونهارًا، فانظر إلى هذا المثال الحسن قال: يجعل المال بمنزلة الخلاء. أمَّا القلب فيبقى متفرغًا لعلاقة العبد بربه سبحانه، احرص على ذلك قدر الإمكان، فمن أدخل الدنيا إلى قلبه ابتلي بهذا الذي ذكره الشيخ.

الوقفة الثالثة: في الاضطرار إلى الأخذ من الصدقات والتبرعات من أن أجل التفرغ لفعل الخير أو من أجل التفرغ لطلب العلم.

إذا وَجد طالب العلم من الناس الطيبين من يبذل من ماله من أجل أن تتفرغ لطلب العلم فهذا أمر طيب، لا سيما في زماننا هذا الذي صار من الصعب أن الشخص يتفرغ لطلب العلم مع ممارسة أعمال الدنيا والله المستعان، لكن لابد أن يكون هذا من شخص كريم نفس لا يَمُن، وأيضًا لا يكون في ذلك ضرر على الشخص في دينه، ولا يكون عن طريق التسول.

الوقفة الرابعة: في الأخذ من الدنيا يحتاج إلى الحذر.

إذا احتجت إلى العمل في الدنيا فكن في غاية الحذر؛ فإن الدنيا مكّارة تجر شيئًا فشيئًا، وبعض الناس قد يبتلى بالفقر فيكتسب ولا يزال فقيرًا، وكلما جرى لم يزدد إلا فقرًا

حتى يفني عمره، وآخر تفتح له الدنيا فما يزال يجري من رزق إلى أكثر حتى ينسى العلم وينسى ربما بعض الواجبات، فالأخذ من الدنيا يحتاج إلى حذر، كما قال بعض السلف: أنت

محتاج إلى الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتظامه انتظامًا وخذ منه ما تيسر، والله المستعان.

الوقفة الأخيرة: أن الشخص يحتاج في ما يكسب من أرزاق إلى سياسة يسيس نفسه بذلك.

فيحرص أولًا: على أن يختار - وبالذات طلبة العلم- من الأسباب أيسرها الأمور التي يبذل فيها السبب اليسير ويحصل على رزقه، هذا من جهة الأخذ بالسبب، لا يذهب إلى الأسباب التي تذهب الأوقات وتحتاج إلى تفكير كثير .

الأمر الثاني: حين يكتسب ما يسر الله جل وعلا له فعليه أن يعمل بهذه الآية ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ بعض الناس إذا جاءه المال أصابه البذخ والترف والسرف ثم لا يلبث أن يعود فقيرًا يبحث عن الدنيا، فينبغي الحذر لا تسرف ولا تقتر.

وأيضًا من الأمور التي ينبغي أن يكون الشخص مسايسًا لنفسه بها: اغتنام الفرص مثل الأسواق الأسبوعية فهي طيبة، من تيسرت له التجارة الموسمية ففيها رزق طيب ويتيسر له التفرغ لطلب العلم في كثير من أوقاته، وقد ذكرنا أكثر من مرة أن أكثر الناس يوجد لديهم فراغ بعد كسب الرزق لكن لا يوفقون للتفرغ في هذه الأوقات لطلب العلم، وإلا أغلب الناس في العصر والمغرب وهكذا بعد العشاء عنده فراغ، لكن لا يوفق لطلب العلم إلا من وفقه الله تعالى، يذهب الوقت مع الجوالات ومع الأولاد ومع الحدائق وهكذا.

ولو فرغ الإنسان المنشغل في يومه ساعتين لطلب العلم لحصل على خير كثير.

نسأل الله جل وعلا أن يسهل لنا ولجميع المسلمين الخير.

****

(الكلام على الكتب)

قال رحمه الله تعالى: [وَأَمَّا مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مِنْ الْكُتُبِ فِي الْعُلُومِ فَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ وَهُوَ أَيْضًا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ نَشْءِ الْإِنْسَانِ فِي الْبِلَادِ فَقَدْ يَتَيَسَّرُ لَهُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ مِنْ الْعِلْمِ أَوْ مِنْ طَرِيقِهِ وَمَذْهَبِهِ فِيهِ مَا لَا يَتَيَسَّرُ لَهُ فِي بَلَدٍ آخَرَ.

لَكِنَّ جِمَاعَ الْخَيْرِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللهِ سُبْحَانَهُ فِي تَلَقِّي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى عِلْمًا وَمَا سِوَاهُ إمَّا أَنْ يَكُونَ عِلْمًا فَلَا يَكُونُ نَافِعًا؟ وَإِمَّا أَلَّا يَكُونَ عِلْمًا وَإِنْ سُمِّيَ بِهِ. وَلَئِنْ كَانَ عِلْمًا نَافِعًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي مِيرَاثِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مِمَّا هُوَ مِثْلُهُ وَخَيْرٌ مِنْهُ. وَلْتَكُنْ هِمَّتُهُ فَهْمَ مَقَاصِدِ الرَّسُولِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَسَائِرِ كَلَامِهِ. فَإِذَا اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ أَنَّ هَذَا هُوَ مُرَادُ الرَّسُولِ فَلَا يَعْدِلُ عَنْهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى وَلَا مَعَ النَّاسِ إذَا أَمْكَنَهُ ذَلِكَ.]

الشرح:

هذه الجمل لنا معها خمس وقفات

الأولى: في طريقة الابتداء في طلب العلم.

وهذا من المهم بمكان فإن الإنسان ينشأ في بلد، وهذا البلد له طريقته وأسلوبه في طلب العلم وفي اعتماد الكتب وربما أيضًا في المذهب، فالإنسان في بداية طلب العلم ينظر ما عليه أهل بلده، إن كان من الكتب والمذاهب المعتمدة فلا بأس أن يبدأ بها الناس عليه، ويتفهم أصول العلم على مدرسي بلده مع الحذر من أصحاب العقيدة الفاسدة، ويعتني بأصول العلم ولا يستعجل، فإن الإنسان إذا أتقن أصول العلم في أربع خمس سنوات تيسر له بعد ذلك من التمكن في العلم ما لا يتيسر لذلك الذي لم يتأصل في طلب العلم، ولم يفهم الأصول العقيدة واللغة وكذلك المصطلح وأصول الفقه وأصول التفسير إلى غير ذلك من الأصول التي هي كالقواعد يبنى عليها العلم.

ثم بعد ذلك يرحل في طلب العلم يتلقى عن غير أهل بلده، فإن الإنسان لا يستكمل العلم ولا طرق العلم ولا يحصل على أساليب العلم بسعة حتى يلتقي بأكثر من عالم، يستفيد من أسلوب هذا ويستفيد من تنبيهات هذا ويستفيد من سمت ذاك، فيجتمع له علم كبير مع أخلاق أهل العلم.

التنبيه الذي ذكره الشيخ في مسألة ما ينشأ عليه شخص في بلده؛ لأنه اذا لم يسر مع أهل بلده سيتصادم مع المجتمع ويصير وحيدًا، لكن مع ذلك لا يعني هذا التنازل عن العقيدة أو الدراسة عند المنحرفين عقديًا فهذا خطر عظيم.

الوقفة الثانية : في الكتب وترتيبها.

وهذا من المهم بمكان سواء للمطالعة أو للدراسة، فيبدأ بمفاتيح العلم في جميع الفنون، ثم بعد ذلك يقرأ ما فوقه من المستويات ويتدرج إلى أن يجرد المطولات، فمن أهم الكتب في العقيدة في توحيد الألوهية "الأصول الثلاثة" وكذلك و"كشف الشبهات" "والقواعد الأربع" وهكذا "تطهير الاعتقاد" و"كتاب التوحيد للنجدي" أيضًا وما أشبه ذلك من الكتب، مع شروح ما تقدم ذكره.

ومن الكتب في توحيد الأسماء والصفات: "اللامية" "والحائية"، وشرحهما، وهكذا "لمعة الاعتقاد" و"الواسطية" وهو من أنفع الكتب ، "الطحاوية" وشروحها وأفضلها شرح ابن أبي العز، ومن أهم وأفضل الكتب شرح السنة للالكائي في العقيدة.

وأيضًا في الفقه: يبدأ بـ "صفة الصلاة والوضوء" ثم "عمدة الأحكام" للمقدسي "وبلوغ المرام" وهكذا "المنتقى" وإن احتاج أن يدرس الكتب التي هي متون فعليهم بمتون المتقدمين كمتن "الخرقي" "والمزني" وما أشبه ذلك من متقدمي أهل العلم والسنة، فإن المتأخرين أكثروا من الفروع والإشكالات بما يشتت ذهن الطالب.

وكذلك التفسير عليه أولًا بتفسير الفاتحة وقصار المقصر ،ثم بعد ذلك يعتني بالتفاسير الميسرة

كتفسير العلامة السعدي، وأيضًا أرفع مستوى منه تفسير ابن كثير، وتفسير ابن جرير وما أشبه ذلك.

وغالب كتب التفسير المتقدمة فيها دخن من جهة العقيدة، وأفضل كتب هو تفسير الطبري وتفسير ابن كثير وتفسير السعدي وتفسير السمعاني، وتفسير أبي طالب المكي، وما عدا هذه الخمسة فينبغي السؤال عنها قبل القراءة فيها.

كذلك في الحديث يقرأ "الأربعين النووية"، ثم بعد ذلك يقرأ مختصرًا لصحيح البخاري مثلًا، ثم يقرأ صحيح البخاري وكذلك صحيح مسلم، والأمهات الست عمومًا، مسند أحمد لمن قوي عزمه وهمته، الغالب على كتب الحديث أنها كتب طيبة وخالية من شوائب المعتقد وعامة أهل الحديث على عقيدة صافية.

وكذلك يقرأ في مصطلح الحديث وكذلك أصول الفقه واللغة.

ويحذر في أصول الفقه أن يلج في كتب أهل الكلام،كالمستصفى للغزالي، وكتب الرازي، وغيرهما من الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة، وغالب كتب أصول الفقه ألفها المبتدعة فكن منها على حذر حتى تميز خيرها من شرها.

ينبغي أن يعتنى بالرسالة للشافعي، ثم بعد ذلك يقرأ من أصول الفقه التي ألفها الحنابلة كالسمعاني وابن قدامة وغيرهما فإنهم أصفى عقيدة من بقية المذاهب.

والذي ننصح به الشخص أن يسير على طريقة أهل الحديث، فإن أبى إلا أن يتمذهب فعليه بالحنبلي، لأن الحنابلة أصفى عقيدة.

وأما بقية المذاهب فإنهم وإن كان عندهم شيء من التحقيق في الفقه، لكن بسبب أن غالب أصحاب هذه المذاهب أصحاب عقيدة فاسدة خالفوا أئمة المذاهب في عقيدتهم، فالشخص لا يزال ينجر وراء هذه المذاهب حتى ينحرف في عقيدته والعياذ بالله، كما حصل لكثير منهم، وهذا باب واسع بارك الله فيكم .

الوقفة الرابعة: أن الشخص الذي يرغب في التفرغ للعلم ولمطالعة الكتب عليه أن يتقلل من الدنيا قدر المستطاع.

علوم الدنيا لا سيما في عصرنا انفتحت؛ انفتحت انفتاحًا عجيبًا وصار الطلبة في المدارس يتلقون أنواع العلوم الدنيوية وربما يخرجون بلا شيء، ولو أنهم ركزوا على علوم الدين، ثم بعد ذلك في علوم الدنيا يكفي الشخص أن يعتني بالعلم الذي سيتخصص فيه وليس بحاجة إلى بقية العلوم، لكن شتتوا الأذهان بهذه العلوم الدنيوية، الشخص يحتاج أن يدرس حتى يخرج مثلا طبيبًا إلى خمسة وعشرين سنة أو إلى عشرين سنة وكان بإمكانه أن يدرس الابتدائي ويكفي في الابتدائي خمس سنوات، ثم بعد ذلك يتخصص في الطب مع الحفاظ على العلوم الشرعية، لا يصل عمره إلى خمسة وعشرين سنة مثلًا إلا وهو من كبار الأطباء، وهكذا يقال في سائر العلوم.

الوقفة الخامسة: وهي في أهمية فهم كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

فإن العلم هو كلام الله عز وجل وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام، وهو كلام مبارك وفيه من العلم الغزير ما لا يخفى، لكن عليك بالتفهم والتدبر والتأمل والاستخارة والاستعانة بالله عز وجل وكثرة الدعاء أن يكون ما تفهمه وما ترجحه هو مراد الله سبحانه وتعالى.

نسأل الله عز وجل من فضله.



(أصول العلم)

قال: [وَلْيَجْتَهِدْ أَنْ يَعْتَصِمَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ بِأَصْلٍ مَأْثُورٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَإِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ مِمَّا قَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إذَا قَامَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ: (اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وميكائيل وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِك فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اُخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِك إنَّك تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [(١)].

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ قَالَ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ رَسُولُهُ: (يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَنْ هَدَيْته فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ)[(٢)].

وَأَمَّا وَصْفُ " الْكُتُبِ وَالْمُصَنِّفِينَ " فَقَدْ سُمِعَ مِنَّا فِي أَثْنَاءِ الْمُذَاكَرَةِ مَا يَسَّرَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ. وَمَا فِي الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ الْمُبَوَّبَةِ كِتَابٌ أَنْفَعَ مِنْ "صَحِيحِ مُحَمَّدِ بْنِ إسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ" لَكِنْ هُوَ وَحْدَهُ لَا يَقُومُ بِأُصُولِ الْعِلْمِ.

وَلَا يَقُومُ بِتَمَامِ الْمَقْصُودِ لِلْمُتَبَحِّرِ فِي أَبْوَابِ الْعِلْمِ إذْ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ أَحَادِيثَ أُخَرَ وَكَلَامُ أَهْلِ الْفِقْهِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِعِلْمِهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ.

وَقَدْ أَوْعَبَتْ الْأُمَّةُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ إيعَابًا فَمَنْ نَوَّرَ اللهُ قَلْبَهُ هَدَاهُ بِمَا يَبْلُغُهُ مِنْ ذَلِكَ وَمَنْ أَعْمَاهُ لَمْ تَزِدْهُ كَثْرَةُ الْكُتُبِ إلَّا حَيْرَةً وَضَلَالًا؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ: (أَوَلَيْسَتْ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؟ فَمَاذَا تُغْنِي

---

(١) تقدم.

(٢) رواه مسلم (٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها.

عَنْهُمْ؟)[(١)].

فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَرْزُقَنَا الْهُدَى وَالسَّدَادَ وَيُلْهِمَنَا رُشْدَنَا وَيَقِيَنَا شَرَّ أَنْفُسِنَا وَأَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا؟ وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَوَاتُهُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ.]

الشرح:

ولنا مع هذه الجمل خمس وقفات

الأولى: في أهمية حفظ الأصول والقواعد.

سواء كان المقصود من أصول الآيات والأحاديث التي هي أصول العلم، أو الأصول والقواعد التي وضعت للعلم في كل فن، فهذه هي الأصول التي من لم يفهم الأصول حرم الوصول وتعثر في كثير من المسائل، فعليك بحفظ وفهم أصول العلم، وهذا كما تقدم الكلام عليه دراسة أصول العلم الذي يسمى بعلوم الآلة، ثم بعد ذلك إذا جئت إلى أبواب الفقه مثلًا في باب الطهارة هناك عدد من الأحاديث هي أصول باب الطهارة اعتنِ بها،

وهكذا في العقيدة، في كل باب هناك أدلة تعتبر هي أصول هذا الباب، فإذا اعتنيت بذلك اختصرت الوقت وسهل عليك فهم ما عدا ذلك، والله المستعان.

على سبيل المثال في باب النيات والمقاصد عندك حديث عمر (إنّما الأعمال بالنيات)[(٢)] أصل في هذا الباب، ويستفيد الشخص من "الأربعين النووية" فإنه جعل كل حديث أصلًا لباب من الأبواب، وقد ألَّف بعض المعاصرين كتابًا فيما قيل فيه هذا الحديث أصل أو قاعدة أو ما أشبه ذلك.

الوقفة الثانية: للاستمرار في الدعاء.

---

(١) رواه أحمد (٢٤٠٣٦) وغيره عن عوف بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني والوادعي.

(٢) رواه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧) عن عمر رضي الله عنه.

ولا يعجل الشخص، يبذل الأسباب الحسية، ويبذل السبب الأكبر وهو الدعاء والاقبال على الله سبحانه وتعالى، والإخبات بين يديه فإن الله جل وعلا، يفتح على العبد، العلم والخير هو عطاء الله عز وجل فعليك أن تكثر من سؤال هذه الأمور ممن يملكها سبحانه وتعالى، (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم) نسأل الله أن يهدينا إلى كل خير ، وقد تقدم الكلام على الدعاء أكثر من مرة.

الوقفة الثالثة : في أصح الكتب بعد القرآن الكريم.

يعتني الشخص بالقرآن الكريم وتفسيره كثيرًا ففيه علم غزير لا سيما في العقيدة، ثم كتب السنة يعتني بالصحيحين صحيح البخاري وصحيح مسلم حفظًا وفهمًا وتعليقًا واختصارًا وإضافة، يبذل من الجهد حول هذين الكتابين ما يجعله ملمًا بأبوابها، يتفهم تراجم الأئمة، ولا يكفي الاقتصار على الصحيحين، لكن الغالب أن من اعتنى بالأمهات الست وسنن الدارمي ومسند أحمد أنه لا يفوته إلا النزر اليسير .

ونسأل الله تعالى العون والسلامة.

الوقفة الرابعة : في كيفية التعامل مع تزاحم العلوم والدروس والكتب.

العلم كالبحر، لكن كما تقدم الشخص يبدأ بعلوم الآلة.

وهكذا في الحفظ يبدأ بالقرآن الكريم، ثم بمتن الحديث عمدة الأحكام أو رياض الصالحين، لا يبدأ بحفظ المتون التي هي منظومات أو نثر، يبدأ أولًا بكلام الله عز وجل وكلام رسوله حتى يكون صاحب دليل.

ثم بعد ذلك لك أن تحفظ من المنظومات والمتون ما تستعين به على طلب العلم.

فيعتني طالب العلم أولًا بعلوم الآلة ولا يقدم عليها العلوم الأخرى عند التزاحم، لا يقدم شرح البخاري مثلًا، يحرص على علوم الآلة لأنها أصول وقواعد يبنى عليها العلم، ثم بعد ذلك يعتني ابتداءً بما يتعلق بتجويد كلام الله عز وجل وبالعقيدة، يبدأ بهذين الفنين ولا

يزد عليها، فإذا وفق لفهم العقيدة الصحيحة وفهم التلاوة، هنا يبدأ بعد ذلك بعلوم اللغة يأخذ من النحو مثلًا الآجرومية، ويأخذ أيضًا في المصطلح مثلًا البيقونية، يأخذ المستوى الأول من بقية الفنون ، ثم بعد ذلك يأخذ المستوى الثاني يترقى ، وهذا أفضل من الذي يتخصص في فن واحد يتبحر في اللغة مثلًا، أو في المصطلح أو في أصول الفقه، لأن الشخص لا يدري ما يعرض له، فخذ من العلوم بعد فهم العقيدة المستوى الأول وإن يسر الله جل وعلا لك الاستمرار خذ المستوى الثاني وهكذا.

الوقفة الخامسة والأخيرة: ينبغي الحرص على الاستفادة من الكتب ومن العلم لكن مع الحذر من كتب المبتدعة.

وهذا مما فاتنا ذكره في الفصل السابق نذكره في هذا الفصل احذر كل الحذر من الدراسة والمطالعة في كتب أهل البدع، هناك أئمة جبال كبار زلوا وحصل لهم من الخطأ في العقيدة ما لا يتوقع منهم، السبب في ذلك أنهم درسوا عند أهل البدع، فلأن تبقى معتكفًا على كتب السنة وأهل السنة وأشرطتهم خير من أن تدرس عند أهل البدع.

وبعض الناس يقول سنحذر. الغالب أن الطالب يقلد شيخه ويتأثر به، ولكن إذا كان قد تمكن من العلم واحتاج إلى باب من أبواب العلم عند المبتدعة فلا بأس أن يدرس، وإلا فمن رسخت في قلبه العقيدة الفاسدة قَل أن يتوب.

رأينا بعض الأشخاص من الدول التي عندها عقائد فاسدة في أفريقيا مثلًا، وهكذا في بعض المشارقة، مَن يأتي للدراسة في الجامعة الإسلامية في المدينة مثلًا، ويبقى أربع سنوات يسمع العقيدة الصحيحة، ويكتم ما في نفسه فإذا رجع إلى بلده أظهر العقيدة الفاسدة، لماذا؟ لم يتمكن الخير من قلبه لأن قلبه قد شغل بالعقيدة الفاسدة فالحذر كل الحذر.

انظر إلى اليهود عندهم التوراة وجاءه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وعرفوا أنه الحق، لكن

لرسوخ العقيدة الفاسدة في قلوبهم لم يستفيدوا من هذا العلم ومن هذا الخير.

فنكرر ونقول الحذر الحذر من الدراسة عند أهل البدع.

وأيضًا الحذر من الدراسة عند الطائشين من أهل السنة، هناك من أهل السنة من عنده شيء من العلم، لكن لا يقتدي بالعلماء الكبار ولا نظر في هديهم وسمتهم وأخلاقهم.

عنده علم وعنده طيش، فهذا يربي طلاب طائشين مثله، فمثل هذا ينبغي أن تتجنب الدراسة عنده وعليك بكبار العلماء لتستفيد العلم والهدي والسمت والأخلاق، وتكون على سمت أهل العلم، وتسير بسير أهل العلم وتستفيد من حكمة أهل العلم وما أشبه ذلك.

على كلٍّ بارك الله فيكم هذا باب واسع، وهذه الرسالة كانت تحتاج إلى وقت أوسع لكن خير كثير أننا مررنا عليها مرور الكرام.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يجعله حجة لنا لا حجة علينا، اللهم أنا نسألك اللهم الهدى والسداد، اللهم ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا وثبتنا ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

****

٢٠٠

سؤال مفيد

[وجوابُهُ من كِتبِ ابنِ القّيمِ]

[الفوائد – إغاثة اللهفان – حادي الأرواح]

رحمه الله تعالى (ت ٧٥١هـ)

١٠٠ سؤالٍ مفيدٍ

[وجوابُهُ من كِتابِ الفوائدِ]

ويليـــــه

٥٠ سؤالًا مفيدًا

[وجوابُه من كتابِ "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان"]

ويليـــــه

٥٠ سؤالًا مفيدًا

[وجوابُه من كتابِ حادي الأرواح]

لابنِ القَّيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الكريم عظيم المنة، سابغ النعمة، ناصر الدين بأهل السنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فهذه وريقات رائعة، أرجو أن تكون نافعة، ولله تعالى خالصة، كتبتها أثناء مطالعتي على الكتاب النافع (الفوائد) لابن القيم رحمه الله تعالى[١]

وصغتها على هيئة سؤال وجواب ليكون أدعى للقراءة، وصالـحًا للمسابقة، وأنسب لجمهور الناس. والله تعالى أعلى وأعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه / أبو عبدالله المصنعي

ظهران الجنوب، الوادي. صفر لعام ١٤٤١هـ

❊❊❊❊

(١) (طبعة دار الحديث ١٤١٥هـ).

١٠٠ سؤالٍ مفيدٍ

[وجوابُهُ من كِتابِ الفوائدِ]

بسم الله الرحمن الرحيم

س١) ما معنى (نورٌ على نور) الآية؟

ج: هذا نور الوحي على نور الفطرة. ص١

س٢: ما هو العالَـم الأكبر وما هو العالَـم الأصغر؟

ج : العالم الأكبر عالم الآخرة، والأصغر عالم الدنيا. ص١٠

س٣ :براهين البعث مبنية على ثلاثة أصول، ما هي؟

ج : تقرير كمال علم الرب سبحانه، وكمال قدرته، وكمال حكمته. ص١٣

س٤ : ماهي القيامة الصغرى؟

ج : سكرات الموت. ص١٧

س٥ : كيف جعل الله تعالى الأرض ذلولًا؟

ج : بالمشي عليها وحفرها والبناء عليها وشق الطرق... ص٢٧

س٦ :للإنسان قوتان، ما هما ؟

ج : قوة علمية نظرية، وقوة عملية إرادية. ص٢٩

س٧: كمال القوة العلمية بخمسة أمور اذكرها؟

ج : معرفة فاطره وبارئه، ومعرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة الطرق التي توصل إليه، ومعرفة آفاتها، ومعرفة العبد نفسه وعيوبها. ص٢٩

س٨: ما هي أصول الأسماء الحسنى؟

ج : الله، الرب، الرحمن. ص٣٠

س٩: ما هما طرفا الانحراف؟

ج : انحراف إلى الضلال ، وانحراف إلى الغضب.

﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. ص٣١

س١٠ : حكم الله تعالى نوعان ما هما؟

ج : حكمه الديني الشرعي وحكمه الكوني القدري . ص٣٧.

س١١ : ما هو أشرف المخلوقات غير البشرية وأعلاها؟

ج؛: العرش. ص٤٢

س١٢ : ما هي أعلى الجنات وأشرفها؟

ج : الفردوس.

س١٣ : متى يكون القلب متقبلًا لما يلقى إليه؟

ج : إذا كان فارغًا من ضد ذلك. فإذا امتلأ بالباطل لم يقبل الحق. والعكس بالعكس.
ص٤٥.

س١٤ : ما علاقة انتفاع الأذن بالعين؟

ج : من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بإذنه. ص٤٨

س١٥ : أيهما أشد إضاعة الوقت أو الموت؟

ج: إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله تعالى وعن الدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها. ص٤٩.

س١٦ : ما هو أعظم الربح؟

ج: أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أنفع لها في معادها. ص٤٩

س١٧: ما هو دليل قبول الحسنات؟

ج: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها. ص٥٤.

س١٨: ما هو مثل الذنوب؟

ج: الذنوب جراحات، ورُبَّ جرح وقع في مقتل. ص٥٩

س١٩ : من هو الصادق الضعيف والصادق القوي؟

ج: الضعيف من فقد أنسه بالله تعالى بين الناس ووجده في الوحدة.

والقوي من وجد الأنس بالله تعالى بين الناس ووجده في الخلوة.

ومن فقده في الحالين فهو ميت ومن فقده في الخلوة فهو معلول. ص٦٢.

س٢٠ : ما هو مثل الدنيا؟

ج : الدنيا كامرأة بغي لا تثبت مع زوج. ص٦٥

س٢١: ما مثل العمل بغير إخلاص ولا اقتداء؟

ج : كمثل مسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه. ص٧١

س٢٢ : بماذا يتفاوت الناس؟

ج: بالهمم لا بالصور. ص٧١

س٢٣ : إلى كم ينقسم الاجتماع بالناس؟

ج: قسمان: أحدهما: اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت وهذا مضرته أرجح.

الثاني: اجتماع على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر فهذا من أعظم الغنائم.

س٢٤: ما هو مفزع الخلق عند الشدة؟

ج : التوحيد مفزع أولياء الله تعالى ومفزع أعدائه... ص٧٦.

س٢٥ : دخول النار من ثلاثة أبواب، ما هي؟

ج: باب شبهة.. وباب شهوة.. وباب غضب.. ص٨٤.

س٢٦ : متى تكون عارفًا بالله تعالى ثم بنفسك؟

ج: حين ينطبق عليك هذا المقال:

من عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه.

ومن عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس. ص٨٣

س٢٧: من أخسر الناس؟

ج: أخسر الناس صفقة من اشتغل عن نفسه بالناس. ص٨٤

س٢٨: لماذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من المأثم والمغرم؟

ج: استعاذ منهما لأن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا. ص٨٦.

س٢٩ : ما هو أفرض الجهاد؟

ج: أفرض الجهاد؛ جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا. ص٨٦

س٣٠: ما هي أعلى الهمم في طلب العلم؟

ج: أعلاها طلب علم الكتاب والسنة، وفهم مراد الله سبحانه ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم. ص٨٩

س٣١: ما الحكمة من كون القلم أول المخلوقات وآدم آخرها؟

ج : لأن القلم آلة العلم والإنسان هو العالم. ص٩٤.

س٣٢: متى يستريح العابد؟

ج: ليس للعابد مستراح إلا تحت شجرة طوبى. ص١٠٠

س٣٣: من هو الذي تُعديك مجالسته ؟

ج : اجتنب من يعادي أهل الكتاب والسنة لئلا يعديك خسرانه. ص١٠٨.

س٣٤: احترز من عدوين بهما هلك أكثر الخلق من هما؟

ج: الأول: صاد عن سبيل الله تعالى بشبهاته وزخرف قوله.

الثاني: مفتون بدنياه ورئاسته. ص١٠٨

س٣٥: متى تصح محبتك لله تعالى؟

ج: إذا صحت محبتك لله تعالى استوحشت ممن لا يذكِّرك بالله سبحانه وتعالى. ص١١٢

س٣٦: ما هي أصول المعاصي؟

ج :ثلاث: تعلق القلب بغير الله تعالى، وطاعة القوة الغضبية، وطاعة القوة الشهوانية.

وهي: الشرك والظلم والفواحش. ص١١٨

س٣٧: ما هو أعظم العدل، وما هو أظلم الظلم؟

ج: أعدل العدل التوحيد، وأظلم الظلم الشرك. ص١١٨.

س٣٨: ماهي أنواع هجر القرآن؟

ج : هجر الإيمان به، وهجر سماعه، وهجر العمل به، وهجر تحكيمه، وهجر تدبره، وهجر الاستشفاء به... ص١١٩

س٣٩: للإيمان ظاهر وباطن ما هما ؟

ج: ظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته... ص١٢٤

س٤٠ : التوكل على الله تعالى نوعان ما هما؟

ج: أحدهما: توكل في جلب نفع أو دفع ضر. ثانيهما: توكل في حصول ما يحبه الله تعالى ويرضاه. ص١٢٥

س٤١ : ما هي غاية الجهل في الشكوى؟

ج: الجاهل يشكوا الله تعالى إلى الناس.

س٤٢ : كيف تحصل الحياة النافعة؟

ج: الحياة النافعة تحصل بالاستجابة لله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له. ص١٢٨

ش٤٣: من أكمل الناس حياة؟

ج: أكملهم استجابة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. ص١٢٨

س٤٤: متى تتم الرغبة في الآخرة؟

ج: لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا. ص١٣٧

س٤٥: ما ضرر مؤاثرة الدنيا على أهل العلم؟

ج: كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلابد أن يقول على الله تعالى غير الحق في فتواه وحكمه... ص١٤٦.

س٤٦: ما هي آفة العابد الجاهل؟

ج: وأما العابد الجاهل فآفته من إعراضه عن العلم وأحكامه، وغلبة خياله وذوقه وما تهواه نفسه... ص١٤٩

س٤٧: اذكر برهانًا على ضلال أهل البدع؟

ج: ما ترى فيهم من التناقض والاختلاف، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ص١٥٤

س٤٨: من هو أغبى الناس؟

ج: أغبى الناس من ضل في آخر سفره وقد قارب المنزل... ص١٥٨

س٤٩: ما هي طرق الوصول إلى الله تعالى؟

ج: ملازمة السنة والوقوف معها في الظاهر والباطن، ودوام الافتقار إلى الله تعالى، وإرادة وجهه وحده بالأقوال والأفعال. ص١٥٨.

س٥٠: ماهي أصول السعادة؟

ج: الأصول التي انبنى عليها سعادة العبد ثلاثة:

التوحيد والسنة والطاعة، وضدها أصول الشقاوة: الشرك والبدعة والمعصية. ص١٥٨.

س٥١: بمَ تميز العالمون بالله تعالى؟

ج: بمعرفة سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، ومعرفة سبيل المجرمين معرفة تفصيلية. ص١٥٩.

س٥٢: ما هما أعظم الإضاعات؟

ج: إضاعتان: إضاعة القلب، وإضاعة الوقت. ص١٦٤.

س٥٣: عشرة أشياء ضائعة اذكرها؟

ج: علم لا يعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء، ومال لا ينفق منه، وقلب فارغ من محبة الله تعالى، وبدن معطل من طاعته، ومحبة لا تتقيد برضا الرب، ووقت معطل عن بر أو توبة، وفكر يجول فيما لا ينفع، وخدمة من لا ينفعك في دينك أو دنياك، وخوفك ورجاؤك ممن ناصيته بيد الله تعالى... ص١٦٤

س٥٤: كيف يكون حالك مع تغير الناس؟

ج: إذا استغن الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله تعالى.

وإذا أَنِسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله تعالى... ص١٧٢

س٥٥: كم أقسام الزهد؟

ج: زهد في الحرام وهو فرض عين.

وزهد في الشبهات منه الواجب ومنه المستحب.

وزهد في فضول الكلام والطعام والمنام.

وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله تعالى... ص١٧٣

س٥٦: أيها أعظم جرمًا ترك الأمر أو ارتكاب النهي في الجملة؟

ج: ترك الأوامر أعظم عند الله تعالى من ارتكاب المناهي من وجوه عديده...

وذكرَها. ص١٧٤.

س٥٧: مبنى الدين على قاعدتين ما هما؟

ج: الذكر والشكر قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾. ص١٨٨

س٥٨: ما هو أساس الفجور؟

ج: الكذب أساس الفجور. ص١٩٩

س٥٩: ما هو أصل الأخلاق؟

ج: أصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة.

وأصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والدناءة.   ص٢١١

س٦٠ : ما هما المكروهان؟

ج: الفقر والموت.   ص٢١٤

س٦١: ما شر الندامة والضلالة؟

ج: شر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وشر الضلالة الضلال بعد الهدى... ص٢١٥

س٦٢: ما هو أشرف الموت؟

ج: قتل الشهداء.

س٦٣: من أولى بطول السجن؟

ج: ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان. ص٢١٨

س٦٤: اطلب قلبك في ثلاثة مواطن، ما هي؟

ج: عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي الخلوة. ص٢١٩

س٦٥: ما هو الذي لا يجتمع مع الإخلاص؟

ج: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس... ص٢٢٠

س٦٦: كيف الوصول إلى المطلوب؟

ج: الوصول إلى المطلوب موقوف على هجر العوائد وقطع العلائق. ص٢٢٦.

س٦٧: ما هي علامة السعادة؟

ج: من علامات السعادة والفلاح: أن العبد كلما زِيد في علمه زيد في تواضعه ورحمته، وكلما زِيد في عمله زِيد في خوفه وحذره، وكلما زِيد في عمره نقص من حرصه... ص٢٢٨

س٦٨: كم أركان الكفر؟

ج: أركان الكفر أربعة: (الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة). ص٢٣٢

س٦٩: ما هي المعيشة الضنكا؟

ج: عذاب القبر. ص٢٤٩

س٧٠: بمَ يأمر العارف الناس؟

ج: العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا، فإنهم لا يقدرون على تركها، ولكن يأمرهم بترك الذنوب... فترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة. ص٢٥٠.

س٧١: معرفة الله تعالى نوعان، ما هما؟

ج: معرفة إقرار... ومعرفة توجب الحياء منه والمحبة له والخوف منه. ص٢٥١

س٧٢: المعرفة الثانية لها بابان، ما هما؟

ج: باب التفكر في آيات القرآن...، وباب التفكر في آيات الكون المشهودة... ص٢٥٢

س٧٣: المواساة للمؤمنين أنواع اذكر بعضها؟

ج: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن، ومواساة بالخدمة، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالوجع لهم...ص٢٥٣

س٧٤: ما هو الذي يوجب التعب الكثير للسالك؟

ج: الجهل بالطريق وآفاتها. ص٢٥٤.

س٧٥: كم عدد النعم على العبد جملة؟

ج: النعم ثلاث: نعمة حاصلة، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة هو فيها... ص٢٥٥

س٧٦: ما هي الآفة الخفية؟

ج: من الآفات الخفية العامة أن يكون العبد في نعمة أنعم الله تعالى بها عليه واختارها له؛ فيمَلَّها العبد ويطلب الانتقال منها إلى غيرها. ص٢٦٧

س٧٧: جمال الرب جل جلاله على أربع مراتب، اذكرها؟

ج: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء... ص٢٧٠

س٧٨: ما أعظم شيء ينفع العبد؟

ج: ليس للعبد شيء أنفع من صدقه مع ربه تعالى في جميع أموره، مع صدق العزيمة.

ص٢٧٦.

س٧٩: ما هو أعظم الظلم والجهل بعد الشرك؟

ج: من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير لك من الناس، وقلبك خالٍ من تعظيم الله تعالى وتوقيره. ص٢٧٨

س٨٠: كيف تتمم نقائص خِلقتك؟

ج: العاقل المؤيد بالتوفيق من يتمم نقائص خلقته بفضائل أخلاقه وأعماله. ص٢٨٠

س٨١: أين منتهى سفر الإنسان؟

ج: الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حط عن رحالهم إلا في الجنة أو في النار.

ص٢٨٢

س٨٢: كم طرق للشيطان على الإنسان؟

ج: كل ذي لب يعلم أنه لا طريق للشيطان عليه إلا من ثلاث طرق:

الأولى: التزيد والإسراف.

الثانية: الغفلة.

الثالثة: تكلف مالا يعنيه من جميع الأشياء. ص٢٨٣

س٨٣: من أنفع الناس لك؟

ج: أنفع الناس لك رجل مكنك من نفسه حتى تزرع فيه خيرًا؛ فإنه نعم العون لك.

ص٢٨٥

س٨٤: صف لنا اللذة المحرمة؟

ج: اللذة المحرمة ممزوجة بالقبح حال تناولها، مثمرة للألم بعد انقضائها. ص٢٨٥

س٨٥: ما هي الإنابة؟

ج: الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته... ص٢٩٠

س٨٦: ما أسباب الشهقة عند سماع القرآن؟

ج: لها أسباب: الشوق والحزن والخشية والمحبة... وصاحبها إما صادق وإما سارق وإما منافق. ص٢٩٢.

س٨٧: ما العلاقة بين الرأي والشجاعة؟

ج: صحة الرأي لقاح الشجاعة، فإذا اجتمعا كان النصر والظفر، وإذا قعدا فالخذلان والخيبة، وإن وجد الرأي بلا شجاعة فالجبن والعجز، وإن حصلت الشجاعة بلا رأي فالتهور والعطب. ص٢٩٦

س٨٨: للعبد بين يدي الله تعالى موقفان ما هما؟

ج: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بالموقف الأول هون عليه الموقف الآخر. ص٢٩٧

س٨٩: متى تذم لذات الدنيا؟

ج: تذم لذات الدنيا اذا تضمنت فوات لذة أعظم منها وأكمل... وهي لذة الطاعات والآخرة. ص٢٩٧

س٩٠: ماهي أجلُّ غايات العبد؛؟

ج: الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد. ص٢٩٨.

س٩١: من هو المحبوب لذاته؟

ج: لا يحب لذاته إلا الله تعالى. ص٢٩٩

س٩٢: ما سبب التوفيق والخذلان؟

ج: سبب التوفيق أهلية المحل وقابليته.

وسبب الخذلان عدم صلاحية المحل وقبوله. ص٣٠٤

س٩٣: متى يُمَكَّن للعبد؟

ج: لا يمكَّن حتى يبتلى فيصبر. ص ٣٠٧ - ٣٠٩

س٩٤: ما هو الغي؟

ج: الغي اتباع هوى النفس. ص٣١٢

س٩٥: من هو الذي يصلح للإمامة؟

ج: البصير الصابر الموقن. ص٣١٤.

س٩٦: النفس تشبه ماذا؟

ج: تشبه النار في سرعة حركتها وإفسادها وغضبها... ص٣١٤

س٩٧: ماذا يقال لمن أطاع مَن يُغويه؟

ج: يقال له: استخفه ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ سورة الزخرف ص٣١٤.

س٩٨: ما علامات الشقاوة؟

ج: أن العبد كلما زيد في علمه زيد في كبره، وكلما زيد في عمله زيد في فخره...ص٢٢٩

س٩٩: ما اسم ابن القيم رحمه الله تعالى؟

ج: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الدمشقي.

س١٠٠: ما رأيك في كتاب الفوائد؟ وفي أوراقنا هذه؟

ج ....

تم ولله الحمد والمنة، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

٥٠

سؤال

[وجوابُه من كتاب

"إغاثة اللهفان لابن القيم"]

بسم الله وبه نستعين

س١: ما موضوع كتاب " إغاثة اللهفان(١) "؟

ج: موضوعه علاج القلوب من أمراضها، وبيان تلاعب ومداخل الشيطان عليها، والتحذير منها.

س٢: كم أقسام القلوب؟

ج: تنقسم إلى: صحيح وسقيم وميت. ص١١ .

س٣: ما هو القلب الصحيح؟

ج: هو القلب السليم، السالم من الشهوات المحرمة، وكل شبهة تعارض شرع الله تعالى. ص١١.

س٤: ما صفة القلب الميت؟

ج: هو القلب الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره، بل غارق في شهواته، وشبهاته. ص١٢

س٥: عرف القلب المريض؟

ج: قلب له حياه وبه علة. من حسد أو شهوة أو كبر.... ص١٢-١٣

(١) طبعة دار الحديث ١٤٣٠هـ.

س٦: إلى كم تنقسم القلوب عند ورود الفتن؟

ج: إلى قلبين:

الأول: أسود مرباد، وهو الذي يقبل الفتن حتى لا يعرف الحق ولا ينقاد إلا لهواه.

الثاني: أبيض صافٍ، وهو الذي لا يقبل الفتن، قد أشرق فيه نور الإيمان. ص١٤.

س٧: قسَّم حذيفة القلوب إلى أربعة أقسام... اذكرها؟

ج: قال: القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن،

وقلب أغلف فذلك قلب الكافر،

وقلب منكوس فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر وأبصر ثم عمي،

وقلب تمده مادتان: مادة إيمان ومادة نفاق، وهو لمن غلب عليه منهما. ص١٤.

س٨: هل يمرض القلب؟

ج: نعم قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ ص١٧.

س٩: كيف تحفظ صحة القلب؟

ج: القلب محتاج إلى ما يحفظ عليه صحته وقوته، وهو الإيمان وأوراد الطاعات، وإلى حمية عن المؤذي الضار، وذلك باجتناب الآثام والمعاصي، وأنواع المخالفات، وإلى استفراغ من كل مادة فاسدة تعرض له وذلك بالتوبة النصوح. ص١٩

س١٠: كم أنواع مرض القلب؟

ج: مرض القلب نوعان:

مرض الشهوات والشبهات والجهل والشكوك...

ومرض مؤلم في الحال: كالغم والحزن والغيظ.

الأول: علاجه إلى الرسل وأتباعهم فهم أطباء هذا المرض.

الثاني: علاجه بأدوية طبيعية كإزالة أسبابه... ص٢١.

س١١: حياة القلب بأمرين، ما هما؟

ج: العلم والإيمان، وموت القلب بفقدها. ص٢٥

س١٢: كيف يكون كمال العبد؟

ج: كمال العبد في أن يكون عالما بالحق متبعًا له معلمًا لغيره، مرشدًا له. ص٣١.

س١٣: ما جماع أمراض القلب وما شفاؤها؟

ج: جماع أمراضه هي أمراض الشبهات والشهوات والقرآن الكريم شفاء للنوعين، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. ص٤٧

س١٤ : ما علاقة العين بصلاح القلب وفساده؟

ج: غض البصر يوجب حلاوة الإيمان ولذته... والنظر إلى الصور الجميلة - المحرمة - تحرك القلب وتتعبه، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته ، فإن النظر يولد المحبة ثم تقوى فتصير غرامًا يلزم القلب... ص٥١.

س١٥ : ما تفسير ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾؟

ج: جمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب ههنا القلب والمراد بطهارتها إصلاح الأعمال والأخلاق. ص٥٧

س١٦ : ما ضرر الخطايا على القلب؟

ج: الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفًا فيرتخي القلب وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه... ص٦٠

س١٧ : ما أغلظ أدناس القلوب؟

ج: العشق والشرك، ولهذا كان العشق والشرك متلازمين... فليس في الذنوب أفسد للقلب منهما... ص٦٦

س١٨ : ما علامة صحة القلب؟

ج: كلما صح القلب من مرضه ترحل إلى الآخرة وقرب منها حتى يصير من أهلها، وكلما مرض القلب واعتل آثر الدنيا واستوطنها حتى يصير من أهلها. ص٧٣.

س١٩: ما هو أطيب ما في الدنيا؟

ج: محبة الله تعالى والأنس به، والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره وشكره. ص٧٤

س٢٠: من أين ترد على القلب الآفات؟

ج: إن سائر أمراض القلب إنها تنشأ من جانب النفس، فالمواد الفاسدة كلها تنصب إليها، ثم تنبعث منها إلى الأعضاء وأول ما تنال القلب. ص٧٧

س٢١: ما أحوال النفس وصفاتها؟

ج٢١: ثلاث: النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء. ص٧٨

س٢٢: كيف علاج القلب من عدوى النفس؟

ج: له علاجان: محاسبتها ومخالفتها، وهلاك القلب من إهمال محاسبتها، ومن موافقتها واتباع هواها. ص٨٠.

س٢٣: محاسبة النفس نوعان، ما هما؟

ج٢٣: نوع قبل العمل ونوع بعد العمل:

فالأول: أن يقف عند أول همة وإرادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه.

الثاني: محاسبتها على التقصير، والترك... ص٨٣ – ٨٤

س٢٤: اذكر بعض المصالح من محاسبة النفس؟

ج: منها الاطلاع على عيوبها فيمقتها في ذات الله تعالى.

ومقت النفس في ذات الله تعالى من صفات الصديقين، ويخلِّص النفس من العجب ورؤية العمل، ويفتح باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه... ص٨٦ - ٩١

س٢٥: كيف يمنع تسلط الشيطان على القلب؟

ج: التوحيد والتوكل والإخلاص يمنع سلطانه، والشرك وفروعه يوجب سلطانه- أي تسلطه. ص١٠٢

س٢٦: ما تفسير ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ﴾؟

ج: جمع لهم مع الضلال أن أوهمهم أنهم ينالون حظهم من الآخر... والنفس الخسيسة تلتذ بالأماني الباطلة والوعود الكاذبة وتفرح بها... ص١٠٦ - ١٠٧

س٢٧: كيف يكيد الشيطانُ أهلَ الطاعة؟

ج: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر. ص١١٤

س٢٨: ما أعظم مكايد الشيطان في العبادات؟

ج: الوسوسة في الوضوء والنية والصلاة... حتى صعَّب عليهم الطاعة. ص١٢٣ - ١٣٢

س٢٩: ما موقف الموسوس من الصلاة في النعال؟

ج: مما لا تطيب به قلوب الموسوسين: الصلاة في النعال، وهي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فعلًا وأمرًا. ص١٤١.

س٣٠: ما ضرر الاشتغال بالبدع؟

ج: إن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن... ص١٩٢

س٣١: ما ثمرة تدبر القرآن؟

ج: من أصغى إلى كلام الله تعالى بقلبه وتدبَّره وتفهَّمه أغناه عن السمع الشيطاني الذي يصد عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة، وينبت النفاق في القلب... ص١٩٢

س٣٢: من هو السفيه الفاسق؟

ج: من دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا الناس إلى ذلك كان سفيهًا فاسقًا. ص٢٠٥

س٣٣: من شر من ابتلي بهم الإسلام؟

ج: طائفتان: المحللون لما حرم الله تعالى.

والمتقربون إلى الله تعالى بما يباعدهم عنه. ص٢٠٤.

س٣٤: اذكر بعض ما يسمى به الغناء؟

ج: اللهو، الزور، اللغو، الباطل، رقية الزنا، منبت النفاق، الصوت الأحمق، الصوت الفاجر، صوت الشيطان، السمود. ص٢١٢ – ٢٢٧.

س٣٥: لماذا ورد النهي عن التشبه بالكفار؟

ج: لأن المتشابهة الظاهرة ذريعة إلى الموافقة الباطنة؛ فإنه إذا أشبه الهديُ الهديَ أشبه القلبُ القلبَ. ص٣٠٥

س٣٦: كم أنواع الحيل؟

ج: الحيل ثلاثة أنواع: نوع هو قربة وطاعة، ونوع هو جائز ومباح، ونوع هو محرم ومخادعة... ص٣٢٢.

س٣٧: ما سبب محبة الظلم؟

ج: محبة الظلم والعدوان سببها فساد العلم، أو فساد القصد أو فسادهما معًا جميعًا. ص٤٤٣.

س٣٨: ما هو أصل الفواحش؟

ج: أصلها المحبة لغير الله تعالى. ص٤٥٩

س٣٩: كيف تنال إمامة الدين؟

ج: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. ص٤٦٩

س٤٠: كيف تندفع الفتن؟

ج: بكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة، والله المستعان. ص ٤٦٩

س٤١: ما أسباب عبادة الأصنام؟

ج: الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته. ص٥١٧

س٤٢: ما هو أصل بلاء العالم؟

ج: داء التعطيل، وداء الإشراك، وداء مخالفة الرسول وجحد ما جاء به أو شيء منه، هو أصل بلاء العالم، ومنبع كل شر، وأساس كل باطل... ص٥٤٠.

س٤٣: من أعظم شركًا أرسطو أم أفلاطون؟

ج: أرسطو الفيلسوف. أما أفلاطون فكان عنده بعض من توحيد الربوبية[١]...ص٥٤٩

س٤٤: ما حقيقة دين ابن سيناء وأصحابه؟

ج: كان هؤلاء زنادقة يتسترون بالرفض ويبطنون الإلحاد المحض. ص٥٤٩

س٤٥: ماذا جمعت النصرانية من شر؟

ج: جمعت بين الشرك وعيب الإله وتَنَقُّصه، وتنقُّص نبيهم وعيبه ومفارقة دينه بالكلية... ص٥٦٦.

س٤٦: ماحكم الصور؟

ج: إن هذه الصور مقام الأصنام، فمن سجد للصورة فهو كمن سجد للأصنام... ص٥٦٨.

---

(١) كان يقر بالربوبية إجمالًا ولم يكن يفهم التوحيد كما يجب.

س٤٧ : ما هو أول تلاعب الشيطان باليهود؟

ج: أول تلاعب الشيطان بهذه الأمة في حياة موسى عليه السلام حيث قالوا: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ الآيات. ص٥٧٨

س٤٨ : ماحكم الانحناء عند اللقاء؟

ج: انحناء المتلاقين أحدهما لصاحبه عند السلام من السجود المحرم وفيه نهى صريح. ص٥٨٥.

س٤٩ : من هو الذبيح؟

ج: هو إسماعيل عليه السلام، والقول بأنه إسحاق مردود من عشرة أوجه... وذكرَها.. ص٦١٨

س٥٠ : كيف رأيت هذه الأسئلة والأجوبة؟

ج: ....

تم ولله الحمد والمنة

وصلى الله على محمد وآله وأصحابه.

****



سؤالًا مفيدًا

[وجوابه مقتبس من كتاب "حادي الأرواح"]

بسم الله الرحمن الرحيم

س١ : هل الجنة موجودة الآن[١]؟

ج : لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم. ص١٥ .

س٢ : ما هي الجنة التي أهبط منها آدم عليه السلام؟

ج: هي جنة الخلد وهو قول الجمهور... بتصرف ص٢٤

س٣: كم عدد أبواب الجنة؟

ج: عددها ثمانية. ص٤٥ – ٤٩.

س٤ : كم سعة الباب؟

ج: إن مصارعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة. ص٥٠

س٥: كم عدد أبواب النار؟

ج: إن للنار سبعة أبواب. ص٥٤

(١) حادي الأرواح طبعة الكتب العلمية ١٤٢٠هـ

س٦ : أين توجد الجنة؟

ج : الجنة في غاية العلو والارتفاع... والفردوس أعلاها وأوسعها وخيرها وسقفها العرش... ص٥٦

س٧: ما هو مفتاح الجنة؟

ج: شهادة أن لا إله إلا الله. مفتاح الجنة التوحيد. ص٥٧

س٨: ما مفتاح كل خير؟

ج: مفتاح كل خير الرغبة في الله تعالى والدار الآخرة.

ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل... وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر... ص٥٨.

س٩: بماذا يوقَّع لأصحاب الجنة عند الموت وعند دخولها؟

ج: قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾. وفي الحديث: "اكتبوا كتاب عبدي في عليين". ص٥٩

س١٠ : هل الجنة درجات؟

ج: إن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. ص٦٤ – ٦٥

س١١ : ماهي أعلى درجة في الجنة؟

ج: هي الوسيلة قال صلى الله عليه وسلم: " إنها أعلى درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله تعالى..." ص٦٧

س١٢ : ما هو ثمن الجنة؟

ج: الجنة ثمن لنفوس المؤمنين: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ الآية. ص٦٩.

س١٣ : اذكر أسماء الجنة؟

ج: الجنة، دار السلام، دار الخلد، دار المقامة، جنة المأوى، جنة عدن، دار الحيوان، جنة النعيم، المقام الأمين، مقعد صدق، قدم صدق... ص٧٧-٨١

س١٤ : كم عدد الجنات؟

ج: هي جنات كثيرة جدًا، ومردها إلى أربع: " جنتان من ذهب وجنتان من فضة" وقد قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ فذكرهما ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ فهذه أربع. ص٨٢

س١٥ : ما هي الجنة التي هي سيدة الجنان؟

ج: جنة الفردوس، وقيل: جنة عدن. ص٨٥- ٨٦

س١٦ : من أول من يقرع باب الجنة ويدخلها؟

ج: قال صلى الله عليه وسلم: (أنا أول من يفتح باب الجنة). ص٨٩.

س١٧ : من أول الأمم دخولًا الجنة؟

ج: قال صلى الله عليه وسلم: (نحن أول من يدخل الجنة) هو وأمته. ص٩٠.

س١٨ : من أول الأمة سبقًا إلى الجنة؟

ج: السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات. ص٩٣

س١٩ : أيهما أسبق دخولًا (الفقراء أم الأغنياء) الصالحون؟

ج: يسبق الفقراء، بحسب أحوال الفقراء والأغنياء فمنهم من يسبق بأربعين سنة، ومنهم من يسبق بخمسمائة سنة... ص٩٤ص٩٤ – ٩٥

س٢٠ : كم أصناف أهل الجنة؟

ج: بالجملة أهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. ص٩٨

س٢١ : من هم أكثر أهل الجنة؟

ج: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم. ص٩٩

س٢٢: من أكثر في الجنة الرجال أم النساء؟

ج: النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك في النار أكثر.

وكثرتهن في الجنة بالحور العين. ص١٠١

س٢٣: ما صفة وعدد أول زمرة تدخل الجنة؟

ج: سبعون ألفا على صورة القمر ليلة البدر. ص١٠٤

س٢٤: ما صفة بناء وطين الجنة؟

ج: بناؤها لبنة فضة ولبنة ذهب، وطينها المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران، كما في الحديث. ص١٠٩.

س٢٥: ما صفة غرفها وقصورها ؟

ج: الغرف جنس كالجنة مبنية من ذهب وفضة بعضها أعلى من بعض، يرى ظاهرها من باطنها. وقصورها كذلك وفيها خيام، الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا... ص١١٧

س٢٦ : كيف يعرف أهل الجنة منازلهم منها؟

ج: قال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ بيَّنها بما يعلم به كل أحد منزله وداره من غير سؤال أحد. ص١١٧

س٢٧: كيف صفة أهل الجنة؟

ج: على صورة آدم عليه السلام ستون ذراعًا طولًا جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثون سنة.، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر. ص١٢٢

س٢٨: ماهي تحفة أهل الجنة؟ أول ما يأكلون؟

ج: زيادة كبد النون – الحوت. ص١٢٦.

س٢٩: كيف رائحة الجنة؟

ج: ريحها يوجد من مسيرة مائة عام أو أقل بحسب العمل. ص١٢٨

س٣٠ : ما هو الأذان الذي يكون في الجنة؟

ج: النداء: يا أهل الجنة لا موت، و يا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه. ص ١٣١

س٣١: ما صفة أشجار الجنة؟

ج: من كل فاكهة زوجان، لا مقطوعة ولا ممنوعة، أصولها اللؤلؤ والذهب، كثيرة، غصونها متدليه. ص١٣٢ – ١٣٥

س٢٣: ما أعظم شجرة؟

ج: طوبى، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها. ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾، تنبت على أصل واحد وينفرش أعلاها، عظم أصلها لو ارتحلت جذعة من الإبل لماتت هرمًا ولم تحط بأصلها. ص١٣٤ – ١٣٥.

س٣٣: مواصفات ثمار الجنة؟

ج: فاكهة كثيرة، قطوفها دانية، الثمرة أمثال القلاب والدلاء، طيب الرائحة، إذا نزع حبة عادت أخرى، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل. ص١٣٧ - ١٣٩

س٣٤: صف أنهار الجنة؟

ج: أنهار حقيقية جارية تحت الغرف والبساتين، أنهار من عسل مصفى، وأنهار من لبن لم يتغير، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من ماء غير آسن، حافة النهر اللؤلؤ والمرجان، وطينه المسك الأذفر. ص١٤١ - ١٤٤

س٣٥: صف لنا شراب الجنة؟

ج: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾. خلط الشراب بالكافور والزنجبيل، يطهر بواطنهم ولا يظمأ بعده أبدًا، يوضع الشراب في كأس دهاقًا، أي: ممتلئة. ص١٤٥.

س٣٦: ما هو طعام أهل الجنة؟

ج: الفواكه ولحم طير وصنوف كثيرة لا تشبه بعضها، يأكلون ويشربون فيكون جشاء كريح المسك. ص١٤٧ - ١٥٠

س٣٧: ما آنيتهم؟

ج: صحاف من ذهب، وآنية من فضة. ص١٥١-١٥٣

س٣٨: ما لباسهم؟

ج: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾، قال ﷺ: (لا تبلى ثيابهم)، (على كل حورية سبعون حلة يرى مخ سوقها من وراء الحلل واللحم). ص١٥٤-١٥٩

س٣٩: كيف فرشهم؟

ج: من حرير: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وظهرها أجمل، ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ مرتفعة، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ والزرابي الوسائد. ص١٦٠ – ١٦١.

س٤٠: اذكر بعض وصف مساء الجنة؟

ج: مطهرة من كل عيب وحيض ومذمة.

- حور عين: شابة حسناء بيضاء شديدة سواد العين.

- كأنهن اللؤلؤ والمرجان من عظيم جمالهم.

- قاصرات الطرف لا تنظر إلا إلى زوجها لقناعتها به.

- عربا أترابًا: شابات كلهن في غاية الحسن والتودد.

- أبكارًا: لم يجامعها أحد قبل زوجها وإنها لتعود بكرًا كل يوم.

- كواعب أتراب: النواهد الكعوب كالرمان غير متدلية.

- يرى صورته في خدها. ص١٧٦ - ١٨٠

س٤١ : من أكمل الناس لذة بالنساء في الجنة؟

ج: أكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في الدنيا عن الحرام. ص١٨٣ .

س٤٢ : هل يتزاور أهل الجنة؟

ج: نعم يزور بعضهم بعضا ويتذاكرون ما كان بينهم في الدنيا.   ص١٩٧ – ١٩٨

س٤٣ : هل يزورون الله تعالى؟

ج: يؤذن لهم في يوم المزيد فيزورون الله تعالى، فيوضع لهم منابر من نور،. فيرجعون وقد زادهم حسنًا وجمالها.   ص٢٠١ – ٢٠٢

س٤٤ : هل يرى أهل الجنة ربهم؟

ج: يرونه تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة.. وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون ولمثلها فليعمل العامل. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ص٢١٤–٢٤٩

س٤٥ : هل يكلم أهلَ الجنة ربُّهم تعالى؟

ج: يكلمهم سبحانه وتعالى ويكلمونه. ص٢٥٢ .

س٤٦ : مَن آخر من يدخل الجنة؟

ج: رجل يكون آخر من يخرج من النار فيدخل الجنة فيعطى كل ما تمنى وعشرة أمثاله.
ص٢٨١ – ٢٨٣

س٤٧: هل ينام أهل الجنة؟

ج: النوم أخو الموت وأهل الجنة لا يموتون فلا ينامون. ص٢٨٥

س٤٨: هل يجتمع المؤمن بأهله وأولاده؟

ج: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فيجتمعون.
ص٢٨٥ – ٢٨٧

س٤٩: هل تزداد الجنة حسناً على ما هي عليه اليوم؟

ج: الجنة تزداد حسنًا على الدوام. ص٢٨٨

س٥٠: ما هي العبادة التي لا تقطع حتى في الجنة؟

ج: ذكر الله تعالى فإنها دائمة.

س٥١: هل تحب دخول الجنة؟.

ج: ....

س ٥٢: فماذا أعددت لها؟.

ج: ....

تم ولله الحمد والمنة

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه.

****

الفهرس

